

رابطة العالم الإسلامي
إدارة الثقافة والإعلام



لهذا أسلموها

د. منقذ بن محمود السقار



كتاب شهري محكَّم يصدر
عن إدارة الثقافة والإعلام
برابطة العالم الإسلامي

المشرف العام
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي
أ. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي

الأمين المساعد
د. عبد الرحمن بن عبدالله الزيد

المشرف على إدارة الثقافة والإعلام
د. حسن بن علي الأهدل

مدير الثقافة والإعلام
عبدالله بن علي النمري

مدير التحرير
د. موفق بن عبدالله العوض

الإخراج والتصميم الفني
حاتم مبارك حميدة

عنوان المراسلة

ص. ب: ٥٣٧ مكة المكرمة

إدارة الثقافة والإعلام

موقع الرابطة والبريد الإلكتروني:

www.themwl.org

dawatulhaqq@themwl.org

هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن رأي الرابطة

ضوابط النشر في سلسلة دعوة الحق

- ١- أن يقدم البحث خدمة للدعوة الإسلامية ويعالج جانباً من مستجدات الأمة وقضاياها.
- ٢- ألا يكون قد سبق نشره أو قدّم للنشر لأيّ جهة أخرى.
- ٣- أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة والمنهجية العلمية وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.
- ٤- أن يكون البحث موضوعياً لا يستهدف به تجريح الهيئات والشخصيات.
- ٥- ألا يقل البحث عن مائة وعشرين صفحة ولا يزيد على مائتي صفحة من صفحات السلسلة.
- ٦- يخضع البحث المقدم للتحكيم العلمي.
- ٧- أن يرفق المؤلف سيرته الذاتية وقائمة بأهم مؤلفاته.
- ٨- لا تعيد الرابطة البحث للمؤلف.
- ٩- يفضل أن يكون تنسيق البحث على النحو التالي:
(أ) مقاس الصفحات ٢١×١٤ سم.
(ب) الهوامش: أعلى، أسفل، يمين، يسار (٢) سم.
(ج) الخط لوتس لينوتيب أو مهند، حجم (١٦) عادي.
(د) العناوين الرئيسة حجم (٢٠) أسود.
(هـ) مع إرفاق البحث على قرص ممغنط (CD).
والله ولي التوفيق.



يمكن الاطلاع على ما صدر عن السلسلة من خلال
موقع الرابطة :

www.themwl.org

بريد المراسلة : dawatulhaq@themwl.org

رابطة العالم الإسلامي
إدارة الثقافة والإعلام
سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم

لهذا أسلموا

د. منقذ بن محمود السقار
المستشار في رابطة العالم الإسلامي



مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه إلى يوم الدين، وبعد:
في جنات مكة المكرمة، وفوق ثراها المبارك الطهور؛ انطلقت دعوة الإسلام، الدين الذي ارتضاه الله للبشرية ديناً، لتعلن ميلاد أمة جديدة ستشيد في قادم الأيام حضارة خالدة على مر العصور.

ما أن بزغ فجر الإسلام على الدنيا حتى تداعت الجاهلية بقضها وقضيضها تسعى لحجب هذا النور بغربالها، فعيون ألفت الظلام تعشى بانبلاج النهار، فلم تأل جحافلها جهداً في عداء الدين الجديد؛ بإيذاء النبي ﷺ وقتل أصحابه والتفنن في تعذيبهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٨) (البروج).

وبعد ثلاث عشرة سنة من الألم والصبر خرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة المنورة، يصحبه ما يقارب المائة من أصحابه؛ خرج ﷺ وهو يرجو للدعوة الوليدة مقاماً تلوذ به وتأرز إليه، فيحميها من سياط الباطل ولهيب بطشه، وقبل أن تقرر أركانه فيها أنبأه ربه بخبر حق وميعاد صدق ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) (الصف)، فانطلق ﷺ يبشر أصحابه بموعد

الله «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدبر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يُعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»^(١).

ثم لبى النبي ﷺ نداء ربه، ورحل عن الدنيا ولما تكتحل عيناه برؤية ما بشره الله به من انتشار دعوته وسؤدد أمته، لكن أصحابه الكرام رأوا بأَم أعينهم مصداق ما أخبرهم به ﷺ، ففي خطفة من الزمان بلغت رسالة الإسلام الآفاق، وتكسرت تحت معاول بيانها قلاع الكفر والوثنية في فارس والروم، فلم يمت أبو الطفيل الليثي رضي الله عنه - آخر الصحابة وفاة^(٢) - إلا والإسلام ترفرف راياته على الأندلس غرباً، والصين شرقاً، ليسجل التاريخ ظاهرة غير مسبوقة في سرعة انتشار دين ونشوء حضارة، وأُيِّ حضارة!.. حضارة فريدة جمعت بين سمو الروح ومطالب الجسد، حضارة كاملت بين الدنيا والآخرة؛ في حين كان الآخرون يعيشون حالة صراع بغض يُخيّر الإنسان بين جسده وروحه، وبين دنياء وأخراه.. شقاق لم يعرفه الإسلام ولم يعترف به.

وعلى مدى تاريخها الطويل، مرت الأمة المسلمة بالكثير من الظروف والمنعطفات، وساد حالها ما لا يخفى من المتغيرات؛ صعوداً ونزولاً، عزاً وذلة، فبعد أن قادت

(١) رواه أحمد ح (١٦٥٠٩).

(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٥٢٩/٢).

ركب الحضارة الإنسانية باقتدار ثمانية قرون ترنحت إلى آخر السلم، وقبعت فيه سنين طوال، خيل لأبنائها أنها الدهر.. تتلظى بجراحاتها، وتشرق بغصص يكاد المرء يحار لتكاثرها وكثرتها.

شيء واحد لم يتبدل رغم هذه المتغيرات جميعاً، إنه انتشار الإسلام في كل يوم وفي كل فجّ، فهديه ما زال يشرق على قلوب لطلالما تلهفت إلى الحق، وبلاد أشقاها تخبطها في ظلمات الكفر ونكد أحواله، فقد لاح أمام ناظرها بواطله وهزيمة رجاله وأحاييلهم التي لا تنطلي إلا على من رضي بأسار عقله وقيد فكره.

وأما من انقشعت غشاوة أوهامه، وانعتق من كبول الفهم القطيعي، وانتقل من ضحضاح الفكر إلى طمطامه، مصيخاً السمع لنداء العقل والضمير، فلا بد له من أن يتصالح مع الفطرة بالإسلام الذي يطلع فجره في كل يوم على المزيد من الظالمين إلى الحقيقة، فيهديهم إليها بنور الله الذي يعطيه كل من صدق في عبوديته لله وأخلص في طلب رضاه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ (المائدة).

واليوم - ورغم ما تعانيه الأمة المسلمة من الضعف والتردي - فإن الإسلام أوسع الأديان انتشاراً، ويمكننا

الوقوف على الإحصاءات العالمية التي تقرر هذا بوضوح، ففي حين كان المسلمون في عام ١٩٠٠ يمثلون ١٥% من سكان العالم؛ فإن نسبتهم مع مطلع القرن الواحد والعشرين بلغت ٢١,٦%، ثم ارتفعت نسبتهم في نهاية العشرية الأولى إلى ٢٣,٤%، وتتوقع دوائر الرصد والإحصاء أن يصلوا عام ٢٠٣٠م إلى نسبة ٢٦,٤%، وأن يتجاوزوا نسبة الـ ٣٠% خلال عقود قليلة قادمة^(١).

ولعلنا نتذكر الهلع الذي أصاب بعض الدوائر التي أقض مضجعها تسارع إقبال الناس على الإسلام في أوروبا، فكان حرق القس رولاند ويزلبرغ نفسه - في دير أوغستين في مدينة أيرفيرت الألمانية^(٢) - صرخة نذير - بعد فوات الأوان - لتحذير أوروبا من انتشار الإسلام فيها، أو إنذارها مما سماه «أسلمة أوروبا».

وفي ظروف تاريخية مشابهة؛ اجتاح التار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، ودخلوا عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد، وقتلوا فيها ما يقارب المليون مسلم، لكن سرعان ما أذهلهم الإسلام بحضارته وفريد

(١) انظر على سبيل المثال؛ لا الحصر: التقرير الإحصائي الموثق الذي نشرته (Pew Research Center) في موقعها (www.pewforum.org) ، وذلك في شهر كانون الثاني من عام ٢٠١١م، وانظر ملخصه بعنوان «مستقبل السكان المسلمين في العالم» في الرابط التالي:

(www.pewforum.org/The-Future-of-the-Global-Muslim-Population.aspx).

(٢) انظر: صحيفة التايمز البريطانية، في عددها الصادر في يوم الجمعة ٣ نوفمبر ٢٠٠٦م.

عطائه، فبين الحق والباطل برزخ لا تخطئه عينان.. دخل التتار إلى ربوع الإسلام أفواجا^(١).. حدث لا أخ له في التاريخ الإنساني الذي لم يسجل أبداً دخول الأمة الغالبة في دين الأمة المغلوبة، لكن المغلوب حينذاك هم المسلمون؛ لا الإسلام الذي بقي ويبقى غالباً بحجته وناصح برهانه.

ومن قبل أدرك هرقل ملك الروم خصائص الحق الذي يكتنزه الإسلام عندما سأل أبا سفيان - قبل إسلامه - عن النبي ﷺ ودينه، وكان من أسئلته لأبي سفيان أن سألته عن المسلمين «أيزيدون أم ينقصون؟» فلما أجابه أبو سفيان: «بل يزدون»، قال هرقل بلسان حكيم: «وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.. فإن كان ما تقول حقاً؛ فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»^(٢).

وحدثنا عن هرقل الذي عرف الحق ولم يتبعه؛ يذكرني بضرورة الاعتراف بشجاعة المؤمنين الجدد الذين اعتنقوا الإسلام بعد أن انشروا صدورهم له، ولم يحل بينهم وبينه ما سيتعرضون له - في سبيل هذا الاختيار الموفق - من أذى واضطهاد وقتل في بعض الأحيان، فلقد آثر المهتدون أن يعيشوا أغراباً بين أهلهم وذويهم.. خسروا وفق كل قوانين

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٤٠١/١٣).

(٢) أخرجه البخاري ح (٧).

الجغرافيا والرياضيات، علاوة على نسيان التاريخ.. الإسلام لم يقدم لهم مالأ ولا جاهاً، بل كان صريحاً حين أحالهم إلى جزاء الله وفضله في الآخرة فحسب، ففي بيعة العقبة بايع الأنصار النبي ﷺ على الإسلام وبذل الغالي والرخيص في سبيل نصرته وحمايته، ثم قالوا للنبي ﷺ: «فما لنا إذا فعلنا ذلك؟» فأجابهم النبي ﷺ بوضوح وصراحة: «لكم الجنة»^(١)، فقط الجنة.. في مقابل حلقة السبيل ومضايق الطريق.. جنة الله التي حفت بالمكاره والبذل والتضحية؛ لا الشهوات والرغبات ﴿الْمَ (١) أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ (العنكبوت).

في هذه الصفحات نقف على نماذج من أخبار أعيان الداخلين إلى الإسلام، المهتدين إلى الحق بعد تخبط في دياجير الكفر.. انصدعت قلوبهم على غير ميعاد.. نحاول من خلالها قراءة ظاهرة انتشار الإسلام وسريان نوره وهداه في الكون؛ لتنجلي الحقيقة كما ينجلي الليل الأدهم بنور الشمس.

سنتعرف على الأسباب التي دفعت هؤلاء الأماجد إلى هجر أديانهم والخروج عن إلفهم إلى اعتناق دين جديد يخالف كثيراً مما نشؤوا عليه من ثقافة، وما تربوا عليه من فُتات الأوهام، فلكل واحد منهم قصة تختزن الكثير من

(١) أخرجه أحمد ح (١٦٦٣٠).

المعاني التي نود رصدَها وسبرَ أغوارها، ونقلَها إلى القارئ الكريم؛ ليفيد منها في إعادة اكتشاف واستحضار المزيد من معالم الإيجابية في ديننا وما يرشد إليه من مبادئ وشرائع وقيم وأخلاقٍ اجتذبت هؤلاء المهتمين، واستصحابها في مسيرتنا الدعوية قد يفتح لنا بعض العقول الموصدة.. فكم في الإسلام من خصائص عظيمة نذهل عنها بسبب إلفنا واعتيادنا، بينما يبهل الآخرين ضوءها، وحين يعجزون عن إدراك عظمتها، لا يسعهم إلا الإيمان بالإسلام العظيم.

تدارسنا لقصص هؤلاء المهتمين يذكرنا بحق الكثيرين ممن لم يعرفوا الإسلام بعد.. بعضهم لم يسمع عنه، أو سمع تلك الشنشة التي ملّتها أسماعنا، وضحكت أفلاننا منها عجباً.. كيف يصدق العقلاء تلك الهمهمات والتمتمات!.. حق البشرية في رقابنا أن نبلغهم ما عرفنا من الحق، وأن نحسب في ذلك عظيم الأجر وسابغ الثواب، قال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم»^(١).

وقد اخترت من قوافل المهتمين هذه العينة الكريمة، وفاتني الكثير والكثير من الأماجد الذين تضيق مثل هذه الصفحات عن استيعاب قصصهم مع الهداية، فلهم مني الحب والاعتذار.

وقد رتبت قصص المهتمين بحسب ميلادهم في الإسلام،

(١) أخرجه البخاري ح (٢٩٤٢).

فالحظة الفارقة في حياة كل واحد منهم كانت نطقه بالشهادتين، وانضمامه إلى ركب المؤمنين.

وقد جهدت في الاختصار وأنا أعرض - على قارئ - قصص هؤلاء المهتدين، وحاولت إطلاعه - باختصار - على شخصية المهتدي وتعريفه ببيئته قبل الإسلام، وأسهب - من غير إطالة - في التركيز على أهم المسائل والقضايا التي أبعدت المهتدي عن دينه القديم، وساقته إلى رحاب الإسلام؛ آملاً أن يكون في التأكيد على هذه المسائل ما يضيء الطريق لغيره من الباحثين عن الحق.

بقي أن ننبه إلى أن المهتدين الجدد وافدون إلى الإسلام من ثقافات مختلفة، وإيمانهم نجح في صهر معظمهم في بوتقة الإسلام وثقافته ورؤاه، لكن بعضهم حين أسلم؛ حاول المزاجية بين الإسلام وثقافته وطرائق تفكيره القديم، فأصاب وأخطأ، وذكرى لبعض هؤلاء في هذا الكتاب لا يعني الرضا عن أفكارهم وزلاتهم التي خالفوا فيها ثوابت الإسلام، فالله أسأل أن يغفر زلتهم، فقد جهلوا ما علمنا.

وأسأله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا الجهد كل باحث عن الحقيقة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

لماذا أسلم السابقون إلى الإسلام؟

بعث النبي ﷺ في أرض كثيبة ترزح تحت عذابات ما أسماه القرآن الكريم ﴿الظلمات﴾، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الأحزاب: ٤٣)، فالظلمات أدق الأوصاف وأدلها على عالم ظالم لنفسه، يكفر بالله الواحد، أو يعبد معه الحجر والشجر، فلكل قوم في نواحيه صنمهم ومعبودهم، ولربما صنعوه من التمر، ثم جاعوا فأكلوه، فيا هؤلاء ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَحْنُونَ﴾ (٩٥) ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦١) ﴿(الصفات)﴾، لذا نظر الله إلى أهل الأرض، فمقتهم جميعاً عربهم وعجمهم؛ إلا آحاداً من أهل الكتاب تناثروا هنا وهناك، جمعهم توحيد الله والإخلاص لعبادته.

حين واجه النبي ﷺ بركان الجاهلية؛ خرج من تحت حممها ومن بين ركامها أناس أشرعوا سفنهم في تحدي أمواج الجاهلية والتصدي لزخرفها بالإيمان، فقد آمنوا بالنبي ﷺ، ورضوا بالحياة الآخرة، وآثروها على الدنيا، فاستخفوا بما أصابهم من المحن والإحـن، فـلله درهم من رجال. وهنا يحضرنا سؤال نبـحث عن إجابته في طيات التاريخ والسير: لماذا أسلم هؤلاء الأماجد؟ وكيف؟
ونبدأ بالنفر الأول السابقين إلى الإسلام الذين شهد الله لهم بالفضل، ووعدهم بالحسنى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التوبة)، فالآية تحكي فضل
السادة الأوائل الذين سبقوا إلى الإيمان بالنبي ﷺ: خديجة
وأبي بكر وعلي وزيد، ثم من آمن بعدهم من أصحاب
النبي ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين، فقد سبقوا غيرهم
إلى فضل عظيم.

فأما أم المؤمنين خديجة؛ فكانت أعرف الناس بصاحب
الرسالة محمد ﷺ، كيف لا؟ وهي ألصق الناس به، وأعرفهم
بسريته، هل يخفى أمر رجل على زوجته التي تقاسمه بيته
ولحافه وطعامه وشرابه خمس عشرة سنة؟

لقد عرفت خديجة رضي الله عنها كل ما يمكن لامرأة
أن تعرفه عن زوجها، فكانت أخبر الناس به، وبالبحري
أسرعهم إلى التصديق بنبوته؛ لما نزل من غار حراء مخبراً
إياها بالحدث الجلل الذي اعتراه فأخافه، إذ ليست له عادة
في لقيا الملائكة وكلامهم، فكيف إذا لقي عظيمهم في
مكان لم يعتد رؤية البشر فيه؛ فضلاً عن غيرهم، فأصابته
المخاوف من غريب ما وجد، وطلب الأمان عند زوجته
خديجة «لقد خشيت على نفسي»، فسارعت إلى طمأنته
حتى ذهب عنه الروع: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك
لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري
الضيف، وتعين على نوائب الحق»، نعم، فمن كانت هذه

حاله فإن الله يحميه، بل وهو أهل لأن يصطفيه برسالاته وكلامه.

وزاد اطمئنانها ورسخ يقينها ما سمعته من ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان من علماء أهل الكتاب: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»^(١).

وقد روي في بعض الأخبار أن خديجة رضي الله عنها كانت تنتظر هذا الخبر السعيد وتشوف له، فقد جمعها مع بعض النسوة عيد لقريش في الجاهلية يجتمع فيه النساء دون الرجال، فوقف عليهن يهودي، وقال لهن: «يا معشر نساء قريش، يوشك أن يبعث فيكن نبي، فأئكن استطاعت أن تكون له أرضاً [أي زوجة] فلتفعل». فحصبته، ووقر ذلك في نفس خديجة حتى حققه الله لها، فكانت أول من آمن به ﷺ^(٢).

دخلت خديجة وبُنياتها في الإسلام لما عرفنه من حال الرسول، فهو الزوج والوالد الذي أقنعهن بعظم الرسالة، وانضم إليهن نزيل بيتهن الفتى علي بن أبي طالب، ابن عم النبي ﷺ، وصهره من بعد، وقد ضمه النبي ﷺ إلى عياله تخفيفاً على عمه لما كثرت عياله، وقلّت أرزاقه، فلم يزل

(١) أخرجه البخاري ح (٤)، ومسلم ح (١٦٠).

(٢) أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (١/١٩٨).

في بيت رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي وآمن به، وعمره حينذاك دون العشر، فعرف الإسلام في يومه الثاني، إذ رأى النبي ﷺ يصلي مع خديجة رضي الله عنها، فقال: ما هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وكفر باللات والعزى، فقال علي: هذا أمر لم أسمعه قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب.

وكره رسول الله ﷺ أن يفشي سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي، [إذا] لم تسلم فاکتم، فمكث علي تلك الليلة، ثم أصبح وقد شرح الله صدره بالإيمان فأسلم، وآمن بالنبي ﷺ^(١).

ويدعو النبي إلى الإسلام صاحبه وأنيس شبابه عبد الله بن أبي قحافة، فما أن سمع بخبر النبوة حتى بادر إلى الإسلام بلا تردد ولا تلكؤ، يقول ﷺ: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد؛ إلا ما كان من أبي بكر رضي الله عنه ما عكّم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه»^(٢)، وقد أغناه عن النظر ما سبق إليه من معرفة بالصادق الأمين، كيف لا يصدق من ترك الكذب على

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد المقرئ (٩٤/٩).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٩١/٢).

الناس أربعين سنة، وصدق هرقل لما قال: «أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله»^(١).

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَّوْا مِنْ أَخِي ثِقَةً

فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا

خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَنْقَاها وَأَعْدَلَهَا

بعد النبي وأوفاهما بما حمَلا

الثَّانِي اثْنَيْنِ وَالْمَحْمُودَ مَشْهُدَهُ

وَأَوَّلَ النَّاسِ طُرَا صَدَّقَ الرُّسُلَا^(٢)

وغير بعيد عن بيت النبوة؛ أسلم زيد بن حارثة مولى

النبي ﷺ، وكان قد اختار العبودية في بيت النبوة على

الحرية بين الإخوة والأخوات، فعبودية في بيت محمد لا

يعدلها فخر فوق الأرض وتحت أديم السماء.

وممن سارع إلى الإسلام عمرو بن عبسة رضي الله

عنه، فكان كما يقول: «رأيتني وأنا رابع أربعة فأسلمت»^(٣)،

أسلم عمرو لما رأى جلال الرسالة وتفحص عظيم

موضوعها، يقول: أتيت رسول الله ﷺ وهو بمكة مستخفياً

فقلت: وما أنت؟ قال: نبي.

قلت: وما نبي؟

(١) أخرجه البخاري ح (٧)، ومسلم ح (١٧٧٣).

(٢) انظر سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي (٣٠٣/٢).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ح (١٤١٠).

قال: أرسلني الله.
 فقلت: وبأي شيء أرسلك؟
 قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد
 الله لا يشرك به شيء». ^(١)
 وفي رواية لأحمد أن عمرًا قال: نعم ما أرسلك به،
 وأشهدك أنني قد آمنت بك وصدقتك» ^(٢).
 وفي رواية أنه سأل النبي ﷺ: ما الإسلام؟ فأجابه ﷺ:
 «الين الكلام، وإطعام الطعام.
 قلت: ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة.
 قلت: أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من
 لسانه ويده.

قلت: أي الإيمان أفضل؟ قال: خلق حسن» ^(٣).
 وأما عمر الفاروق رضي الله عنه فخرج من بيته
 وحمائل سيفه تتسابق إلى الشر مع شرر عينيه، قصد النبي
 ﷺ يريد قتله، فتعثر في بيت أخته فاطمة، حين بلغه خبر
 إسلامها، فأراد الفتك بها قبل أن يكمل الطريق إلى بيت
 رسول الله ﷺ، ففتكت بشيطانه حين قرأت عليه آيات من
 صدر سورة طه: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا
 تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
 الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا

(١) أخرجه مسلم ح (٨٣٢) وأحمد في المسند ح (١٦٥٦٨).

(٢) رواه أحمد ح (١٨٩٤٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٥٥١).

بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى
 ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ (طه) (١).

أصاخ عمر السمع وأبلم، فما جاوز عتبة البيت إلا مؤمناً، أخذ الحق بمجامع قلبه، رضي الله عنه وأرضاه. وكذلك سبق الغفاري أبوذر رضي الله عنه إلى الإسلام، فحين بلغه بعثة النبي ﷺ، أرسل أخاه أنيساً إلى مكة ليأتيه بخبره، فعاد أنيس وقال لأبي ذر: «والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر» (٢)، وفي رواية في البخاري: «رأيت أنه يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر» (٣).

وفي رواية لمسلم أن أبا ذر سأل أخاه: «فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر كاهن ساحر، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أقرء الشعر فلم يلتئم، وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، وإنه لصادق، وإنهم لكاذبون» (٤).

فلم يقنع أبو ذر بجواب أخيه المجمل، فسافر إلى النبي ﷺ بنفسه، ولقيه وسمع منه، فأسلم رضي الله عنه وأرضاه.

وأما حمزة عم النبي ﷺ، فقد أسلم ابتداءً حمية لابن أخيه، لما بلغه أن أبا جهل قد آذى النبي ﷺ وشتمه، أثاره

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري ح (٣٨٦١).

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٤٧٣).

حمزة فضربه وشجه، وقال له: «أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟»، قال ذلك، ولمَّا يدخل في الإسلام بعد، لكنها كلمات أنطقه الله بها في وقت غضبه على أبي جهل.

ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك؟ للموت خير لك مما صنعت.

فدعا حمزة: اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً.

ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إني قد وقعت في أمر، ولا أعرف المخرج منه، وشديداً إقامة مثلي على ما لا أدري ما هو، أرشد أم هو غي؟ فحدّثني حديثاً فقد اشتيت يا ابن أخي أن تحدّثني، فأقبل رسول الله ﷺ، فذكره ووعظه، وخوّفه وبشّره.

فألقي الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ، فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلت السماء وأني على ديني الأول. ثم أنشد يقول:

حمدت الله حين هدى فؤادي
إلى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز
خير بالعباد بهم لطيف

إذا تليت رسائله علينا
تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها
بآيات مبينة الحروف^(١)

(١) الروض الأنف، السهيلي (٤٣/٢).

لهذا أسلم أهل الشام ومصر وسمرقند وسائر البلدان

لقد كان الانتشار السريع للإسلام في العالم القديم حدثاً مدوياً، تجاوز ما عرفت البشرية من زحف بطيء للأديان، وهي ظاهرة حيرت علماء الاجتماع والتاريخ؛ فزعم من زعم منهم أن الإسلام انتشر بحد السيف! وخلطوا بين توسع الدولة المسلمة بالفتوحات وبين انتشار الإسلام بسيف الحجة والمعاملة الحسنة، وما درى هؤلاء - بل لعلهم يدرون - أن السيف يقتل القلوب ولا يفتح مغاليق الروح، وأن العقائد محلها الضمائر التي لا سلطان لأحد عليها.

لَمْ لَا يتساءل هؤلاء: هل يعقل أن يُكره المسلمون غيرهم على الإسلام وقد قال الله لنبيهم ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١) (يونس)، وكيف يُتصور وقوع الإكراه على الدين من أتباع النبي الذي قال له ربه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وقال أيضاً: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد: ٤٠).

إن أمثال هذه النصوص تمنع المسلم من التفكير في إكراه الناس على الإسلام، وتقرر قاعدة قرآنية مهمة ﴿لَا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة: ٢٥٦)،

ولذلك فإن المسلمين طوال تاريخهم كانوا أبعد ما يكونون عن هذا الفعل المشين، فلم تسجله عليهم أي من كتب التاريخ، بل نقلت عنهم ما أثار عجب المؤرخين واستحسانهم، وسأكتفي هنا بنقل شهادة المستشرق الألمانية زيغريد هونكه في كتابها المانع "شمس العرب تسطع على الغرب"، حيث تقول: «العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام»^(١).

وإذا أردنا أن نعرض لبعض المشاهد لدخول أهل البلدان في الإسلام فإننا نستحضر الكثير من النماذج التي يكفي بعضها عن الآخر، فمن أراد معرفة سبب تحول أهل الشام من النصرانية إلى الإسلام، فما عليه إلا أن يتأمل النقلة الحضارية التي أحدثها الإسلام في ذهنية الأمم التي دخلت تحت سلطانه، فقد أشعرهم بكرامتهم وكيونتهم التي لم يشعروا بها تحت حكم أهل ملتهم ودينهم، فنصارى حمص كتبوا إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «لَوْلَا يُتِّكُم وَعَدْلُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْغَشْمِ، وَلَنْدَفَعَنَّ جَنْدُ هِرْقَلٍ عَنِ الْمَدِينَةِ مَعَ عَامِلِكُمْ»، ثم أغلقوا أبواب المدينة في وجه الروم إخوانهم في العقيدة^(٢).

وأما النصارى الأرثوذكس في مصر فذاقوا من حكمهم الروم الكاثوليك أصناف العذاب والنكال، وشاعت أخبار ذلك في كتب المؤرخين النصارى

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ص (٣٦٤).

(٢) ذكره البلاذري في فتوح البلدان ح (١٨٧).

كساويرس ابن المقفع في كتابه «تاريخ البطارقة»، ثم وجد أهل مصر الأمان والعدل عند المسلمين وقد سبقهم إلى ظلاله إخوانهم في الشام ، فالمسلمون هم من أعطوا الأمان للبابا الأرثوذكسي بنيامين بعد اختبائه من بطش إخوانه الروم الكاثوليك، فخرج من مخبئه بأمان المسلمين، وعاد إلى كنيسته مكرماً، وهو موقف دفع بطريك بيت المقدس في القرن التاسع للكتابة إلى أخيه بطريك القسطنطينية حاكياً عن العرب: «إنهم يمتازون بالعدل، ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف»^(١).

وتتجلى الكرامة الإنسانية التي حرسها الإسلام وصانها في قصة القبطي الذي ضربه ابن والي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه، فلم يجد القبطي في وعثاء الطريق وطوله ما يمنعه من السفر من مصر إلى المدينة المنورة ليثار لكرامته التي أهدرها ابن أمير مصر، إذ لا يُقبل مثل هذا في عهد الإسلام ودولته العادلة.

ولما دخل القبطي على الخليفة عمر رضي الله عنه، قال: يا أمير المؤمنين، عائد بك من الظلم. فأجابه الخليفة: عُذت معاذاً، فقال القبطي: سابقتُ ابنَ عمرو بن العاص فسبقتُهُ ، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين.

وتثور مكانم العدل الإسلامي في صدر الخليفة عمر رضي الله عنه، كيف يحصل هذا في مملكته، وهو الذي سمع

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص (٣٦٤).

النبي ﷺ يقول: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة»^(١)، فأمر الخليفة بإحضار أمير مصر وابنه إلى المدينة المنورة، ليقصص القبطي بسوطه من ابن الأكرمين على مرأى من الناس ومسمع.

ثم قال عمر لواليه مقولة عدل أصبحت مثلاً خالداً يتغنى به المسلمون وغيرهم: «يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»^(٢).

وعمر ﷺ هو الذي كان قد كتب لواليه على مصر : «واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك .. وأن معك أهل ذمة وعهد، وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم، وأوصى بالقبط فقال : «استوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»، ورجعهم أن أم إسماعيل منهم، وقد قال ﷺ: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته؛ فأنا خصمه يوم القيامة» احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصماً، فإنه من خاصمه خصمه»^(٣).

لمثل هذه الشواهد دخل أهل الشام ومصر في دين الله

(١) أخرجه أبو داود ح (٣٠٥٢)، ونحوه في سنن النسائي ح (٢٧٤٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح (٢٦٢٦).

(٢) انظر: تاريخ عمر، ابن الجوزي (١٢٩-١٣٠)، وفتوح مصر، لابن عبد الحكم، ص (١٩٥).

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ح (١٤٣٠٤).

أفواجاً، فقد رأوا من عدل الإسلام ما لم يروه من قبل في أمة من الأمم، يقول المؤرخ غوستاف لوبون : «إذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام، واتخذ العربية لغة له؛ فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله»^(١).

وشواهد عدل المسلمين مع أهل ذمتهم كثيرة، منها العدل معهم في خصومتهم مع الخلفاء والأمراء، ومنه خصومة الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام مع يهودي في درعه التي فقدوها ثم وجدها عند يهودي، فاحتكما إلى شريح القاضي، فحكم بها لليهودي، فأسلم اليهودي وقال: «أما إنني أشهد أن هذه أحكام أنبياء! أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه، فيقضي لي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين، فخرجت من بعيرك الأورق»، فقال علي عليه السلام: «أما إذ أسلمت فهي لك»^(٢).

وقبل أن تغرب شمس القرن الهجري الأول؛ انساحت جيوش المسلمين تفتح بلاد ما وراء النهر بقيادة القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي، فتكسرت على نصالهم جيوش طالما كانت سبباً في غياب رسالة الإسلام. وفي أواسط آسيا - فيما يسمى اليوم جمهورية

(١) حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ص (١٢٧).
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤١/٤) بإسناد ضعيف، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٨ - ٥).

أوزبكستان - تربض مدينة محصنة منيعة الأسوار تدعى سمرقند، غزاها قتيبة بعد دخوله إلى مدينة بخارى ، خاف منه أهل السغد (سكان سمرقند)، وطلب ملكهم طرخون الصلح مع المسلمين، فوافق قتيبة، وانصرف كل من الجيشين إلى حاله.

لكن هذا الصلح لم يقنع قتيبة، فمازال يطمع في دخول تلك المدينة العصية بحصونها على الفاتحين، لكن لو قدر للمسلمين حصارها لتجمدت أطرافهم من البرد القارس الذي يعسر على جيش الصبر عليه، فهيئات لمثل هذه المدينة أن تسقط إلا بلأى وبلاء.

وذات يوم دخل المُجَشِّر بن مزاحم السلمي على قتيبة، وأشار عليه بدهم سمرقند على حين غرة من أهلها، ففعل وحاصرهم ، فصالحوه على أن يدفعوا له جزية، وأن يفتحوا له مدينتهم، فيصلي فيها ثم يخرج منها.

فلما دخل قتيبة سمرقند، أخذ منهم جزيتهم، وأخبرهم أنه غير خارج من مدينتهم هو وجنوده، فسُقِط في أيديهم، وظنوا أنهم طويت صفحتهم وضاع حقهم بغدرة قتيبة رحمه الله لهم.

لكن مثل هذا لا يدوم في دولة الإسلام .. فعندما ولي إمام العدل الخليفة عمر بن عبد العزيز أقام رسوم الشريعة، فرد المظالم، وأقام العدل، فشاعت أخباره، فأرسل إليه أهل سمرقند يلتمسون عدل الإسلام، وقالوا: «قتيبة ظلمنا، وغدر بنا، فأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف،

فأذن لنا ، فليقدم منا وفد على أمير المؤمنين».

وهكذا كان، فاستمع عمر إلى شكاة الوفد، وأرسل إلى واليه سليمان: إن أهل سمرقند شكوا ظلماً وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي، فلينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرج العرب إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يظهر عليهم قتيبة.

فأمر سليمان جميع بن حاضر القاضي أن يحكم بين المسلمين وأهل سمرقند، فقضى أن يخرج المسلمون من سمرقند إلى معسكرهم.

يا للروعة، قاضي المسلمين يحكم لصالح الوثنيين، وعلى من؟ على إخوانه المسلمين. إنه مشهد من مشاهد العدل التي تحفز للتأمل والاعتبار في دين يحكم قاضيه لصالح خصومهم وأعدائهم.

وهنا يقف التاريخ على أطراف أصابعه ويرمق بعين فاحصة، هل يمكن لحكم هذا القاضي بخروج جيش الإسلام من سمرقند أن يجد سبيله إلى التنفيذ؟ أم أن الأحكام العادلة هي حبر على الورق، يتغنى بها أصحابها في صفحات التاريخ، من غير أن ينعم بها المظلومون بأكثر من رؤية أخبارها؟.. لكن هيهات أن يصنع المسلمون ذلك ورسولهم ﷺ يقول: «لا قدس الله أو كيف يقدر الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها وهو غير متعّع»^(١) أي يتلجلج في

(١) أخرجه ابن ماجه ح (٤٠١٠)، والبيهقي في الشعب ح (١١٢٣٢)، واللفظ له.

شكاته وتتخط الحروف بين شفتيه من الخوف والرعدة.
وقبل أن تغيب شمس ذلك اليوم بدأت طلائع الجيش
الإسلامي تستعد للخروج من سمرقند إنفاذاً لحكم
الإسلام العادل، ثم لم يخرجوا لأن أهلها قرروا تجديد
الصلح مع جيش الأمة العادلة التي تمثل أمر دينها، وقد
رأوا من حسن معاملتهم وطيب معشرهم ما لم يعهدوه في
الفاحين ممن قبلهم^(١).

إنهم أتباع محمد ﷺ الذي أمره ربه بالعدل حتى في حال
الخصومة والعداوة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ
بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨)، فالآيات القرآنية ترسم للمؤمنين
طريقة التعامل العادل حتى مع أعدائهم الكافرين الذين
يحاربونهم في دينهم ويصدونهم عن قبلتهم، فتأمر بالعدل
وتنهى عن الظلم الذي حرمة الله على نفسه العلية، وحرمة
أيضاً على عباده ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَنَعَاوُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

ولمثل هذه الآيات حكم القاضي المسلم جميع بن
حاضر على جيشه وأمته، فماذا كان أثر هذا الحكم على
أهل سمرقند والمناطق المجاورة لها؟

(١) انظر قصة فتح سمرقند في: الكامل في التاريخ، لأبي الحسن الشيباني (٣٢٧/٤).

لقد سارعت الجموع إلى الدخول في الإسلام، لا بل تحولت إلى حارسة لأحد مصدريه، وهي السنة التي حفظها الله بجهود علماء أُمّاجد من أهل تلك البقعة المباركة التي شهدت عدل الإسلام، وفي مقدمتهم البخاري والنسائي والترمذي، علاوة على غيرهم من علماء الفنون الشرعية الأخرى كالزَمَخْشَرِي والنسفي وأبي الليث السمرقندي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم من العلماء الذين حفظوا للأمة دينها، جزاء وفاقاً لما رأوه من عدل الإسلام والتزام المسلمين.

ولو استعنا بكتاب المستشرق توماس أرنولد «الدعوة إلى الإسلام» لرأينا العشرات من الشواهد الرائعة التي تحكي قصة انتشار الإسلام في ربوع الأرض وهو ينتشر بسيف الحجة والبيان.

يحدثنا أرنولد عن إسلام بركة خان من أمراء المغول في القرن الميلادي الثالث عشر: «وقد قيل في سبب إسلامه إنه تلاقى يوماً مع غير للتجارة آتية من بخارى، ولما خلا بتاجرٍ منهُم سألَهُما عن عقائد الإسلام، فشرحاهما له شرحاً مقنعاً انتهى به إلى اعتناق هذا الدين والإخلاص له، وكاشف أصغر إخوته أول الأمر عن تغييره لدينه واعتناقه الإسلام، وحبب إليه أن يحذو حذوه، ثم أعلن بعد ذلك اعتناقه لهذا الدين»^(١).

(١) الدعوة إلى الإسلام، السير توماس أرنولد، ص (٢٥٩).

وأحياناً كان منظر المسلمين وهم يمارسون شعائرتهم كافياً لاجتذاب من يعيش حولهم إلى الإسلام، وقد سجل هذا الفيلسوف أرنست رينان في كتابه «الإسلام والعلم»: «ما دخلت مسجداً قط، دون أن تهزني عاطفة حادة، أو عبارة أخرى، دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلماً»، ويتابع أرنولد بالقول: «كان من اليسير أن ندرك كيف أن منظر التاجر المسلم في صلاته، وسجدياته الكثيرة، وعبادته للإله الذي لا يراه، في سكينه واستغراقه، قد يؤثر في الإفريقي الوثني، الذي وُهب إدراكاً قوياً للقوى الخفية، كما يقتزن هذا الإدراك عادة بدرجة منحنية من المدنية. وقد يحفز حب الاستطلاع على البحث بطبيعة الحال. وإن معارف الإسلام التي عرفها الناس على هذا النحو قد تجذب أحياناً فرداً يدخل في الإسلام»^(١).

ويلفت أرنولد النظر إلى أن الإسلام دين كثير التكليف، وفي شرائعه ما يشق على العابثين المستهترين، وينقل عن الناقد الأسكتلندي الساخر توماس كارليل قوله عن الإسلام: «ليس بالدين السهل؛ فإنه بما فيه من صوم قاس، وطهارة، وصيغ معقدة صارمة، وصلوات خمس كل يوم، وإمساك عن شرب الخمر، لم يفلح في أن يكون ديناً سهلاً»، ويعلق أرنولد بأن في هذا ما «يدحض النظرية القائلة بأن الإسلام نظام ديني يجذب الناس عن طريق

(١) المصدر السابق، ص (٤٥٩).

مراودتهم في ملذاتهم الشخصية»^(١).

ويحكي أرنولد عن انتشار الإسلام في أوروبا الشرقية على يد أسير مسلم يرسف في قيوده، لكن وطأتها وذل الأسر لم يكن ليمنعه من التعريف بدينه، يقول أرنولد: «حتى المسلم الأسير، يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة أسريه أو إخوانه في الأسر إلى دينه، وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل ما قام به فقيه مسلم، سيق أسيراً .. وجيء به إلى بلاد بتشنج Pechenegs في مستهل القرن الحادي عشر، وقد بسط بين يدي كثير منهم تعاليم الإسلام، فاعتقدوه في إخلاص، حتى إنه أخذ في الانتشار بين هذا الشعب»^(٢).

ولذلك لا يمكن لمنصف أن يقرأ بصدق ظاهرة الإقبال على الإسلام ودخول الأمم فيه؛ إلا إذا اعترف بما يملكه هذا الدين من عوامل التفوق التي أدخلته إلى كل مدينة وقرية؛ وقد صدق المؤرخ الشهير وول ديورانت حين قال: «وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة؛ اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين وجميع الزرادشتيين والوثنيين إلا عدداً قليلاً منهم.. واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلدان الممتدة من الصين وأندونيسيا إلى مراكش والأندلس، وتملك خيالهم، وسيطر

(١) المصدر السابق ، ص (٤٥٩).

(٢) المصدر السابق ، ص (٤٥٣).

على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث آمالاً تخفف عنهم
بؤس الحياة ومتاعبها»^(١).

لقد أدرك وول ديورانت وغيره الحقيقة، فلم تغشهم
موجات التضليل السافر والكذب المتواصل على هذا الدين؛
فمقصود هؤلاء المضللين اصطناعُ هُوةٍ تحُولُ بين العالم
وفهم الإسلام والوقوفِ على حقائقه العظيمة، فالإسلام دين
يتناغم مع الفطرة، ويتواءم مع العقل، ويضمن لمعتنقه سعادة
الدنيا ونعيم الآخرة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ (النحل).

ولمثل هذا دخل الناس في الإسلام أفواجا.

(١) قصة الحضارة، وول ديورانت (١٣/١٣٣).

أحمد) فارس الشدياق

فارس الشدياق واحد من أعيان القرن التاسع عشر، وعلم من أعلام اللغة والأدب العربي، وهو «الفاريق» كما يحلو له أن يسمي نفسه بالجمع بين أول اسمه وآخر لقبه.

ولد فارس في لبنان في عام ١٨٠٥م لعائلة كاثوليكية، وتسميتها بالشدياق نسبة إلى كلمة يونانية تشير إلى لقب ديني مرموق، ودرس في الكتّاب، ثم على يد أخيه الكبير أسعد، وكان من أهل اللغة والأدب، ثم توفي والده، فعمل في صناعة نسخ الكتب مستغلاً ما حباه الله من خط جميل.. مهنة جعلته صديقاً دائماً للكتاب، فصقلت مواهبه، والتي كان من بينها معرفته بالإنجليزية والفرنسية والتركية إضافة إلى براعته بالعربية، فقد كتب في قواعد الإنجليزية كتابه «الباكورة الشهية في نحو اللغة الإنجليزية»، و«المحاورة الإنسية في اللغتين العربية والإنجليزية»، وكتب أيضاً «سند الراوي في النحو الفرنساوي».

تنقل الشدياق بين - ما سيمى فيما بعد- لبنان وسوريا في زمن طفولته، ثم قصد مالطا - قلعة التنصير حينذاك - ليتعلم فنون التبشير بالنصرانية على يد الإرساليات الأنجليكانية، وفيها كتب أول كتبه «الواسطة في معرفة أحوال مالطة»، ثم ارتحل إلى مصر، وعمل محرراً في جريدة الوقائع المصرية، كما لقي بعض علماء الأزهر كالعلامة نصر الله الطرابلسي والشيخ محمد شهاب الدين الحلبي، وتعلم

منهم ومن غيرهم المزيد من علوم العربية.
كان من أهم الأحداث الفارقة في حياة الشدياق
مصرع أخيه الكبير أسعد وهو أسير في دير قنوبين، فقد
احتجز فيه ست سنوات لتركه الكاثوليكية وانتقاله منها إلى
مذهب البرتستانت، وهو حدث مهم ترك جرحاً غائراً في
قلب الشدياق، فكان ينزف حبراً في سطور كتبه التي حُبِرَ
فيها الصفحات الطوال في ازدراء رجال الدين النصارى،
والتهكم عليهم، من ذلك أنه حكى مرة عن إقامته في دير
مع بعض الرهبان «كنت أرى من عناد الرهبان وتفرق
آرائهم، وطعن بعضهم في بعض، وشكواهم الدائمة
للرئيس من أمور باطلة... وزد على ذلك كله جهل
الجميع؛ إذ لم يكن في الدير كله من يحسن كُتُب رسالة
في معنى من المعاني؛ حتى إن الرئيس نفسه أدام الله عزه
[أي رئيس الدير] لم يكن يعرف أن يكتب سطوراً واحداً
بالعربية!!»^(١).

وفي موطن آخر كتب «انظر كم عندنا في بلادنا من
دير!! وعلى كم تشتمل هذه الأديار من الرهبان، ولم أرَ
أحداً منهم نبغ في علم، ولا من أثرت عنه مكرمة، بل لا
تسمع عنهم إلا ما يشين الإنسان في عقله وعرضه»^(٢).
وكتب يشكو جهل رجال الدين، مستدلاً بركاكة الترجمة
العربية للكتب المقدسة، ف«الزبور وهو كتاب حشوه اللحن

(١) الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، ص (٩٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٨٠).

والخطأ والركاكة، لأن معربه لم يكن يعرف العربية، وقس عليه سائر الكتب التي طبعت في بلادكم.. أتحسبون أن الركاكة من شعائر الدين ومعالمه وفرائضه وعزائمه، وأن البلاغة تفضي بكم إلى الكفر والإلحاد والبدعة والفساد؟ أم حسبتم أن تلك الأبيات العاطلة قد أفحمت ذلك المسلم العالم عن المجادلة والمناضلة؟ أما بعروقكم دم يهيجكم إلى حب الكلام الجزل الفخم؟... أدمغتم قد سُقيت اللحن والركاكة من وقت ذهابكم إلى الكتاب وقراءتكم فيه كتاب الزبور إلى أن تصيروا كهلاً ثم شيوخاً»^(١).

كُره الشدياق لرجال الكنيسة، وتندرته بجهلهم وتعصبهم قاده إلى نقد طقوس الكنائس المسيحية والتعجب مما يُتعجب منه فيها «لأهل الكنائس عادة أن يخرجوا في أيام معلومة بما في كنائسهم من الدُمى والتمثيل على ثقلها وضخمها، يحملونها على أكتاف المتحمسين في الدين، فيجرون بها في الشوارع وهم ضاجُّون، وأغرب من ذلك أنهم يوقدون أمامها الشموع حين يود كل إنسان أن يأوي إلى كهف في بطن الأرض من شدة توهج الشمس، وغير ذلك كثير مما حمل الفاريق على العجب»^(٢).

انتقل الفاريق إلى مالطا ثانية، ليعمل عند المبشرين

(١) المصدر السابق، ص (١٦).

(٢) الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، ص (١٨٦).

الأمريكان والإنجليز، وتحول فيها إلى البروتستنتية، وترجم في عام ١٨٤٠م كتاب «الصلوات» الذي يضم مجموعة من الترايم التي تتلى في الكنائس البروتستنتية، قبل أن تدعوه جمعية الكتاب المقدس في عام ١٨٤٨م إلى ترجمة الكتاب المقدس من الإنجليزية إلى العربية، فسافر إلى إنجلترا وفرنسا، وأنجز ترجمة كاملة له، وصفها المطران يوسف الدبس بأنها «أدق ترجمة عربية للكتاب المقدس»^(١)، لكنها أهملت فيما بعد بسبب إسلامه، واستعيز عنها بترجمة الفانديك الشهيرة الآن بين يدي مختلف الكنائس العربية.

ترجمة الشدياق للكتاب المقدس جعلته من أعلم الناس بدقائق الكتاب وعيوبه وألغازه، ووضعت أمام ناظره الكثير من الإشكالات الدينية التي سيجمع الكثير منها في عام ١٨٦٥م في كتاب سمّاه: «مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل»، ويقارن فيه بين إنجيل متى والأنجيل الأخرى في ١٧٦ نصاً، فيثبت ما فيها من تناقضات وغرائب وأخطاء، ثم يختمها بقوله: «ولقد أحسن رئيس كنيسة رومية كثيراً في منعه العامة من تلاوة هذه الكتب، فإن تاليها لا يلبث أن يرى ما فيها من المحال والمخالفة للواقع، ومن تلاها ولم يتبين له ذلك؛ فالأعمى أهدي منه سيلاً»^(٢).

(١) نقلاً عن «أحمد فارس الشدياق»، محمد الهادي المطوي (٢٨٧/١).

(٢) مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل، أحمد فارس الشدياق، ص (١٤٤).

كما كتب الشدياق بعد إسلامه كتاباً آخر يربو على ٧٠٠ صفحة في نقد الجزء الأول من الكتاب المقدس، أسماه: «المرآة في عكس التوراة»، وطلب من ابنه أن يحفظه؛ فلا يطبعه إلا بعد وفاته، فمات الكاتب، واحترق البيت، فضاع المخطوط.

وفي كتاب «الساق على الساق»، الذي كتبه الشدياق قبل إسلامه بستتين؛ كشف غيضاً من فيوض «المرآة» الضائع، فقد سطر فيه استنكاره لبعض ما جاء في الأسفار المقدسة من معلومات لا ترتضيها مخابر العقول المنعتة من أسر التقليد: «وقد ورد في التوراة حكاية عن الباري تعالى أنه قال: «تكاثروا واملؤوا الأرض» على مبالغة فيه؛ فإن ملء الأرض بشراً يوجب خرابها لا عمرانها»^(١).

وكتب يسأل مستنكراً بعض المعلومات التوراتية المستقبة عن الأنبياء: «أيجوز الآن لأمير الجبل إذا شاخ ولم يعد التدثر بالثياب يدفئه؛ أن يتكوى ببنيت عذراء جميلة أي يتدفأ بها ويصطلي بحرّ جسدها كما فعل الملك داود؟ [انظره في الملوك (١) ١/١-٣] أم يجوز له إذا حارب الدروز وانتصر عليهم أن يقتل نساءهم المتزوجات وأطفالهم ويستحيي أبكارهم؛ لتفجر بهن فحول جنده كما فعل موسى بأهل مدين على ما ذكر في الفصل الحادي والثلاثين من سفر العدد؟ أم يجوز له أن يتزوج بألف امرأة

(١) الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، ص (٤٩٨).

ما بين ملكة وسرية كما فعل سليمان؟ .. أم يسوع لأحد من الولاة أن يقتل من أعدائه كل رجل وكل امرأة وكل طفل رضيع كما فعل شاول بالعمالقة عن أمر رب الجنود؟ [انظره في صموئيل (١) ١٥ / ٢ - ٣]»^(١) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

تحدث الشدياق يوماً إلى بعض جلسائه من أبناء دينه، فقال معلماً وموبخاً: «وأما الفهم فما إخالكم تفهمون ما تقرؤون في التوراة .. ما معنى الغُرلة حين طلب شاول من داود أن يمهر ابنته مائة غُرلة^(٢) من أهل فلسطين؟ فمضى داود وقتل منهم مائتين، وجاء بغُلْفهم إلى شاول [انظره في صموئيل (١) ١٨ / ٢٧] .. ههنا نساء، وأخشى أن أفسر لكم معنى اللفظة فتنبض النساء»، وقد فسرته مرة لهن، فما كان من إحدى النساء إلا أن أخذت الكتاب ورمته به الأرض، وقالت: «معاذ الله أن يكون هذا الكلام كلام الله»^(٣).

وفي كتاب «الساق على الساق» - وهو أحد أهم كتب الشدياق - يلحظ القارئ نقداً مريراً للنصرانية وكتبها وأحوال رجال دينها، وفي مقابله يظهر ميل واضح من الكاتب إلى الإسلام والمسلمين، فقد كتب يقارن بين المسلمين وقومه النصارى: «والظاهر أن جميع الإفرنج يجزعون عند المصيبة، ولا يفوضون أمرهم إلى الله، وإن

(١) المصدر السابق، ص (١٣٢).

(٢) الغُرلة هي ما يقطع من عضو الذكر عند ختانه.

(٣) نقلاً عن أحمد فارس الشدياق، محمد الهادي المطوي (٧٢٣/٢).

تلبسوا بالعبادة، واتصفوا بالجرأة؛ على أنهم لا يكادون يُفجَعون بموت أحد إلا ويتناسونه، فالاستسلام لقضاء الله إنما هو من خصوصيات المسلمين، وكفى بلفظة الإسلام دليلاً عليه»^(١).

وتحدث في «الساق» عن نصارى الشام وتأثرهم بعادات المسلمين الحسنة، فقال: «ومما ينبغي أن يذكر هنا أن النصارى المولودين في بلاد الإسلام الناهجين منهج المسلمين في العادات والأخلاق؛ هم أبداً دونهم في الفصاحة والأدب والجمال والكياسة والظرافة والنظافة؛ إلا أنهم [أي النصارى] أنشط منهم على السفر والتجارة والصنائع، وأكثر إقداماً وجلداً على تعاطي الأعمال الشاقة، وذلك أن المسلمين أهل قناعة وزهد، وفي النصارى شره عظيم»^(٢).

وحين ذكر الشدياق النبي ﷺ في مواضع عدة من كتابه «الساق على الساق»، فإنه كان يصلي عليه ويسلم تقديراً وإجلالاً، ولا يتردد في تسميته (النبي)، ومنها قوله متعجباً من تكبر الترك على العرب: «ولم أدر ما سبب تكبر هؤلاء الترك هنا على العرب. مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عربياً، والقرآن أنزل باللسان العربي، والأئمة والخلفاء الراشدون والعلماء كانوا كلهم عرباً؛ غير إنني أظن أن أكثر الترك يجهل ذلك. [ثم ذكر شيئاً من كلام

(١) نقلاً عن المطوي (٧٢٢/٢).

(٢) الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، ص (٢٠٥).

الترك بلغتهم، وعقب بالقول: [لا والله، ما هذا كان لسانَ النبي ولا لسانَ الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين رضي الله عنهم أجمعين إلى يوم الدين، آمين وبعده آمين»^(١)، فمثل هذا الكلام البديع لا يصدر إلا من محب مفتخر بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام.

دعاه محمد صادق باشا باي تونس - وهو لقب للمتصرف فيها حينذاك - فزارها، والتقى فيها شيخ الإسلام في الديار التونسية محمد بن الخوجة، وجرت بينهما مباحثات، انتهت بإسلام الشدياق في عام ١٨٥٧م، فأضاف لاسمه اسم النبي ﷺ، ليصبح: «أحمد فارس الشدياق»، وليبدأ في الذود عن الإسلام عبر جريدته «الجوائب» التي غدت قُنية لا غناء عنها عند المثقفين والسياسيين في عواصم الغرب والشرق.

وفي «الجوائب» نافح الشدياق عن الإسلام طويلاً، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، فقد كتب في مسألة طال نقاش المثقفين حولها حينذاك، وهي مسألة تمدن الإسلام وملاءمته للمدنية الحديثة: «هل من مصغٍ أو سامع أن في الناس من يدعي أن المنهج الإسلامي لا ينطبق على قواعد التمدن، وأهل هذا المنهج لا يُجوزون انفكاكه عنه»^(٢).

(١) المصدر السابق، ص (١٦٩-١٧٠).

(٢) نقله المطوي عن «الجوائب» (٧٤٢/٢).

وفي مقابله حذر الشدياق المسلمين من الانغراس بمظاهر التقدم في الغرب، والربط بينها وبين النصرانية، فإنك «إذا أمنت النظر في كنه ديانة النصارى؛ وجدتّها تنهى عن التمدن وعن الإقبال على المساعي الخطيرة؛ فإنه قد ورد في الإنجيل حكاية عن سيدنا عيسى أنه أمر تلاميذه بأن لا يهتموا بالغد.. ولأجله كانت النصارى في القرون الأولى زاهدة في الدنيا، لا تنهض إلى مكرمة، ولا تبالي بمحمدة، وهناك أيضاً آيات أخرى كثيرة في الأناجيل الأربعة وفي رسائل الحوارين مآلها كمال الآية السابقة في الحض على الخمول والانزواء وعدم الحرص على المصالح المعاشية»^(١).

ولما بلغ الشدياق خبرُ تنصر أحد المسلمين؛ كتب أن هذا المتنصر «من عامة الناس الذين لا يفرقون بين قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وبين قول المزامير: «استيقظ يا رب. لماذا تنام» [انظره في المزمور ٤٤ / ٢٣] .. نحكم أن عدوله عن التوحيد إلى التثليث لم يكن عن بصيرة ورشد وبحث عن الحقائق، بل كان عن هوى النفس الذي ران عليه»^(٢).

ترك الشدياق مكتبة غناء في علوم العربية وأدب الرحلات، منها ما أشرنا إليه قبل من كتب مائعة، ومنها

(١) المصدر السابق (١/٢٢٠).

(٢) المصدر السابق، نقله عن «الجوائب» (٢/٧٤٢).

أيضاً كتابه «الجاسوس على القاموس»، انتقد فيه معجم القاموس المحيط للفيروزبادي، وكتب في علم النحو «غنية الطالب»، و«سر الليال في القلب والإبدال»، و«اللفيف في كل معنى طريف»، وغيرها من الكتب التي تكشف عن موهبة بالغة وقلم سيال، وبالعلم النافع مدرار، كما كان الشدياق فارساً لا يجارى في عذوبة الشعر وجودة القصة والمقال، وفي ديوان شعره ما يربو على ٢٢ ألف بيت من أكايل الشعر وعيونه، ونقتبس منه قوله:

الحق يعلو والصلاح يعمر
والزور يُمحَق والفساد يدمر
والبغي مصرعه ذميم لم يزل
آتيه عرضة كل سوء يشبر
والوغد تبطره من النعم التي
يغنى بها الحرّ الكريم ويشكر

في عام ١٨٨٧م توفي أحمد فارس الشدياق في القسطنطينية، ونقل جثمانه إلى بيروت، وصلي عليه بالمسجد العمري بحضور جمع من الأعيان والأدباء.
رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

البرفسور (عبد الأحد داود) بنجامين ديفيد

قليلون أولئك الذين يتركون بصماتهم في العلوم التي يتناولونها، والغالب من المؤلفين والكتاب يكتفي بترداد ما سبقه إليه الآخرون.

البرفسور عبد الأحد داود واحد من أولئك القليل الذين قدموا دراسات متميزة لا يقدر باحثٌ موضوع الجدل الديني على تجاهلها أو التغافل عنها.

ولا عجب، فعبد الأحد داود هو القس السابق ديفيد بنجامين، قس لاهوتي تربع على أعلى المراتب الأكاديمية واللاهوتية، كما أتقن (العبرية واليونانية) اللغات الأصلية للكتاب المقدس والتراث النصراني؛ إضافة إلى إلمامه بالعربية والفارسية والتركية.

ولد القس بنجامين في إيران في أواسط القرن الميلادي التاسع عشر، في أسرة نصرانية تنتمي إلى طائفة الكلدانين التي تتبع الكنيسة الكاثوليكية^(١)، وقد تلقى تعليمه الأكاديمي واللاهوتي في كلية «بروبو غاندافيد» في روما، قبل أن يصبح كاهناً في عام ١٨٩٥م، ثم يشيخ صيته من خلال كتاباته العلمية في الصحف والمجلات الدينية التي تسابقت إلى نشر مقالاته وأبحاثه.

عمل القس بنجامين منذ نشأته في الإرساليات التبشيرية البريطانية ثم الفرنسية، وزار روما وغيرها من العواصم

(١) رغم مخالفتها لها في بعض المعتقدات، كإنكار الكلدانين للتثليث.

الأوربية، كما اختير لتمثيل طائفته في مؤتمر "القربان المقدس" الذي عقدته الطوائف الكاثوليكية في مدينة "باري لو مونيال" في فرنسا.

في اليوم الأول من القرن العشرين، ألقى القس بنجامين موعظة شهيرة، حضرها جمع غفير من النصارى، وكان موضوعها حث النصارى على نشر النصرانية وتجديد أساليبهم بما يناسب القرن الجديد، وقبل أن تتصرم أيام هذا العام؛ أوصلت الشكوك بالدين القس بنجامين إلى اتخاذ قرار مهم باعتزال العمل التبشيري بعد عزلة دامت شهراً؛ قضائها حبس شكوكه وريبه، وأمضاها في بيته بين كتبه ومراجعته وتأملاته.

بدأ القس بنجامين تمرده على الكنيسة حين قلب النظر في عقيدة نصرانية مهمة، وهي الشفاعة والخلاص، إذ استشنت فطرته الزعم بأن الله لا يخلص أحداً من النار إلا بالمسيح الشفيع الذي يجمع بين الإنسانية والإلهية، وأن هذا الخلاص من الجحيم تم بصلب المسيح وعذباته على الصليب تكفيراً لخطايا المذنبين!

وليس هذا فحسب، فثمة شفعاء كثر تدعو الكنيسة لطلب الخلاص على أيديهم، كمريم عليها السلام التي يعبدها الكاثوليك، ويتقربون إليها بتوسلاتهم وتضرعاتهم وصلواتهم؛ إضافة إلى عبادة الملائكة والحواريين والرهبان الذين يغفرون للناس في الكنائس ويتقبلون منهم نذورهم وقرابينهم وطقوسهم، ويعتقدون أن لا خلاص حتى لأصحاب

الأعمال الصالحة إلا بتدخل هؤلاء وشفاعتهم وصلواتهم.
هذه المسألة كما يقول عنها القس عبد الأحد «هي التي
حيرتني، وأورثتني الريب في صحة المسيحية، وساقنتني إلى
البحث الدقيق وفحص أسس الأديان بحرية»^(١).. ذهن وقاد
لا يقبل هزيمة القسس ولا يقتات الأوهام والسراب ..
يحسبه الظمان ماء.

الدراسات أوصلت القس الخريت إلى أن هذا المعتقد
يتعارض مع العدل الإلهي مرتين، أولاًهما: أنه يقتضي
إفلات المجرم من العقاب بتدخل غيره لمصلحته، والثانية:
إدانة وهلاك صاحب العمل الصالح الذي لن يجد وسيلة
للخلاص - وفق المنظور الكنسي - إلا شفاعة الشفعاء
المزعومين الذين يحتفظون بهذا الحق؛ وهو ما يجعلهم -
لو صدقوا - أولى بالشكر والدعاء من رب العالمين، يقول
رحمه الله مستكراً: «إلى من سيكون الخاطئ المغفو عنه
والعتيق المخلّى سبيله أكثر امتناناً؟ وإلى من يكون مديناً
بالشكر؟ إلى الله أم إلى المخلص؟ بالطبع إنه يحمل أكبر منّة
وأكثر محبة نحو الشفيع المطلق، وبأي واسطة كانت
فسيكون المجرم مديناً بالشكر إلى الأبد إلى الشفيع مخلصه
من سكين الجلاد، من حيث يذكر القاضي بإهلاكه دائماً
بصفات القهر وحب الانتقام»^(٢)، وهكذا فالشفاعة المطلقة
عن طريق البشر معتقد ينسب إلى الله تعالى زوراً: «الضعف

(١) الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود ، المكتبة الشاملة ، نسخة إلكترونية.

(٢) المصدر السابق.

والجهل والظلم وسوء النية ..»^(١).

زار القس ديفيد بنجامين بريطانيا في عام ١٩٠٤م، وانتمى إلى جمعية دينية موحدة فيها، ثم عاد إلى إيران متوقفاً في استانبول ، فالتقى فيها بجملة من العلماء المسلمين، وعلى رأسهم شيخ الإسلام جمال الدين أفندي، وحاورهم وتباحث معهم، ولم يغادرها إلا وقد انصدع بالحق قلبه على غير ميعاد، وأعلن إسلامه، وتسمى بعبد الأحد داود.

سئل رحمه الله: كيف صرت مسلماً؟ فكتب معترفاً بفضل ربه ومولاه: «إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يُعزى لأي سبب سوى عناية الله عز وجل، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية، واللحظة التي آمنت بها بوحدانية الله وبنبيه الكريم صلوات الله عليه، أصبحت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن»^(٢).
ألف العلامة البرفسور عبدالأحد داود كتابين فريدين في موضوعهما: أولهما «الإنجيل والصليب»، والثاني

(١) وبخلاف الشفاعة المطلقة، فإن البرفسور عبدالأحد داود يقر بصحة الشفاعة المقيدة التي يعطيها الله للأنبياء والمرسلين وغيرهم من الصالحين، لكن ذلك كله مرهون برضا الله تعالى، وهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله الشفاعة فيه ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ (الأنبياء: ٢٨)، ولذلك فإن الناس يطلبون حاجاتهم من الله؛ لا من الشفعاء الذين لا يقدرون على الشفاعة إلا بإذن الله ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ (البقرة: ٢٥٦).

(٢) الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود ، المكتبة الشاملة ، نسخة إلكترونية.

«محمد ﷺ في الكتاب المقدس».

أما الكتاب الأول فيحكي فيه الشق الأول من رحلته إلى الهداية؛ إذ يقول: «ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصةً خرافية، وأن الأنجيل الأربعة مع كونها ليست تأليف المسيح ذاته؛ لم توجد في زمانه، بل وُجدت بعد وفاة الحواريين بزمان طويل، وأنها وصلت إلينا بحالة محرفة لعبت بها الأقلام، وبعد هذا كله اضطررت إلى الإيمان والاعتراف من كل عقلي وضميري بأن سيدنا محمداً ﷺ نبي حق، ولم أستطع التخلف عن ذلك»^(١)، وقد أشبع رحمه الله ذلك تفصيلاً وتديلاً؛ بتتبع تاريخ كتابة الأنجيل وبيان أحوالها ومجهولية مؤلفيها.

وأما كتابه الثاني «محمد ﷺ في الكتاب المقدس» فهو الكتاب الأهم، وفيه أبدع البرفسور عبدالأحد في استخلاص البشارات بالنبي ﷺ من العهدين: القديم والجديد؛ اللذين يؤمن بهما اليهود والنصارى، ولم تستطع كُتبان التحريف ولا أحوال التبديل - التي تلتخ كل صفحة من صفحاتهما - أن تعيق بحثه القيم، الذي كتبه معزراً بمعرفته الكتابية، وإجادته للغات القديمة التي كُتِب بها الكتاب المقدس؛ إضافة إلى اطلاعه الكبير على مختلف الترجمات القديمة والحديثة، وقدرته على التحليل الصحيح.

(١) المصدر السابق.

فالقرآن أخبر ببشارة الكتب السابقة بنينا ﷺ: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (البقرة: ١٤٦)، ومصدق هذه الآية لم يكن ليخفى على الخبير عبد الأحد داود، الذي لملم شعث هذه النبوءات من الأسفار المقدسة، وقدمها لقرائه في كتابه الماتع، فاسم النبي ﷺ (أحمد) يزين سفر النبي حجي في الإصحاح (٧/٢)، حيث تقول الأصول العبرانية لهذا السفر التوراتي «וְהָרַעְנָתִי אֶת-כָּל-הַגּוֹיִם וְכָאֵן חֲמִדַּת כָּל-הַגּוֹיִם וּמִלֵּאֲתִי אֶת-הַבֵּית הַזֶּה בְּבוֹד אֶמֶר יְהוָה לְבָאֹת»، ومنطوقها: «أوفاهو حِمَدَات كُول هَاجَوِييم»، وترجمته الحرفية: «يأتي حِمَدَات لكل الأمم»، فحِمَدَات (חֲמִדָּת) هو الصيغة العبرية لاسم النبي ﷺ (أحمد)، وقد أطبقت التراجم المختلفة للكتاب على إخفائه وتحريفه، فاعتبرت كلمة «حِمَدَات» صفة؛ لا اسماً، وترجموها في التراجم العربية: «ويأتي مشتهى كل الأمم»^(١)، إنه محمد ﷺ.

كما ذكرت الأسفار المقدسة - عند اليهود والنصارى - النبي ﷺ في نص آخر، وذلك في القول المنسوب إلى النبي يعقوب عليه السلام، فقد جمع أبناءه وأخبرهم بما

(١) محمد ﷺ في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص (٥٠-٥١)، ويستدل لصحة قوله بنقل النص العبري لقوله: «لا تَشْتِه بَيْت جارك» (الخروج ١٧/٢٠)، وهو في العبرية «لو تَحْمُود بيت ريعيخا».

يصيهم في آخر الأزمان، فقال: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشتري من بين رجله حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب» (التكوين ٤٩/١٠)، والنص في ترجمة "البشيتا" السريانية: «حتى يأتي الشخص الذي يخصه»، أي الملك والشرعة، وتفسيره نبوءة صريحة عن نبي من غير بني إسرائيل، ينتهي بمجيئه قضيب يهوذا، أي يزول أحقية ملوك بني إسرائيل - الذين هم من سبط يهوذا - بالملك الذي قد زال عنهم حقيقة من قبل ذلك، وكذلك تنسخ بمقدمه ﷺ شريعتهم بشريعته الجديدة، وهو ﷺ «شيلون» الذي تخضع له الشعوب، فقد دان لأمته العرب والروم والفرس، وخفقت راياته على أقاصي الدنيا شرقاً، وأمواج بحارها غرباً^(١).

واسم (شيلون) - بحسب العلامة عبد الأحد - مشتق من إحدى الكلمات العبرانية (شَلَه) التي تعني المسالم أو الهادئ، أو من كلمة (شَلوه) التي تعني المرسل، أو (شيلواح) التي تعني رسول الله^(٢)؛ وأياً كان الاشتقاق الصحيح للكلمة (شيلون)؛ فإن النبي ﷺ هو الشخص الوحيد الذي تنطبق عليه النبوءة التوراتية التي لن يجد أهل الكتاب في سجلات التاريخ الإنساني الطويل من حققها، فبعبثته ﷺ رفع الله من بني إسرائيل التفضيل الذي أعطاهم

(١) انظر المصدر السابق، ص (٨١).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (٧٩-٨٠).

بسببه الحكم والشرعة (قضيي، مشرع) ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَايَنَاهُمْ بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنفَعُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الجاثية).

ومن النبوءات التي يراها القس المهتدي دالة على نبوة النبي ﷺ، ما جاء في مطلع الإصحاح الثالث من سفر ملاخي من بشارة بمجيء نبي يسميه السفر (ملاك العهد الذي ينتظره بنو إسرائيل)، فيقول: «هأنذا أرسل ملاكي، فيهيء الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله: السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تُسرُّون به، هو ذا يأتي، قال رب الجنود»، فملاك العهد - بحسب البرفسور عبد الأحد - هو محمد ﷺ الذي قدِم إلى المسجد الأقصى فجأة في يوم الإسراء والمعراج^(١).

أربعون سنة قضاها عبد الأحد داود في الإسلام، وفي عام ١٩٤٠م رحل عن الدنيا رحمه الله، وقد أبلى فيها بلاء حسناً، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وجمعنا به في الصالحين.

(١) انظر المصدر السابق، ص (٥١-٥٢).

المستشرق (ناصر الدين) ألفونس إيتين دينيه

لن يكون مفاجئاً أن يصل إلى الإسلام فنان موهوب وكاتب أريب يوازي ألفونس إيتين دينيه الذي تزين لوحاته البديعة متاحف أوروبا ومعارضها؛ شاهدة بذوقه الرفيع المرهف الذي توجّه بالدخول في الإسلام ونصرته.

وُلد ألفونس إيتان دينيه في (باريس) عام ١٨٦١م لأبوين نصرانيين كاثوليكين، ربياه على حب الدين والتردد على الكنيسة، ليدرس فيما بعد في كلية الفنون الجميلة في باريس، وسرعان ما ظهرت موهبته، فغزت أعماله الفنية جدران المعارض، وزاحمت الفنانين الموهوبين في أروقة المتاحف، لتتوالى عليه الأوسمة والجوائز التي كان منها: الوسام الفضي الذي ناله في المعرض العالمي المقام بباريس عام ١٨٨٩م.

توالي النجاحات في حياة دينيه الدنيوية لم يبدد قلقاً كامناً يعتلج في جوانحه كلما تأمل في معتقده، ويطرّد كلما قلب الفكر في صفحات كتابه المقدس، ففطرته السوية لا تقدر على تقبل فكرة الغفران الكنسي بدم المسيح البريء، كما يرفض عقله الكبير فكرة عصمة البابا، ويتيه في فهم مراده ومراد أتباعه في شخص المسيح عليه السلام، هل هو الله؟ أم ابنه؟ أم هو بشر فحسب؟

وكم تساءل دينيه: كيف يكون المسيح إلهاً، والإنجيل شاهد بعدم معرفته عليه الصلاة والسلام بموعد الساعة؟

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن؛ إلا الآب» (مرقس ١٣/٣٢).

رجع ألفونس دينيه إلى الإنجيل، فأصابه بالصدمة ما قرأ فيه عن المسيح عليه السلام، حيث تسيء إليه الأناجيل، فظهره مرة بمظهر العاق لأمه (يوحنا ٤/٢)، ثم تقدمه مرة أخرى في صورة الشخص الجافي الذي لا يتوانى عن لعن شجرة تين أتاها فلم يجد بها ثمرًا (انظر متى ٢١/١٩ - ٢٠)، ثم تبّلع الرزية غايتها في قصة المرأة الكنعانية التي جاءت تستشفى لابنتها، فأسمعها المسيح - بحسب الرواية الإنجيلية - أقسى العبارات العنصرية: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة... ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» (متى ١٥/٢٥-٢٧).

وزاد من ألم ألفونس إيتين وشقائه القول الذي ينسبه لوقا للمسيح «إن كان أحد يأتي إليّ، ولا يبغض أباه وأمه وأولاده وإخوانه، حتى نفسه أيضًا، فلا يقدر أن يكون تلميذًا» (لوقا ١٤/٢٦ - ٢٧)^(١).

الدراسة والبحث أوصلتا دينيه إلى نتيجة يلخصها أن «الديانة الكاثوليكية لا تحتل البحث والمناقشة، وقد أظهرت الأدلة العديدة - سواء أكانت أخلاقية أم تاريخية أم علمية أم لغوية أم سيكلوجية [سلوكية] أم دينية - أن

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلًا عن «أوروبا والإسلام»، ص (٨٨-٩٢).

الكاثوليكية ملائ بالآغلاط الواضحة»^(١).

حاول دينيه التغلب على قلقه بإعمال عقله في البحث عن الحقيقة، لكن أعياء الوصول إلى الحقائق الكبرى بغير هدي النبوة وسناها، فالعقل الإنساني محدود، وهو عاجز عن السير بمفرده في غياهب الغيبات التي طاشت عندها عقول من سبقه من العقلاء.

تلقت دينيه حوله فوجد الكثيرين من الحيارى من أبناء جنسه قد وجدوا ضالتهم في الإسلام، فاعتنقوه، ومنهم اللورد هيدلي الذي يقول: «إنني اعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء أيضاً مسلمون قلباً، ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير؛ تأمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم»^(٢).

وقعت بين يدي دينيه - ذات مرة - مجلة «المجلة الإسلامية»، وهي مجلة شهرية يصدرها مسلمون أوروبيون، فقلب صفحاتها متمعناً في مقال عنوانه «لماذا أسلم بعض الإنجليز وغيرهم من الأوروبيين؟».

وقد أجاب كاتب المقال: «لأن الأوروبيين يتلمسون عقيدة سهلة معقولة علمية في جوهرها، لأننا معاصر الإنجليز نتبجح بأننا أكثر أهل الأرض تشبهاً بالعمل، عقيدة

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن المصدر السابق، ص (٩٥).

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن المصدر السابق، ص (١٧٥).

تكون ملائمة لأحوال جميع الشعوب وعاداتهم وأعمالهم،
عقيدة دينية صحيحة يقف بها المخلوق أمام الخالق؛ بدون
أن يكون بينهما وسيط»^(١).

تساءل ألفونس دينيه عن إمكانية أن يكون الحق في
الإسلام كما يزعم صاحب المقال، ثم حمل حقيته في
عام ١٨٨٤م ميمماً شطر الجزائر والمغرب العربي، فتنقل
بين مدائنهما، وتحدث وناقش أهلها متأملاً في معاشهم
ودينهم؛ فاكشف بطلان ما زعمه المستشرقون حول
الإسلام: «العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل
التفكير كما كان يروج الكثير من المستشرقين، فمن
الممكن أن يكون المرء صحيح الإسلام، وفي الوقت نفسه
حر التفكير»^(٢).

أحب دينيه الجزائر وأهلها، وأعجب بدينها، واستوطن
مدينة بوسعادة منذ عام ١٩٠٥م، وفيها أعمل ذهنه في
إجراء المقارنات بين الإسلام والمسيحية، واستطاع
تسجيل مفارقات مهمة، منها:

- أن النصرانية لا تستنكف عن تصوير الله (ياهو) على
جدران كنائسها؛ بينما لا يجرؤ مسلم على نحت أو رسم
صورة لله الأحد الصمد الذي ليس له شبيه، ولم يكن له
كفوّاً أحد.

(١) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه؛ ص (٤٠٢).

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن «أوروبا والإسلام»،

ص (٩٩).

- ومنها أن الإسلام هو دين العلم والحضارة، وأعجبه قول المسيو كازانوف: «نبي الإسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة. فأى رئيس ديني كبير أو أي قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي الفاصل المتين؟!»^(١)، وقد شكلت تلك الكلمات النبوية منطلقاً لحضارة المسلمين التي ينقل دينيه نماذج من إبداعها في فنون العمارة والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والجراحة، وهي علوم استقت منها أوروبا في فجر انطلاقتها الحديثة، وقد «أدهشت كل تلك العجائب عقول أوروبا حتى في أعنف أيام عدائهم للإسلام»^(٢).

ومما أدهش دينيه في حضارة المسلمين، ما رآه من قيم الفروسية عند المسلمين، فبينما كان الغرب يتغنى بفروسية سانت لويس؛ فإن العالم بارتلمي سانت هيلر يقول في كتابه «الشرقيون وعقائدهم»: «العرب هم الذين يرجع إليهم الفضل على سادات أوروبا وفرسانها في القرون الوسطى في تعديل عاداتهم الخشنة وتلطيفها، ثم تعليمهم رقة العاطفة، وتهذيب نفوسهم، والرفعة بها إلى حيث الإنسانية والنبل»^(٣).

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن المصدر السابق، ص (١٠٥).

(٢) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه؛ ص (٣٧٢).

(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن «أوروبا والإسلام»، ص (١٠٦).

ويضرب دينيه مثلاً لذلك الخلق الرفيع بما صنعه والي قرطبة (١١٣٩م) حين حاصر طليطلة، فأرسلت إليه الملكة بيرنجير أن ليس من المروءة والفروسية أن يحارب الفارس النبيل امرأة، فرجع الأمير الأندلسي إلى قرطبة وكف عنها^(١)، ليكونَ وأبناء حضارته أساتذة أوروبا في الخلق النبيل، فيستوجب صراحاً عالياً ملؤه الألم والحسرة والشعور بالخيبة من القس ميشون في كتابه «سياحة دينية في المشرق»: «إنه لمن المحزن بالنسبة إلى الدول المسيحية؛ أن يكون المسلمون هم الذين علموها مبادئ التسامح الديني، الذي هو الناموس الأكبر للرحمة والإحسان بين الأمم»^(٢).

رحلة البحث عن الحقيقة وصلت إلى محطتها الأخيرة في عام ١٩١٣م، حين أعلن ألفونس دينيه إسلامه في مدينة الجزائر في حفل بهي حضره مفتي الجزائر، وتسمى بناصر الدين، وقال: «لم يكن اعتناقي الإسلام وليد الصدفة، بل عن دراية تامة، ودراسة تاريخية عميقة طويلة الأمد لجميع الديانات»، وقال: «عرفت الإسلام فأحسست بانجذاب نحوه وميل إليه، فدرسته في كتاب الله، فوجدته هداية لعموم البشر، ووجدت فيه ما يكفل خير الإنسان روحياً ومادياً، فاعتقدت أنه أقوم الأديان لعبادة الله، واتخذته ديناً، وأعلنت ذلك رسمياً على رؤوس الملائكة».

ناصر الدين اسم على مسمى؛ فبعد إسلامه كتب ناصر

(١) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه؛ ص (٣٧٩).

(٢) المصدر السابق؛ ص (٣٨٨).

الدين مجموعة من الكتب الرائعة التي تذب عن الإسلام وتنصره، وفي طليعتها كتابه «محمد رسول الله»، وقد كتبه بعد سنتين من إسلامه؛ بالاشتراك مع صديقه الجزائري سليمان بن إبراهيم باعمر، وفضحا فيه طرائق المستشرقين في التأليف، وزيف دعواهم في الحياد الموضوعي، ف«الصرح الذي شيده المستشرقون في سيرة الرسول إنما هو صرح من الورق قد أقيم على شفا جرف هار»، لذا أعرض ناصر الدين عن كتاباتهم، فلم يضمناها في مراجعه: «لن يجد القارئ بين دفتي هذا السفر شيئاً من تلك المذاهب الغربية الغالية التي تعمل على هدم السنة التي شغف بها حباؤ أولئك المستشرقون المعاصرون بما لهم من غرام بكل ما هو بدع من الرأي أو غريب؛ على أن تلك المبتدعات التي دخلت عن هذا الطريق .. قد أتاحت لنا أن نكشف عن أنها كانت أحياناً وليدة كراهية شديدة للإسلام؛ يصعب التوفيق بينها وبين العلم، ولا تليق بعصرنا هذا»^(١).

لقد استبدلها ناصر الدين بالمراجع الإسلامية الأصلية - وبخاصة سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد - وكشف عن سر الفيروس الذي يعطب أقلام المستشرقين، ويصيبها بجنون القلم، فهم يؤمنون ب«منهج العكس.. يأتي [المستشرق] إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء، فيقلبها متعمداً إلى عكسها، وكلما كان الخبر أوثق؛ بدت - قوية جامحة - الرغبة في

(١) المصدر السابق؛ ص (٥٣-٥٤).

البراعة في ذلك.. معتمداً على مبدأ يقول: (إن البشر يعملون على كتمان عيوبهم والظهور بنقيضها)^(١)، وضرب ناصر الدين لذلك أمثلة، منها ما صنعه المستشرق البلجيكي هنري لامانس، الذي وصف النبي ﷺ في كتابه «هل كان محمد صادقاً؟» بأنه أكل؛ عكساً لما جاء في السنة عن زهد النبي ﷺ وطول جوعه، وكثرة صيامه، وقلة الطعام في بيته!!.

وكذلك لم يستح لامانس من وصف النبي ﷺ بأنه نؤوم، وفق فهمه المعكوس لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي إِلِيلٍ وَنُصْفَهُ، وَثُلَاثُهُ﴾ (المزمل: ٢٠) وعكساً لما جاء في سيرته العطرة ﷺ من تورم قدميه لطول القيام.

وفي مقابل هذا؛ فإن المنصفين من المستشرقين سجلوا شهادات مضادة، منها قول المؤرخ الشهير غوستاف لوبون: «إذا كانت قيمة الرجال تقدر بعظمة أعمالهم؛ فإنه يكون من المستطاع أن تقول: إن محمداً كان من أعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ»^(٢).

كما ألف دينيه في الفكر والدين كتابه: «أشعة خاصة بنور الإسلام»، وفيه شرح مسهب لما أعجبه في الإسلام، وألف كذلك «الشرق كما يراه الغرب» و«محمد رسول الله»، وكتابه في الرد على لامانس «إنك في واد ونحن في واد». ولدينيه في الأدب مجموعة من الكتب، وهي «حياة

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن «أوروبا والإسلام»، ص (١٢٨).

(٢) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه؛ ص (٣٥٨).

الصحراء» و«السراب»، و«شعر عتتر»، و«آفات الألوان»، و«لعبة الأضواء»، و«ربيع القلوب».

وأما آخر كتب دينيه «الحج إلى بيت الله الحرام»، فقد كتبه قبل وفاته بشهور، فقد حج في عام ١٩٢٩م، ثم كتب هذا الكتاب الذي وصفه الأمير شكيب أرسلان بأنه «من أبدع ما كتب في هذا العصر»، وقدم فيه نقداً للكتابات الاستشراقية عن رحلة الحج، وضمنه دينيه مشاعر فياضة غمرته بين جنبات البيت العتيق وأمام قبر النبي ﷺ.

وقبل أن تغيب شمس الأسبوع الأخير من عام ١٩٢٩م، توفي ناصر الدين في مرسيليا الفرنسية، ونقل جثمانه إلى الجزائر ليدفن في بوسعادة؛ إنفاذاً لوصيته: «يجب أن تشيع جنازتي طبقاً للتعاليم الإسلامية، لأنني اعتنقت الإسلام بكل إخلاص منذ عدة سنوات، وكرست كل منجزاتي ومجهوداتي لتمجيد الإسلام.. يجب أن تدفن جثتي في المقبرة الإسلامية بمدينة بوسعادة التي أنجزت فيها القسم الأعظم من لوحاتي»^(١).

رحم الله دينيه القائل: «لقد أكد الإسلام من الساعة الأولى لظهوره أنه دينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر، وهو لهذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة»^(٢).

(١) منشور صورتها بخطه على شبكة الإنترنت. انظر: ملتقى البشارة الدعوي.

(٢) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه ص (٣٤٥).

(محمد أسد) ليوبولد فايس

لم يكن اليهودي ليوبولد فايس بعيداً في فهمه للإسلام عما كان رائجاً في بداية القرن العشرين في موطنه النمسا وغيرها من بلدان أوروبا، حيث تشيع صورة نمطية مغلوطة تفتت على المسلمين تأثيراً بالكتابات والتجيش الفكري الذي أفرزته الحروب الصليبية عن الإسلام.

درس ليوبولد فايس الفلسفة والفن في جامعة فيينا، ثم اتجه للصحافة، وعمل مراسلاً لوكالة أنباء اليونايتد تلغراف.

دعاه خاله الدكتور دوريان لزيارته في القدس في عام ١٩٢٢م، فكانت أول زيارته إلى المشرق الإسلامي، وخلال وجوده في القدس خاض ليوبولد الكثير من الحوارات مع إخوانه اليهود حول أحقية الشعب اليهودي في أرض فلسطين، ولكم فاجأهم بأسئلته المنطقية التي أكدت سبق العرب إلى بناء الحضارة على هذه الأرض واستحقاقهم للعيش عليها بحرية وكرامة، لقد رفض ليوبولد - رغم يهوديته - سرقة الأرض من أصحابها تحت ذريعة عنصرية بغیضة.

محطات مهمة في حياة ليوبولد نبهته إلى ما يكتنزه الإسلام من قيم لا غناء للعالم عنها، وبخاصة الغرب الذي فقد بعد الحرب العالمية الأولى كثيراً من القيم والمعاني، وتحول الناس إلى الانغماس الدنيوي والبحث عن الرخاء والمصالح الخاصة، وتناسي القيم الدينية والروحية.

في القدس رأى ليوبولد المسلمين وهم يصلون،
فتساءل عن فائدة هذه الحركات الجسدية، وكيف لها أن
تهذب الروح، وسأل صديقه العجوز (الحاجي): أما كان
الأولى من ذلك الاكتفاء بساعة صفاء روحي؟

فأجابه الرجل ببساطة: الله خلق الجسد والروح معاً،
أيحسن أن تعبده أرواحنا وتمتنع عن ذلك أجسادنا؟ إجابة
مقنعة شافية، طرّب لها ليوبولد، فقد كشفت له عن ثنائية
الربط بين الروح والجسد في القرآن، إذ لا فصل بينهما،
فالإنسان روح وجسد يترابطان بغير تناقض ولا انفصال.

رفض ليوبولد الاستسلام للفكرة الشائعة عند الغربيين
التي تربط بين الإسلام وما تعانيه بلاد المسلمين من مظاهر
التأخر والتخلف التقني، ورأى أن الموضوعية والإنصاف
يفرضان عليه قراءة القرآن والاطلاع عليه، فعكف على
قراءته وغيره من الكتب الإسلامية خلال زيارته لدمشق،
ليكتشف البون الكبير بينه وبين كتب أهل الكتاب، فالقرآن
يختلف عنها، فليس فيه خطيئة أصلية يرتكبها أبو البشرية
آدم فتكبل الجنس البشري من بعده إلى قيام الساعة،
فيولدون مسرلين بالخطيئة معاقبين عليها، وهم الذين لم
يحضروها، ولم يكن لهم رأي فيها.

وليس في الإسلام رجال دين يقومون بدور الوسيط
بين الله وخلقهم صعوداً ونزولاً، فما من أحد يغفر للمذنب
إلا الله، وما من حاجة للعبد إلى وسيط يرفع من خلاله
دعواته إلى الله.

رجع ليوبولد إلى وطنه النمسا وهو يحمل الكثير من معاني الود والحب والإعجاب بالمسلمين، وقد لفتت انتباهه قيم العدالة الاجتماعية بين المسلمين وما يمتازون به من كرم الضيافة وطيب المعشر وجميل التواضع والصفاء والبساطة؛ خلافاً للفكرة الأوروبية السائدة التي تستصغر المسلمين بسبب تخلف بلادهم، فقد رآها عارية عن روح الموضوعية والإنصاف.

في عام ١٩٢٤م عاد ليوبولد وزوجته أليسا إلى المشرق من جديد، وتطوفاً معاً في العراق وسوريا ومصر وفلسطين، وجمعتة عربة القطار يوماً مع عمدة إحدى القرى وتاجر يوناني اتهم الإسلام بالإخلال بقيمة العدل، واستدل لذلك بزواج المسلمين من نساء أهل الكتاب، ومنعهم بناتهم من الزواج برجال أهل الكتاب، فأجابه العمدة بجواب حصيف ألمعي: المسلم حين يتزوج الكتابية فإنه يحترم كل من تؤمن به من الأنبياء، فلن يؤذي شعورها الرهيف، ولن يستثير حفيظتها بإهانة واحد منهم، والعكس لن يكون صحيحاً، فالمسلمة لن تقوى على تحمل إهانة الرجل الذي لا يؤمن بنبيها، ولا تستطيع الدفاع عنه أمام الرجل القوي الذي قد يؤذيها.

وقبل أن يبُلّ اليوناني حلقة أكمل العمدة: الأولاد بالعادة يتبعون آباءهم، واعتقادنا بأحقية الإسلام يتعارض مع تزويج بناتنا بغير المسلمين حتى لا يدين أولادهم بدين نراه باطلاً.

يعلق محمد أسد على هذا المشهد بقوله: «ومرة أخرى كما حدث لي مع ذلك (الحاجي) الهرم في القدس؛ شعرت أن باباً جديداً إلى الإسلام كان يفتح لي»^(١). ولعل من أهم الأبواب التي غيرت ليوبولد إلى محمد أسد تعرفه على عالم جليل؛ الأزهري الشيخ مصطفى المراغي^(٢)، إذ جرت بينهما الكثير من الحوارات، كما أتاح له الاستماع إلى المحاضرات والحلقات العلمية في الأزهر الوصول إلى حقيقة تُناقض كل ما تعلمه في الثقافة الغربية: «لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً، بل لقد كان الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء؛ إلا أنهم ما أن أصبح إيمانهم عادة، وانقطع عن أن يكون منهجاً في الحياة يتبع بوعي وإدراك، حتى خبت تلك القوة الدافعة للخلاقة التي كانت من وراء مدنيّتهم، وأفسحت المجال إلى الاسترخاء والعقم والانحطاط الثقافي».

بدأ ليوبولد يفكر في الإسلام جدياً، لكنه تساءل: كيف له - وهو الرجل الفطن الذكي - أن يتنازل عن كل ثقافته وفكره، ويتبع غيره مقلداً في كل شيء؟ فطرح ما يجول في خاطره على الشيخ المراغي، فأجابه: إن معظم البشر مقيد في تفكيره بالنوازع والشهوات والمصالح، وقليلون هم القادرون على فهم الصوت الذي يصدر في ذواتهم، ولو ترك لكل واحد منا أن يتابع ما يميل إليه فؤاده لوصلنا إلى

(١) الطريق إلى مكة، ص (١٨٧).

(٢) قبل أن يغدو رحمه الله شيخاً للأزهر في عام ١٩٢٨م.

فوضى أخلاقية، ولما استطعنا الاتفاق على سلوكيات نراها جميعاً سوية، وسيزداد الوضع تعقيداً لو ادعى بعضنا أنه شذوذ على القاعدة، وأنه متنور بما لا يعرفه سائر الناس، لقد أرسل الله الأنبياء بالمنهج الإلهي حتى يحمي البشرية من شذوذ هؤلاء وتخططات سواهم^(١).

تنقل ليوبولد بين عواصم الإسلام كدمشق والقاهرة وبغداد، ووصل إلى ذرى جبال أفغانستان مواصلاً ما سمّاه «الاكتشاف البطيء للإسلام من كلمة هنا وحديث هناك» بمساعدة زوجته أليسا التي كانت تقرأ القرآن معه ، فتوصل إلى نتيجة مهمة، يلخصها بقوله: «لقد أخذت الآن صورة متممة للإسلام تظهر لي بطريقة نهائية حاسمة أذهلتني أحياناً... لقد رأيت أمامي شيئاً يشبه بناء هندسياً كاملاً ، تتم عناصره بعضها بعضاً بطريقة متناغمة، لا نافل فيه، ولا يفتقر إلى شيء.. اتزان وسكينة يضيفان على المرء شعوراً بأن كل ما في نظرات الإسلام وفروضه هو في محله»^(٢).

وكذلك لحظ ليوبولد «أن الله - بمقتضى القرآن - لم يطلب خضوعاً أعمى من جانب الإنسان، بل خاطب عقله، إنه لا يقف بعيداً عن مصير الإنسان، بل إنه (أقرب إليه من حبل الوريد)، إنه لم يرسم أي خط فاصل بين الإيمان والسلوك الاجتماعي»^(٣).

(١) انظر الطريق إلى مكة ، ص (١٩٦).

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٤٢).

(٣) المصدر السابق ، ص (٢٤٢).

وتكاملت الصورة عند ليوبولد حين رأى أن الشريعة الإسلامية تراعي مصالح الجميع، وأنها لم توضع لمصلحة أحد على الخصوص، وأنها قدمت للعالم أنموذجاً حضارياً عظيماً لا يعبر عنه واقع المسلمين، لكن هذا النموذج ينبئ بقدرة فائقة على استعادة دور الأمة المسلمة في بناء الحضارة.

رجع ليوبولد إلى ألمانيا في النصف الثاني من عام ١٩٢٦م والتفكير في الإسلام يستغرق تفكيره، ويشغله حتى عن أداء عمله كصحفي.

في قطار برلين، تفرس ليوبولد في وجه ثرين شاركاه عربية القطار، فلمح وجوماً يلف وجهيهما، بل ويلف وجوه الركاب جميعاً رغم حسن ملابسهم وعلامات الغنى البادية عليهم، وأوماً لزوجته أليسا بملاحظته، فنظرت إليهم ملياً، ثم أكدت له صحة ملاحظته في تعاسة هؤلاء ووجومهم، وحين وصل إلى بيته أراد أن يغلق المصحف المفتوح على طاولته؛ فسبق نظره يده إلى قول الله تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ﴾ **١** حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ **٢** (التكاثر)، قرأ السورة إلى آخرها، ثم صرخ: «أليس هذا جواب ما رأيناه في القطار.. لقد عرفت الآن بصورة لا تقبل الجدل، أن الكتاب الذي كنت ممسكاً به في يدي كان كتاباً موحى به من الله، فبالرغم من أنه وضع بين يدي الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فإنه توقع بوضوح شيئاً لم يكن

بالإمكان أن يصبح حقيقة إلا في عصرنا هذا المعقد الآلي، لقد عرف الناس التكاثر في جميع العصور والأزمنة، ولكن هذا التكاثر لم ينته قط من قبل إلى أن يكون مجرد اشتياق إلى امتلاك الأشياء، وإلى أن يصبح ملهاة حجبت رؤية كل شيء آخر.. اليوم أكثر من أمس، وغداً أكثر من اليوم.. لقد عرفت أن هذا لم يكن مجرد حكمة إنسانية من إنسان عاش في الماضي البعيد في جزيرة العرب النائية، فمهما كان هذا الإنسان على مثل هذا القدر من الحكمة؛ فإنه لم يكن يستطيع وحده أن يتنبأ بالعذاب الذي يتميز به هذا القرن العشرون»^(١).

في يوم أغر من أيام عام ١٩٢٦م، انطلق ليوبولد إلى صديق هندي يرأس الجالية المسلمة في برلين، فأسلم بين يديه، وسماه صديقُه (محمد أسد)، ثم أسلمت زوجته بعد أسابيع، وغادرا مع ابنهما أحمد إلى المشرق الإسلامي من جديد، ليحج في عام ١٩٢٧م، ويقابل الملك عبد العزيز رحمه الله الذي أنس به واستمع إليه قبل أن يرحل إلى ليبيا ليشارك إخوانه المسلمين جهادهم ضد المستعمر الإيطالي، ثم رحل إلى باكستان، ليعمل رئيساً لمعهد الدراسات الإسلامية في لاهور، ثم مندوباً لباكستان في الأمم المتحدة في نيويورك.

اعتزل محمد أسد العمل الدبلوماسي، وتفرغ للتأليف

(١) الطريق إلى مكة ، ص (٢٥٠-٢٥١).

والمحاضرة والتعريف بالإسلام، مستغلاً معرفته بطريقة المجتمع الغربي في التفكير، ومستعيناً بمعرفته بالعديد من اللغات، كالبولونية والعبرية والعربية والأردو والأسبانية والبرتغالية والإنجليزية، فكان مستحقاً لوصف صديقه السفير الألماني مراد هوفمان؛ إذ يقول عنه: «ما من أحد استطاع خلال المائة سنة الأخيرة أن يبرز محمد أسد في إسهامه العظيم في شرح الإسلام ونشره في الغرب»^(١).

قدم محمد أسد للمكتبة الإسلامية كتاباً فريدة في موضوعها، منها "الطريق إلى مكة"، و"الإسلام في مفترق الطرق"، و"منهاج الحكم في الإسلام"، و"رسالة القرآن"، كما ترجم معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وترجم إليها أيضاً صحيح البخاري في أربع مجلدات ضاع منها ثلاثة إبان انفصال باكستان عن الهند^(٢).

(١) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، ص (٦٥).

(٢) بقي أن نذكر القارئ الكريم بأنه ثمة ملاحظات قوية على كتابه "رسالة القرآن"، وكذلك تفسيره لمعاني القرآن، فقد غلب عليه فيهما تأثيره بالعقلية الأوروبية، مما حمله على تأويل معجزات الأنبياء على معان مجازية وغيرها مما لا يوافق عليه رحمه الله. وأنقل في هذا الصدد ما قاله المودودي عنه في مراسلاته للأخت مريم جميلة: «وأسف أن أقول، على كل حال، بأنه في أيامه الأولى من اعتناقه الإسلام كان وفيّاً وملتزماً بتعاليم الإسلام، ولكنه بالتدريج انحرف إلى من يسمون بالمسلمين "التقدميين"، مثل اليهود "الإصلاحيين"..... أثناء السنة الأولى من اعتناقه الإسلام والتي تقابلنا فيها، تغيرات طيبة ودمثة شملت حياته، ولكن حينما يبدأ المرء في العيش كمسلم حقيقي، كل قدراته تفقد قيمتها السوقية، هذه القصة الحزينة مع "محمد أسد"، الذي كان معتاداً على العيش في مستو مرتفع ومواصفات حديثة للحياة، وبعد اعتناقه للإسلام واجه شظف العيش وصعوبات مالية، ولهذا فقد أجبر على تقديم التنازلات واحدة بعد الأخرى».

في عام ١٩٩٢م رحل محمد أسد إلى ربه بعد حياة حافلة بالعطاء للإسلام، يجملها قوله: «جاءني الإسلام متسللاً كالنور إلى قلبي المظلم، ولكن ليبقى فيه إلى الأبد، والذي جذبني إلى الإسلام هو ذلك البناء العظيم المتكامل المتناسق الذي لا يمكن وصفه، فالإسلام بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتم بعضها بعضاً... ولا يزال الإسلام - بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين - أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر، لذلك تجمعت رغباتي حول مسألة بعثه من جديد»^(١).

وأختم بواحدة من أهم وصاياه «يجب على المسلم أن يعيش عالي الرأس، ويجب عليه أن يتحقق أنه متميز، وأن يكون عظيم الفخر لأنه كذلك، وأن يعلن هذا التميز بشجاعة بدلاً عن أن يعتذر عنه»^(٢).

رحم الله محمد أسد، وأجزل له كريم الثواب.

(١) الإسلام في مفترق الطرق ، المقدمة.

(٢) المصدر السابق، ص (٧٨) .

المستشرق (عبد الكريم) جولا جرمانوس

قبل أيام قرأت على بعض صفحات الإنترنت مقابلة أجرتها قناة الجزيرة الفضائية مع المستشركة الأوكرانية المهنية إلى الإسلام يانا كوروبكو، فكان من أهم ما قالته فيها: «الكثير من المستشرقين تحولوا إلى الإسلام بعد سنوات دراسة وبحث وسفرٍ للاطلاع عن قرب ولمس واقع المسلمين في مجتمعاتهم، وطريق الاستشراق ينتهي حتماً باعتراف الإسلام، إذا لم يخش المستشرق ردود فعل المحيطين»^(١).

المستشرق المجري جولا جرمانوس واحد من أولئك المستشرقين المهتمين إلى الإسلام، إنه العالم الذي وصفه العقاد بأنه: «عشرة علماء في واحد»^(٢)، كيف لا وهو المستشرق الذي يتقن ثماني لغات: العربية والفارسية والتركية والأوردية والألمانية والمجرية والإيطالية والإنجليزية، كما يشرف بعضوية العديد من المجمع العلمية، كالمجمع العلمي العراقي والمصري والسوري، علاوة على عضويته لمعهد الأبحاث الشرقية بلندن، وأكاديمية علوم البحر الأبيض الإيطالية، وكونه الأمين العام لنادي القلم المجري^(٣).

(١) انظر: موقع الجزيرة نت.

(٢) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد علي ابن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.

(٣) انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، ص (٣١٧).

ولد جرمانیوس في بودابست عاصمة المجر عام ١٨٨٤م لأبوين نصرانيين، وتبدأ قصته مع الإسلام حين كان في السادسة عشرة من عمره، يقلّب سجلاً مصوراً، فوقعت عيناه على لوحة محفورة من الخشب، تجسد صورة المجتمع الشرقي من خلال منظر قاص يقص الحكايا على مستمعيه المتحلقين حوله، رأى جرمانیوس في هذه الصورة نوراً ومجتمعاً زاهياً لم يعهد سناه في المجتمع الأوروبي «لقد استبد بي حنين طاغ لأن أعرف سر هذا النور الذي بدد الظلام في هذه الصورة»^(١).

اتجه جرمانیوس في السنوات التالية إلى دراسة علم التاريخ والألسن في جامعة العلوم في بودابست، فتعلم اللغات التركية والفارسية ، وهو ما قاده إلى دراسة علم الاستشراق، فألهبه حباً في المشرق وحضارته، وقاده للاهتمام بالإسلام الذي كان روح المشرق وباعث نهضته. في عام ١٩٠٢م زار جرمانیوس البوسنة، وفي مخيلته عن المسلمين الكثير من الأفكار المغلوطة التي تشوه المسلمين، مما تطفح به كتب أساتذته المستشرقين التي درجت على اتهام المسلمين بالهمجية والعنف والقسوة.

(١) انظر المقال الذي صدر به الدكتور عبد الكريم كتابه «الله أكبر» ، ونقله عنه كتاب "Islam Our Choice"، الذي نشره المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالبدية، ص (٣٩-٤٣)، وترجم المقال إلى العربية: الأستاذ محمود لطفي السراميحي، ونشره في مجلة «البحوث الإسلامية» التي تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٥٨٥/٢).

لكن أكاذيبهم استحالت أضحوكة؛ بعثرها وكشف عوارها أول احتكاك له مع المسلمين، فقد خيل إليه أن الرجلين الجالسين قبالة في أحد مقاهي سرايفو يخططان لقتله بخنجريهما المشدودين إلى وسطهما، «لقد أعطاني منظر غطاء رأسيهما وزئيهما الغريب شعوراً بالخوف من مظهرهما المرعب... تذكرت حينئذ القصص الدموية التي قرأتها في الكتب المتعصبة التي تتحدث عن تعصب المسلمين، ولاحظت أنهما يهمسان لبعضهما البعض.. فامتلائت خيالاتي الصبيانية بمشاعر الهلع، فقد تصورت أنهما يريدان أن يغمدا خنجريهما في صدر الكافر المتطفل، ولقد وددت لو خرجت سالماً من هذا المكان المخيف، ولكنني لم أجرؤ على الحركة».

دقائق معدودة من الحديث الودود مع هذين المسلمين، كانت كافية لقلب الأفكار المعششة في مخيلته رأساً على عقب، فقد «أضاء وجهاهما بمودة تفيض بالحنان، ودعياني إلى منزليهما، وبدلاً عن الخناجر التي تصورتها تخترق أحشائي، فقد غمراني بكرمهما، ولقد كان ذلك أول لقاء لي مع المسلمين»^(١).

استكمل جرمانوس دراسته الاستشراقية في جامعتي استانبول وفيينا، وصتف أول كتبه «تاريخ الشعر عند العثمانيين» في عام ١٩٠٦م، وأتبعه بآخر عن تاريخ

(١) المقال السابق في مجلة «البحوث الإسلامية» (٢/٥٨٥).

الأترك ، قبل أن ينال شهادة الدكتوراه في العام ١٩٠٧م .
عاد جرمانيوس إلى بودابست عام ١٩١٢م ، ليدرس
في جامعة لورانت أنوفيش تاريخ الإسلام وحضارته
واللغات الشرقية زهاء خمسين سنة ؛ وامتلات حياته
بالرحلات والدراسات التي صقلت خبرات هذا المستشرق
الخيريت ، وعمقت فكره ، وجعلته من أعلام الفكر
الأوروبي المعاصر .

لكن ذلك كله لم يكن كافياً لوصول جرمانيوس إلى
الطمأنينة : «فإن روحي رغم ذلك بقيت ظمأى ، ولقد
وجدتُ خيطاً رفيعاً جافاً في كتب العلم والمعرفة ، ولكن
روحي كانت تتطلع إلى الجنة الدائمة الخضرة من التجربة
الروحية ، لقد ارتوى عقلي ، ولكن روحي بقيت ظمأى ،
ولقد كان علي أن أجرد نفسي من كل ما تعلق به ؛ حتى
أستطيع أن أستعيد ذلك عن طريق التأمل والتجربة الباطنية ،
لتصفو روحي بنار المعاناة كما يستحيل الحديد الغفل صلباً
مرناً بتعريضه لصدمة شديدة من الماء البارد»^(١) .

بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٢م ، درس جرمانيوس التاريخ
الإسلامي في جامعتي دلهي ولاهور ؛ تلبية لدعوة شاعر الهند
الكبير طاغور ، فحمل همّه وسافر إليها ، فكان مع السعد على
ميعاد ، فقد رأى في منامه النبي ﷺ يخاطبه «علام القلق؟
الطريق أمامك .. الطريق القويم مفتوح أمامك مأمون كوجه

(١) المقال السابق (٥٨٥/٢) .

البيضة، فلتسر فيه بخطى ثابتة بنور الإيمان».

في يوم الجمعة التالي، أعلن جرمانوس إسلامه بين حشد مهيب من مسلمي الهند، الذين تحدث إليهم في جامع شاه جيهان في نيودلهي: «لقد حضرت من بلاد بعيدة لأحوز علماً لا يتيسر لي في وطني، ولقد أتيت ملتماً منكم الإلهام، ولقد ليتم ندائي».

وأكمل جرمانوس: «وتابعت قولي، فبدأت أتحدث عن الإسلام ودوره الذي أداه في تاريخ العالم، وعن المعجزة التي طوعها الله لرسوله ﷺ، وشرحت أسباب تأخر المسلمين المعاصرين، والأسباب التي تمكنهم من استعادة أمجادهم، إنه لحكمة إسلامية أن كل شيء بأمر الله، ولكن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]».

أمور كثيرة تلك التي قادت جرمانوس إلى الإسلام، ومنها التوافق التام بين العلم والإيمان، فهما توأم لأب وأم؛ خلافاً للمعتقدات الأخرى، إذ «لا يوجد في تعاليم الإسلام كلمة واحدة تعوق تقدم المسلم، أو تمنع زيادة حظه من الثروة أو القوة أو المعرفة.. وليس في تعاليم الإسلام ما لا يمكن تحقيقه عملياً، وهي معجزة عظيمة يتميز بها عن سواه، فالإسلام دين الذهن المستنير، وسيكون الإسلام معتقد الأحرار»^(١).

(١) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.

لهذا لا يجد العلامة جرمانوس في انتشار الإسلام ما يُستغرب، إذ هو «دين الأذهان المستنيرة، وأنا أعرف في بلادي وفي أوروبا رجالاً مستنيرين من أرفع الأسر يحترمون الإسلام، ويوشكون أن يتخذوه ديناً؛ ولو في سرائرهم»^(١).

كما رأى جرمانوس في المسلمين عكس ما قرأه عنهم في كتب الاستشراق: «ألفيتُ في قلوب المسلمين كنوزاً تفوق في قيمتها الذهب، فقد منحوني إحساس الحب والتآخي، ولقنوني عمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وعلى المسلمين أن يعضوا بالنواجذ على القيم الخلقية التي يمتازون بها، وأن لا ينهروا ببريق الغرب، لأنه ليس أكثر من بريقِ خاوٍ زائف»^(٢).

ولم يفتأ جرمانوس يعتز بالقيم الإسلامية ويوصي بها، فقد قال مخاطباً الملتقى الفكري في الجزائر: «أحث بجسارة وشجاعة كل إخواني المسلمين للحفاظ على الأخلاق التي هي عقائدنا الروحية في ديننا الإسلامي، حافظوا على الشريعة الإسلامية التي تركز على الأخلاق، إن فلسفة التشريع الغربي قد قامت عقيدتها ومعتقداتها على فكر إنساني متأثر باعتبارات سياسية فقط، بينما

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.

(٢) هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام، محمد عثمان، ص (٣٥).

الشرعية الإسلامية قد انبثقت من الإيمان والافتناع بأن الكون ما هو إلا خلق منسق منتظم للروحيات الأخلاقية؛ أساس العقيدة هو الوحي، وتنفيذها مبني على أساس قانون استدلالات واستنتاجات منطقية التفكير، وعلى شرح وتفسير دنيوي زائل وأحوال مادية»^(١).

تاق جرمانوس - منذ أسلم - إلى تعلم اللغة العربية، ليحوز المفتاح الذي يوصله إلى ذخائر الإسلام، فقد «كان لي من قوة الإيمان وثبات اليقين ما دفعني إلى الإقبال على تعلم هذه اللغة مهما بلغت العقبات وقامت الصعاب، فبدأت أولاً أدرس العربية بدون معلم، وبواسطة كتب حصلت عليها من المكتبات الأوروبية، ثم عكفت على قراءة القرآن الكريم بمساعدة المعاجم اللغوية، وحفظت عن ظهر قلب معاني الكلمات المهمة والألفاظ المعقدة، وتابعت السير على هذه الخطة عدة شهور؛ إلى أن أصبحت - بفضل الله ورعايته - ملماً بأصولها.. وبمرور الزمان انتصرتُ على جميع الصعاب، ورُحْتُ أتفهم العربية في شيء من السهولة واليسر، مع أنني لم أسمع في حياتي صوت متكلم بها»^(٢).

ولإدراك جرمانوس أهمية إجادة اللغة العربية والغوص في مكنوناتها؛ سافر إلى مصر، وطلب علومها في ربوع الأزهر الشريف، والتقى أكابر علمائها وأدبائها،

(١) المقال السابق في مجلة «البحوث الإسلامية» (٢/٥٨٥).

(٢) مقال منشور في موقع «الإسلام اليوم» بعنوان «من ربوع الغرب إلى بلاد العرب».

وقد وضع نصب عينيه «استكمال نواحي دراستي في الأدب العربي، والتعمق في شعاب الدين الحنيف، بحيث أصبح قادراً على صد هجمات كل من تسول له نفسه الافتراء أو التشويه لعظمة الإسلام في أوروبا»^(١).

كما جال جرمانوس بين عواصم الدول العربية؛ يلقي فيها المحاضرات الماتعة، ثم سافر إلى الحج لأول مرة، وكتب قصة رحلته في كتابه «الله أكبر» الذي ذكر في مقدمته قصة اعتناقه الإسلام، كما ضمنه شرحاً لأصول الإسلام.

منذ أسلم الدكتور عبد الكريم جرمانوس؛ لم يتأخر عن العمل الدؤوب في خدمة دينه ولغته الخالدة «لقد تمنيت أن أعيش مائة عام، لأحقق كل ما أرجوه لخدمة لغة القرآن الكريم، فدراسة لغة الضاد تحتاج إلى قرن كامل من الترحال في دروب جمالها وثقافتها»^(٢)، وقد توفي رحمه الله في عام ١٩٧٩م ولمّا يتِمّ المائة، لكنه ترك إثراء علمياً متميزاً في موضوعات الدين واللغة والتاريخ، سطر فيها ما يقارب المائة كتاب، ومن أهمها: كتابه «الحركات الحديثة في الإسلام»، و«شوامخ الأدب العربي»، و«بين فكرين»، و«حضارات رائدة»، و«العلاقات الثقافية بين العرب وأوروبا الوسطى»، و«معاني القرآن الكريم»، و«دراسات في التركيبات اللغوية العربية»^(٣).

(١) انظر المقال السابق.

(٢) هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام، محمد عثمان، ص (٣٦).

(٣) انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، ص (٣١٧).

ومما يؤسف له أن جرمانوس كتب هذه الكتب
بالمجرية والألمانية والإنجليزية، وأنها لم تترجم إلى
العربية؛ رغم ترجمتها إلى العديد من اللغات العالمية.
رحم الله العلامة عبد الكريم جرمانوس، وكتب له
عظيم الأجر والثواب.

(محمد) زكي الدين النجار

لم يكن أحد ليتوقع لزكي النجار المولود لأبوين نصرانيين في أوائل الربع الثاني من القرن العشرين أن يغدو بعد حين مسلماً موحداً داعياً إلى الله ودينه القويم، فقد ولد زكي في محافظة طهطا المصرية، وداوم منذ طفولته على التردد على الكنيسة، بل تدرج في مراتبها حتى صار كاهناً ثم قساً فيها.

عمل الشاب زكي في حرفة النجارة لم يمنعه من أن يكون محباً للعلم، كثير القراءة، لا يفتر عن التنقل بين رفوف الكتب الدينية، فقرأ كثيراً في أسفار كتابه المقدس، وفي القرآن الكريم، سنوات من البحث والتمحيص كانت كافية لتحويل القس زكي النجار إلى العالم المسلم محمد زكي النجار، يقول: «إن إسلامي لم يأت طفرة واحدة، ولم يكن ابن يوم وليلة، بل كان نتيجة بحث وتنقيب؛ بغية الوصول إلى الحقيقة، فاطلعت على القرآن الكريم بعد دراستي للتوراة والإنجيل، وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم»^(١).

بعد إسلامه، درس محمد زكي النجار في معهد طهطا الديني بين عامي ١٩٤٩-١٩٥٢م، وتزىي بزي العلماء المسلمين الأزهريين، وغدا من الدعاة إلى الله تعالى، فانضم

(١) المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة، محمد زكي النجار، ص (٣٣).

إلى جماعة الإخوان المسلمين، كما كان شاعراً مجيداً وأديباً حصيفاً.

لم تدخر الكنيسة جهداً في استمالة النجار للعودة إلى النصرانية، فوعده تارة بالزواج من فتاة من أرفع العوائل النصرانية، وتارة بترفيعه إلى أرقى المناصب الكنسية، لكن ذلك كله لم يكن لينتزع إيماناً خالطت بشاشته القلوب، وأشبعت أسسه وقواعده العقول.

سجل محمد زكي النجار خلاصة تجربته وأسباب هجره لدينه في عدد من الكتب التي وصلتنا أسماؤها، وغابت عن ناظرينا صفحاتها، فقد فقدت هذه الكتب وضاعت، ولكن أسماؤها^(١) كفيلة بتعريفنا بالمنزلة العلمية التي وصل النجار إليها، فقد كتب في تنفيذ عقائد النصرانية كتابه «الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الأقاليم»، وفي بيان تحريف كتابهم المقدس كتب «فوهة المسدس في قلب الكتاب المحرف»، كما كتب في الدعوة إلى الإسلام وتعليم مبادئه كتابه «هداية الناشئين في تعلم مبادئ الدين»، وكتابه «معجزات محمد ﷺ في القرن العشرين»، وكتب في تبيان الإسلام ومآثره «منقذ الإنسانية من نير العبودية»، و«قانون الحياة ودستور الخلود».

وتصدى النجار لاثنتين من أهم شبهات المشككين بالإسلام الذين يتصيدون الأغمار، وأولاهما: قصة سجد

(١) ذكر أسماؤها في كتابه المنارات الساطعة ، ص (١٥٩).

النبي للغرائق التي راجت على ألسنة وأقلام المنصرين في زمنه، فكتب في الرد عليهم وتبيان ضعف القصة سنداً، ونكارتها متناً؛ كتابه «رد فرية المبشرين في حديث الغرائق».

وأما الثانية فهي القصة المذكورة في بعض كتب التفسير عن زواج النبي ﷺ بزینب بنت جحش، وهي رواية مردودة يلوکها الأفاکون طعنًا بالنبي ﷺ؛ رغم أنها لا تصلح في باب الاحتجاج؛ فقد حکم العلماء على أسانیدها بالضعف، قال ابن العربي: «هذه الروایات کلها ساقطة الأسانید»^(١).

وللأسف لم یصل إلینا من هذه الكتب النافعة إلا کتاب واحد، وهو «المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة»، ویناقش فيه النجار العديد من المسائل المهمة التي كانت سبباً في اختياره الإسلام على دين الأجداد والآباء، وهو - ابتداءً - لا یرى في اعتناقه للإسلام تركاً لدين المسيح عليه السلام، فإن الإسلام هو «دين الأنبياء والمرسلين، الأولین والآخرین، [وذلك أن] معنى الإسلام یهدف إلى التسليم بما أنزله الله من كتبه وطاعة رسله»^(٢).

واستشهد النجار لصحة مفهوم وحدة الدين الذي بعث الله به سائر الأنبياء والمرسلين بآيات القرآن الكريم التي وصف الأنبياء فيها بأنهم كانوا مسلمين، أي مستسلمين لله تعالى، فقد

(١) أحكام القرآن، ابن العربي (٣/١٥٤٣).

(٢) المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة، محمد زكي النجار، ص

(٢٨-٢٩).

قال الله على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧٢)، أي من المستسلمين لله تعالى.

ومن بعده قال الله لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾ (البقرة: ١).

والنصارى إذ يؤمن بمحمد ﷺ، فإنما يرى نفسه معظماً للمسيح ومصدقاً بنبوءته عن بعثة الفارقليط^(٢)، أي الحامد، فقد قال المسيح عنه: «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك [أي النبي المنتظر]، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية، ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يوحنا ١٦/١٢-١٤).

وقد توقف النصارى ملياً مع قول المسيح عليه السلام عن أخيه محمد ﷺ: «ذاك يمجدني» أي يوقرني ويكرمني،

(١) انظر المصدر السابق، ص (٢٨-٢٩).

(٢) تحدث المسيح عليه السلام - بحسب إنجيل يوحنا - مراراً عن النبي الآتي بعده، وسماه (بيركلوتس)، وهي كلمة يونانية اعتاد العرب على نطقها: (الفارقليط)، وتعني: الحامد.

فرأى أن الإسلام هو من برأ العذراء البتول من فرية اليهود واتهامهم لها بالزنا، فاعتبره من أعظم الفرى الذي استحقوا بسببه غضب الله ومقته وعذابه، فأظلمت قلوبهم وانطمس نورها ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥٥) **وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا** ﴿١٥٦﴾ (النساء).

واستعرض النجار سبب صدور هذه الفرية، ألا وهو ميلاد المسيح من غير أب بشري، ورأى أن الحدث - رغم ما يكتنفه من الإعجاز - فإنه لا يخرج عن مقدور الله القادر على كل شيء «أفمن خلق السماوات والأرض وجميع ما فيها من عوالم ومخلوقات وشموس وأقمار وكواكب وسيارات، يعجز عن أن يجعل السيدة مريم تحمل بدون رجل؟! اللهم إن هذا ضلال مبين وبهتان عظيم ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (يس)»^(١).

وعن قول المسيح : «ذاك يمجدني»، يقول النجار: «وحقق ذلك رسول الله ، ومجده، ورفع عن أمه وصمة العار .. ورفع عنه وعن أمه الظلم البين والجور المريع»^(٢)، كما حققه ثانية حين أسفر عن دليل براءة أم المسيح، ألا وهو كلام ابنها عليه السلام في المهد، وهي معجزة عظيمة

(١) المصدر السابق ، ص (٤٢).

(٢) المصدر السابق ، ص (٨٠).

أخرست شائتيه، وملأت أشداقهم بأو حال الخيبة والبوار، وهذه المعجزة هي الدليل الوحيد على براءتها عليها السلام، وقد ذكره القرآن، وغفلت عن ذكره الأنجيل التي يؤمن النصرارى بقدسيته.

نبوءة المسيح عن النبي المنتظر ﷺ: «ذاك يمجدني»؛ حققها أخوه محمد ثالثة، حين دفع عنه ما تتهمة به الأنجيل المحرفة من عقوقه لأمه، ففي إنجيل يوحنا أن مريم عليها السلام طلبت من ابنها أن يحول الماء الذي في الجرار إلى خمر يشربه أهل عرس كانت تحضره في قرية قانا، فقال لها بجفاء: «مالي ولك يا امرأة؟! لم تأت ساعتي بعد» (يوحنا ٤/٢).

وفي إنجيل متى أنها عليها السلام جاءت إلى المسيح، تستأذن في الدخول عليه، فقال له تلاميذه: «هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك، فأجاب وقال للقاءل: من هي أمي؟ ومن هم إختوتي؟! ثم مدّ يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي وإختوتي، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي" (متى ١٢/٤٨-٥٠)، فالمسيح - بحسب إنجيل متى - تجاهل أمه، بل تبرأ منها، واتهمها بأنها لا تصنع مشيئة الله، وهذه رزية يرى النجار أن القرآن برأ المسيح منها ومجده عنها حين قال على لسانه: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۚ﴾ (٣٠)

(٣١)

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ (مريم) (١).

أما رابع المواضع التي مجد فيها النبي ﷺ أخاه المسيح فحقق نبوءته عنه: «ذاك يمجدني»، فهي شهادته بنجاة المسيح عليه السلام مما تنسبه إليه الاناجيل من صلب وصفع وإهانة وتعذيب وتعرية أمام الناس، فكل هذه البلايا أنقذه الله منه بشهادة القرآن الكريم الذي أخبر عن نجاته من مؤامرة اليهود ورفعته إلى السماء ﴿وَمَكْرُوءًا وَمَكْرًا أَلَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ (آل عمران).

وقد نبه النجار في مناراته على مسائل علمية مهمة في نقد النصرانية وتزييف كتبها ومعتقداتها، وأكتفي في هذا المقام بذكر واحدة منها، فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، فقد ذكر النجار وجود أدلة في الكتاب المقدس تشهد بنجاة المسيح من الصلب المهين الذي تنسبه إليه الاناجيل الأربعة، فالمزمور ٩١ - وهو من الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى - يقول متنبئاً عن نجاة المسيح: «لأنك قلت: يا رب، أنت ملجئي، جعلت العليّ مسكنك، لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوحي

(١) المصدر السابق ، ص (٨٥).

ملائكته بك ليحفظوك في كل طريقك، على الأيدي يحملونك، لئلا تصدم بحجر رجلك .. لأنه تعلق بي أنجيهِ، أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه، وأريه خلاصي»، ففي هذا السفر شهادة بصدق ما أخبر القرآن عنه من نجاة المسيح من الصلب والعذاب المهين، ورفعهُ إلى السماء بواسطة الملائكة، وإعطائه حياة طويلة جزاء صدقه وإخلاصه في عبادة ربه.

ويستمر النجار في كتابه - بل كتبه - في سوق الأدلة التي توضح سبب اختياره للإسلام، فهي منارات ساطعة لمن تخلص من التعصب المذموم، فإنما كتب ما كتب لدلالة وهداية من أراد الوصول إلى الحق: «ليخرج القارئ بنتيجة ظاهرة، ويتحقق مما وصلتُ إليه، إذا تَخلى عن التعصب والتحزب الممقوت، فإذا تصفحتُ عجالي هذه بروية وإمعان؛ وضح الحق لديك بالبرهان، وظهر جلياً للعيان، ووجدتُ نفسك منساقاً إلى اليقين، فالعقل إذا لاح له الحق تبعه وثبت عليه»^(١).

نسأل الله أن يثبتنا على الإيمان، وأن يكتب شآبيب الرحمة للعالم الجليل المهتدي محمد زكي النجار. آمين.

(١) المصدر السابق، ص (٣٤).

الدكتور القس إبراهيم خليل فيلبس (أحمد)

القس إبراهيم خليل فيلبس أستاذ علم العقائد المسيحية في كلية اللاهوت الإنجيلية بأسبوط، علم من أعلام الجدل الديني في القرن العشرين، فقد صبغ هذا العلم بالكثير من إضافاته في كتبه الرائعة.

ولد القس إبراهيم في أسرة متدينة مسورة تدين بالنصرانية، وتعهده والداه بالعبادة والرعاية، فكان يواظب على الذهاب إلى الكنيسة، ويجدُّ في أداء طقوسها.

بدأ إبراهيم خليل التعرف على الأديان من خلال مشاركاته في البرامج الكشفية أثناء دراسته الأولية، حيث يلتقي الشباب من مختلف الديانات والثقافات، وزادت معرفته بالإسلام خصوصاً خلال دراسته الجامعية في الكلية الإنجيلية المشيخية، حيث كان الطعن في الإسلام والقرآن أحد أهم الموضوعات التي يدرسها مع زملائه الذين يُعدون للتنصير في بلدان المسلمين، ويكفي للوقوف على جدية الموضوع وخطورته؛ أن نعرف أن عدد طلاب الكلية حينذاك اثنا عشر طالباً يشرف على تأهيلهم مثلهم من الأساتذة الأمريكيين، وسبعة آخرون من المصريين النصارى.

درس إبراهيم خليل القرآن الكريم في جامعة برنستون بأمريكا على طريقة المبشرين الطاعنين فيه، حيث نال درجة الماجستير عن رسالته التي عنوانها «سيف جليات [أي جالوت]»، وموضوعها: الطعن بالإسلام من خلال القرآن والقضاء عليه؛ كما قُتل جالوت بسيف نفسه زمن النبي داود.

تعلم إبراهيم فيلبس اللغات الأصلية للكتاب المقدس: العبرية واليونانية والآرامية؛ إضافة إلى الإنجليزية، وحصل على رتبة قسيس، وباشّر العمل التبشيري راعياً للكنيسة الإنجيلية بباقور، ثم عمل مبشراً في الإرسالية الألمانية السويسرية، ووصل فيها إلى منصب السكرتير العام لفرعها في أسوان.

في أواسط عام ١٩٥٥م استمع إبراهيم خليل فيلبس في المذيع إلى آيات من صدر سورة الجن ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١) ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (٢) ﴿(الجن)، فاستوقدت جذوة الإيمان في قلبه من جديد، فعكف طوال تلك الليلة على القرآن يقرأ في آياته ويعيد استكشاف مضامينه، لبدأ رحلته في البحث عن الحقيقة بقراءة القرآن من جديد، ولكنه هذه المرة قرأه لا للتشكيك والطعن والتليس، بل للفهم والبحث عن الحق.

استوقفه طويلاً قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، فانطلق - وهو القس الخريّيت - يقلب صفحات كتابه المقدس بحثاً

عن البشارة بالنبي ﷺ، فوجدها تتلأأ في جنباته رغم ما اعتراه من تحريف وتبديل، فمحمد ﷺ هو النبي الأمي الذي توعد به سفر إشعيا التوراتي بني إسرائيل، حين قال لهم : «أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف القراءة» (إشعيا ٢٩/١٢)، فما يملك سامع هذه الفقرة دفعاً لانسراف ذهنه إلى ما حصل في غار حراء، حين نُبئ النبي ﷺ بنزول جبريل عليه ، وهو يقول: اقرأ، فيجيبه عليه الصلاة والسلام: «ما أنا بقارئ»، فهذه الفقرة من سفر إشعيا التوراتي دليل واضح على نبوة محمد ﷺ، إذ إنها تحكي لحظة نبوته ﷺ.

وهي ليست أقل وضوحاً من رؤيا نبوخذ نصر ملك بابل التي عبَّرها له النبي دانيال، حين قال له: «الله العظيم قد عَرَّفَ الملك ما سيأتي بعد هذا، الحلم حق، وتعبيره يقين» (دانيال ٢/٤٥)، ومختصر هذه النبوءة أن الملك بختنصر رأى في المنام تمثالاً رأسه من ذهب، وصدره من فضة، وبطنه من نحاس، وساقاه من حديد، وإحدى قدميه من خزف، والأخرى من حديد، فجاء حجر وضرب القدمين، فاندكَّ التمثال وانهار بتمامه.

وقد فسرها النبي دانيال بثلاث ممالك تتوالى بعد مملكة بابل، ثم تأتي أمة يصطفئها الله ويختارها «وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، ومملكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتُفني كل هذه

الممالك، وهي تثبت إلى الأبد»، والتاريخ يحدثنا عن زوال مملكة بابل على يد مملكة مادي وفارس التي أقامها خسرو (٥٣٩ ق.م)، ويرمز لها في المنام بالصدر الفضي، ثم قامت مملكة مقدونية التي أسسها الإسكندر المقدوني (٣٣٦ ق.م)، ويرمز لها في المنام بالبطن النحاسي، ثم تلتها امبراطورية الرومان التي أسسها الامبرطور بوفوريوس (٦٣ ق.م)، ورمز لها في المنام بساقين من حديد، قبل أن تأتي الأمة المختارة وتهزم دولة الرومان والفرس، وتحول عاصمتها القسطنطينية إلى (إسلام بول) أي عاصمة الإسلام، لتتحقق من جديدة نبوءة دانيال في أمة محمد ﷺ^(١)، فأتمته ﷺ هي الأمة الموعود بظهورها على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قرر القس إبراهيم خليل اعتزال العمل الكنسي، وفي ذلك يقول: «لقد أراد الله لي خيراً فهداني إلى الإسلام، بينما أنا في جهالتي وحمالتي أردتُ للإسلام تقويضاً، وللمسلمين أن يدخلوا في رحاب النصرانية، فعفا الله عما سلف، وأمام رضوان الله جل وعلا رأيت ضرورة حسم الموقف بخطوة إيجابية، وهي اعتزال الخدمة الدينية... هل يستطيع المرء أن يهاجم الإسلام بعد أن تبين له الرشد من الغي، الحق أقول: إن القرآن قد غلبني على أمري،

(١) انظر: المناظرة بين الإسلامية والنصرانية، ص (٢٢٧)، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص (٦٩).

وغلّبت إرادة الله إرادتي ، وكان القرار بترك الخدمة الدينية قراراً حاسماً للموقف»^(١).

استدعت الكنيسة سبعة من القسّس الذي يحملون درجة الدكتوراه لمناقشة القسّ المبشر الذي ينجو بنفسه بعيداً عن ضلالات الكنيسة، فلم يجدوا حجة تقنعه بالعودة إلى عمله التبشيري، وعجزت رواتبهم ومغرياتهم عن إغلاق عقله وحجب فكره.

التحق إبراهيم بعمله الجديد في شركة (ستاندرد ستي شنيري لبيع آلات الطباعة والنسخ)، وفي عمله الجديد أسند إليه مديره مهمة طبع تفسير جزء عمّ باللغة الإنجليزية، فكان من أعظم أفضال الله عليه؛ أن فتح مغاليق قلبه، ووجد فسحة من الوقت للإبحار في تأمل آيات القرآن الكريم والغوص في عميق معانيه، فأذعن للإسلام، وفاء إلى هديه القويم هو وأبناؤه (إسحاق وصموئيل وماجدة)، وذلك في مطلع عام ١٩٥٩م، وغيّر اسمه إلى إبراهيم خليل أحمد، وأسماء أبنائه إلى (أسامة وجمال ونجوى)، بينما أبت زوجته الدخول في الإسلام، ووشّت به إلى الكنيسة، ليتعرض لحقن الكنيسة وترهيبها الذي لم يكن ليثنيه عن حق انشرح به صدره، وشهد به لسانه؛ فما مثله ينكص على عقبيه لمصادرة مكتبته أو فقد راتبه الكبير، فهبة الله وجنته أغلى وأبقى وقد «حُفَّت الجنة بالمكارة، وحُفّت

(١) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ص (٢١).

النار بالشهوات»^(١).

أمور كثيرة استوقفتها في الإسلام، ولم يجدها في نصرانية الكنيسة، لكن أهمها - بحسب رأيه - أمران: أولهما: عقيدة التثليث والتجسد المزعوم لله في المسيح، إذ رأى فيها فهماً خاطئاً للنصوص الإنجيلية التي صرحت بنبوة المسيح عليه السلام، ومنها قول كبير الحواريين بطرس في سفر أعمال الرسل (٢/٢٢): «يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من الله بقوات وعجائب»، فقد شهد بطرس للمسيح أنه إنسان فحسب، وكذلك وصف إنجيل لوقا (١٦/٧) معتقداً جموع المؤمنين بالمسيح، فأخبر أنهم حين رأوا إحياء المسيح للموتى: «أخذ الجميع خوفاً، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم»، فقد آمنوا بالمسيح نبياً عظيماً، وهو ما يوافق معتقد المسلمين فيه عليه الصلاة والسلام^(٢).

والثاني: الظلم المرير الذي تكتنفه عقيدة الموت التكفيري للمسيح على الصليب، إذ هو معتقد ظالم «لا يتفق مع عدل الله ولا شرائعه، ومنها شريعة موسى، فهل كان ضرورياً تلك الرواية المأساوية التي تتمثل في قول المسيحية بقتل المسيح صلباً وسط صرخاته اليائسة، التي كان يرفض فيها تلك الميته الدموية؟!»^(٣).

(١) أخرجه مسلم ح (٢٨٢٣).

(٢) الغفران بين المسيحية والإسلام، إبراهيم خليل أحمد، ص (٢٠، ٩٢).

(٣) المناظرة بين الإسلامية والنصرانية، ص (١٤٧).

وقد رأى إبراهيم - بفطرته النقية - جمال الإسلام حين يرفض عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة من الأبوين (آدم وحواء)، ويستشنع فكرة وجود وسطاء بين الله وعباده، فليس في الإسلام رجل دين يغفر ذنب المذنب أو يقبل منه اعترافه، فما أصعبها من لحظات حين يضطر العبد للبوح - أمام عبد مثله - بذنوبه وخطاياها التي يود لو أن بينها وبينه بُعد المشرقين، وغاية مأموله أن ينساها؛ لكنه - وفق المنظور الكنسي - مضطر إلى إعلام الآخرين بها، وما من شيء يحرص المرء على الإصرار به أكثر من ذنوبه التي يسأل الله دوام ستره عليها، لذا يقول إبراهيم خليل: «يكفي الإسلام فخراً أن مغفرة الله للإنسان لا تتوقف على وسيلة من الوسائل مهما عظمت أو قلت، وإنما تتوقف رحمته ومغفرته على توبة الإنسان توبة صادقة، مع إيمانه بالله الواحد الأحد و برسالة محمد ﷺ، ويؤيد هذا قوله تعالى:

﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر] (١).

أصدر العلامة إبراهيم خليل أحمد أربعة عشر كتاباً متميزاً، منها: (محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن)، و(المسيح إنسان لا إله)، و(الإسلام في الكتب السماوية)، و(إسرائيل فتنة الأجيال)، و(الروح القدس بين النصرانية

(١) المستشرقون والمبشرون ، إبراهيم خليل أحمد، ص (٢٠)، وانظر كتابه: الغفران بين المسيحية والإسلام، ص (١١٠).

والإسلام)، و(إسرائيل والتلمود).

وفي كل هذه الكتب يسفر الشيخ إبراهيم خليل عن علم جم وحجة غالبة ورأي حصيف، مكنه من ذلك إلمامه الواسع بالكتاب المقدس ونصوصه، واطلاعه على تفاسيره وعلى الثقافة الكنسية، ولكن الأهم الذي يرصده القارئ في كتبه؛ إفادته من الدراسات النقدية التي ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

في عام ١٤٠١هـ / ١٩٨٢م، اشترك الأستاذ إبراهيم مع كل من الدكتور محمد جميل غازي واللواء المهندس أحمد عبدالوهاب في مناظرة جرت في الخرطوم مع ثلاثة عشر قسيساً، مناظرة مشهودة استمرت ستة أيام، وانتهت بإسلام القسس جميعاً وتحولهم من التبشير بالنصرانية إلى الدعوة إلى الإسلام، وهي منشورة على شبكة الإنترنت صوتاً وكتابة لمن أراد أن يفيد منها.

رحم الله عالمنا الجليل، وأجزل له المثوبة.

الدكتور (محمد ضياء الرحمن الأعظمي) بانكي رام

الأعظمي واحد من أعلام علم الحديث النبوي، علامة وباحث نحير، أفاد من علمه العشرات من طلاب الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كما كانت كتبه الموثقة في المكتبة العربية ذخراً للملايين من المسلمين.

لا ريب أن الكثيرين منا عرفوا أو قرأوا أو سمعوا عن الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، لكن لربَّ معظمنا لا يعرفون أن الدكتور الأعظمي من المهتدين إلى الإسلام، فقد ولد بانكي رام (الأعظمي) في ولاية يوبي الهندية عام ١٩٤٣م في أسرة هندوسية متعصبة، نشأ فيها يسجد لأصنام الهندوس، ويعظم آلهتهم التي لا يحصي عددها إلا الله تعالى.

منذ طفولته وبانكي رام يُلقن من أهله ومدرسيه سوء عن المسلمين الذين حكموا الهند زهاء ١٢٠٠ سنة، فزعم مؤرخو الهندوس وكُتَّابهم أن المسلمين ظلموا الهنود، وأجحفوا بحقهم، فنشأ جيل هندوسي يكره الإسلام ويحقد على المسلمين، وقد تعززت كراهية بانكي رام للإسلام بما رآه من فقر المسلمين في بلده، وتخلفهم عن كثير من صور المدينة.

تخرَّج بانكي رام من المرحلة الثانوية، وانتسب إلى كلية شبلي في مدينة «أعظم كره» التي سينسب إليها

لاحقاً، وتعرّف على الإسلام حين أهدها زميله في الكلية كتاب العلامة المودودي «الدين الحق»، فأكب على قراءته، وأعادها بلهف وشوق مرات ومرات «أحسستُ بأنّي أتية في ظلام دامس، وأنه ينقشع رويداً رويداً، ولقد رغبت في الاستزادة من هذا النور»^(١).

اقتنى الشاب الهندوسي كتب المودودي، يطالعها في فراغه بين حصص الكلية الدراسية، فازداد عجبه بكاتبها وبالدين الذي يدعو إليه؛ بيد أن الإعجاب بالمودودي بلغ مداه في عام ١٩٥٣م حين حكمت المحكمة العسكرية الظالمة على المودودي بالإعدام، فقد أدهش بانكي رام ما تمتع به المودودي من صبر وجلد ورضا بقضاء الله، وما تزين به من استعلاء إيماني جعله يرفض تقديم استرحام لتخفيف الحكم الظالم الصادر بحقه.

موقف تأثر به الشاب بانكي رام، فقد «كنت أظن أن الذين يقابلون قدر الله بالرضا والابتسام قد اختفوا في زوايا التاريخ»^(٢).

خطا بانكي رام خطوةً إلى الوراء؛ وإن شئت فقل إلى الأمام، حين عاد إلى كتب الهندوس الدينية المسماة بالفيدا (الويدا)، ينشد فيها شفاء الصدر مما يضيق به، فلم يجد في

(١) لماذا قبلتُ الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد)، د. خالد حامدي فلاح، ص (١٤٥).

(٢) من ظلمات الوثنية إلى ضياء الإسلام، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مقال منشور في مجلة الجامعة الإسلامية.

أسفارها إلا خرافاتٍ تدعو إلى عبادة الأشجار والأحجار
والبهائم التي لا تضر ولا تنفع «فكان مثلي بعد دراسة
الويدا كمثّل رجل فر من المطر خوف البلل، فوقف تحت
الميزاب، أو كما قال الشاعر:

والمستجير بعمره بعد كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار»^(١).

كيف لبانكي رام - وهو الشاب المثقف - أن يصدق
كتباً تنادي بتعدد الآلهة، فتجعل لكل مظهر من المظاهر
الطبيعية حولنا إلهاً مختصاً به، ف «أغني» إله للنار بزعمهم،
و «فايو» للهواء، و «أندرا» للرعْد، و «سورّيا» للشمس،
و «أرونا» للسماء، و «فشنو» للرزق، بينما تزعم هذه الكتب
أن الخالق «وشو» شبيه بالإنسان، وأنه له أعيناً كثيرة وأيد
وأرجلاً، وأنه يتعب فيسترد قوته بالأضحية التي تذبح له،
فتمده بالقوة التي ينزل بها المطر ويسير الكون.

كيف لعاقل - مثل بانكي رام - أن يصدق أن
«بيرميشور» إله الآلهة بزعمهم خلق من ذاته ماء، وألقى
فيها نطفة، فصارت بيضة خرج منها براهما الذي كسر
البيضة إلى نصفين، فخلق الجنة من أحدهما، والسموات
والأرض وما بينهما من النصف الثاني، والكون - بحسب
معتقدات هؤلاء - باق ما بقي هذا الإله المزعوم مستيقظاً،

(١) لماذا قبلت الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد)، د. خالد حامدي فلاح،

ص (١٤٧).

فإذا غفل عن مخلوقاته ونام؛ قامت القيامة! ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوةً وَلَا شُورًا﴾ (٢) ﴿الفرقان﴾.

وقد نقل الأعظمي - بعد إسلامه - فقرات من هذه الكتب تلقي أضواء كافية للقطع بضعفها وتبيان ركاكة موضوعها، فقد جاء في أسفار (الريج فيدا) أن الملائكة تقول لـ«إندرا» (إله المطر): «يا إندرا، إن فشنو (إله الرزق) يطبخ لك مائدة من الجاموس»، وتقول: «إن إندرا مع العباد يطبخ الثور السمين»، وكذلك فإن الإله المزعوم إندرا يقول: «اطبخ لي خمسة عشر ثوراً، وأنا آكله فأكون سميناً»! (١) فكيف لمثل هذه المقولات أن تقنع بانكي رام أو غيره بدين هكذا حاله؟! اقترب بانكي رام من الإسلام أكثر حين قرأ ترجمة معاني القرآن الكريم لخواجة حسن نظامي، ثم تعزز اقتناعه بالإسلام لدى حضوره درس قرآن يقيمه أستاذه في كلية شبلي، لقد أصبح على أعتاب الإسلام، وما يؤخره عن الولوج إلى أفيائه إلا تخوفاته من ردة فعل أهله، وهم المتعصبون الكارهون للإسلام والمسلمين.

مخاوف تغلب عليها بانكي رام وتخلص منها في أواسط عام ١٩٦٠م، حيث قرأ أستاذ القرآن قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ

(١) فصول في أديان الهند ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص (٢٨-٢٩).

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (العنكبوت)، وفسره بتمثيل علاقة بيت العنكبوت بكل علاقة بشرية لا يرضى عنها الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (العنكبوت)، فهزت الكلمات أعماق بانكي رام، فأعلن إسلامه في مجلسه ، «انشرح صدري للخروج من دين آبائي وطرح هذه العقيدة الجاهلية، والدخول في الإسلام، فسجدت شكراً لله القائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)»^(١)، لتبدأ حياة جديدة يمتزج فيها إيمان محمد ضياء الرحمن بالمحنة، والسعادة بالخوف: «أحسست بأني خرجت من الظلام الدامس إلى النور الساطع، ومن الحفرة العميقة حتى رقيت إلى أعلى عليين .. شعرتُ بمقصد الحياة لأول مرة، وأحسست أيضاً بالبون الشاسع بين الإسلام والمسلمين»^(٢).

وإذا تساءلنا عن الأسباب التي قادت الأعظمي إلى الإسلام؛ فإنه يجيب: «الأمور التي حملتني على الدخول في الإسلام: أن الإسلام ليس ديناً موروثاً عن الآباء، بل هو لكل من يفتح له صدره، [وكذلك] ليس في الإسلام

(١) لماذا قبلتُ الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد) ، د. خالد حامدي فلاح، ص (١٤٨-١٤٩).

(٢) المصدر السابق، ص (١٥٠).

فوارق جنسية ولا عصبية جاهلية، فقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) (الحجرات) (١).

وهذه الخلصة من خصال الإسلام لا يعرفها حق المعرفة إلا الأعظمي وأمثاله ممن كابد العنصرية البغيضة؛ حيث تقسم الهندوسية المجتمع إلى أربع طبقات: أعلاها طبقة «البراهما» التي يزعمون أنهم خلقوا من فم الإله، ويختصون بأمور العبادة، والثانية طبقة «الشثري» المختصون بالحرب والسلاح، ويزعمون أنهم خلقوا من ذراع الإله، والطبقة الثالثة هي «الويش»، وبحسب زعمهم فقد خلق هؤلاء من فخذ الإله للفلاحة والزراعة.

وأما الطبقة المسحوقة - والتي ينزلونها منزلة الحيوانات - فهي طبقة «الشودر» (المنبوذون)، وإليها ينتمي الأعظمي ومعظم الهنود، وهؤلاء بحسب كتب الهندوس المقدسة مخلوقون من رجل الإله لخدمة الطبقات الأخرى في المهن التي يرونها حقيرة.

يقول الأعظمي: «وجعلوا (الشودرا) في أرذل الطبقات البشرية، وجردوهم من جميع الخصال الإنسانية، فهم كالحيوان، بل أدل منه؛ إذ تقدس البقرة وتُعبد، بينما تهان طائفة (الشودرا)، والله إنه لجور وعدوان على الجنس البشري، ولا سبيل إلى إنقاذ هذه الفئة من الناس إلا

(١) المصدر السابق، ص (١٥١).

بدعوتهم إلى سماحة الإسلام الذي يجعل التقوى مقياساً
للشرف والكرم ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ أَكْرَمُ﴾^(١).

وقد دفع هذا النظام الجائر عشرات الألوف من طبقة
«الشودرا» للانتقال إلى الإسلام؛ وهو ما أصاب الهيئات
الدينية الهندوسية بالذعر، ودعاها إلى مراجعة قوانينها
الدينية وإصلاحها.

وبالعود إلى قصة الأعظمي^(٢)، فقد تسرب خبر إسلامه
إلى أهله، وبدأت الضغوط تلاحقه بدءاً من عرضه على
الكهنة الهندوس بزعم إخراج الأرواح الشريرة منه، ومروراً
بوضعه في الإقامة الجبرية في البيت، وحبس الطعام
والشراب عنه، وضربه بالعصي والنعال، وليس انتهاء
بمحاولة أخواته ووالدته استعادته إلى الكفر والوثنية -
التي فر منه - بواسطة البكاء والدموع، ثم بإضرابهم عن
الطعام حتى يرجع محمد إلى (بانكي رام)، فيدين من
جديد بدين الآباء والأجداد.

لم تَلِنْ قناة الشاب المؤمن، ولا تلجج في إيمانه، بل
زاد استمساكه بدينه بذات القدر الذي أظهره أهله في تنويع
وسائلهم في التأثير عليه، فقد جادت قريحتهم أخيراً
باستدعاء النساك ليحاوروه، لعلهم بالحجة يغلبونه،
فتصدى لهم الأعظمي خمسة عشر يوماً يناظرهم، يرحمهم

(١) فصول في أديان الهند ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص (٥٥).

(٢) لماذا قبلت الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد) ، د. خالد حامدي فلاحي،

ص (١٥٠-١٥٤).

بأسئلته من سجل تارة، ويلقمهم العلقم بإجاباته تارة، حتى أعيتهم الحيل، وسُدت في وجوههم الفُرج، فعرضوا عليه إذا أصر على ترك الهندوسية أن ينتقل إلى النصرانية، فالمسلمون فقراء، والنصارى أغنياء، فلعله يصيب بعض دنياهم، وسألوه كيف تختار الإسلام والمسلمون يعانون ما يعانون من الفرقة والضعف والتخلف التقني؟ فأجابهم بأنه اختار الإسلام لا المسلمين، وتحداهم أن يأتوه بمثلية واحدة تطعن في دينه القويم.

سُقِط في يد الأسرة الهندوسية، فقرر والده تسليمه إلى منظمة هندوسية متطرفة معروفة بوحشيتها، وقد تخصصت في تعذيب أبناء الهندوس المهتدين إلى الإسلام، فهرب منهم، وأقام في شظف من العيش، وهم يطاردونه من مدينة إلى أخرى؛ حتى استقر به المقام في مدينة مدراس في جنوب الهند، حيث أقام ست سنوات في مدرسة دينية تدعى (جامعة دار السلام)، وفيها تعلم العربية والأردية، وحاز الكثير من العلوم الإسلامية، قبل أن يطلب العلم في ربوع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فدرس فيها الحديث النبوي، ثم نال درجة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز، ثم الدكتوراه من الأزهر الشريف.

وعاد الشيخ الأعظمي إلى المدينة المنورة، ليتفرغ فيها للتدريس الجامعي والتأليف، فكتب العديد من الكتب النافعة، ومن أهمها: «دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند»، و«المنَّة الكبرى شرح وتخريج السنن

الصغرى»، و«دراسات في الجرح والتعديل»، و«المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي»، و«معجم مصطلحات الحديث».

نسأل الله لنا ولشيخنا الأعظمي الثبات على الإيمان.

(مريم جميلة) مارجريت ماركوس

لكم كان مفاجئاً للكثيرين انتشار الإسلام بين النساء ودخولهن فيه بنسب فاقت الرجال في معظم البلدان التي تشهد زيادة مطردة في عدد معتقي الإسلام.

ولقد تساءل هؤلاء طويلاً عن السر في تحول المرأة من حياة اللهو والسفور إلى حياة لا تخلو من بعض الضوابط التي تلزم المرأة وتقيّد ملبسها ومظهرها، وتحد من اختلاطها بالرجال، كيف يعتنق هؤلاء النسوة الإسلام مع أن الدعاية الكاذبة عنه لا تفتأ تحذر من اضطهاد مزعوم للمرأة وهضم لحقوقها في ظل الإسلام؟

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

"مارجريت ماركوس" أو "مريم جميلة" هي واحدة من النساء اللاتي سمعن الكثير من الأقاويل الكاذبة عن الإسلام، فقد ولدت عام ١٩٣٤م لأبوين يهوديين من أصل ألماني، لكنها لم تلبث إلا قليلاً لتتحول مع عائلتها إلى مذهب إلحادي تديره جمعية تُدعى «جمعية الثقافة الأخلاقية»، وتدعو إلى فكرة تغير القيم والأخلاق بحسب الزمان والمكان، فما يعد فضيلة في مجتمع، قد يكون - بحسبهم - رذيلة في مجتمع آخر أو في زمان آخر.

وبعد عشر سنوات من الضياع مع هذه الجمعية؛ قررت أسرة مارجريت الانتقال إلى النصرانية واتباع كنيسة إصلاحية ترفض التثليث.

لكن مارجريت لم تتابع عائلتها في هذه النقلة، بل اتجهت إلى اعتناق البهائية التي اجتذبتها بدعوتها المزعومة إلى تحقيق وحدة الجنس البشري بتوحيد أديانه وصهرها في دين واحد يسع الجميع، فمضت تغرق في دركاتها سنة كاملة قبل أن تقرر تركها لتعود إلى اليهودية متأثرة بأستاذها في جامعة نيويورك؛ الحاخام البرفسور كاتش، فقد درست عنده مادة اليهودية والإسلام، والتي لخصها الحاخام بقوله: الإسلام دين مقتبس من اليهودية والفرق المسيحية القديمة.

ورغم تأثرها بالحاخام كاتش؛ فإن مارجريت لم تستطع رؤية هذا التشابه المزعوم، فشغفها بالقراءة والاطلاع مكنها من اكتشاف حقيقة مهمة، يلخصها أن الإسلام يختلف في أصوله وفروعه عن أديان أهل الكتاب، وأنه يرفض كافة صور تشبيه الله بخلقه - التي تمتلئ بها كتب اليهودية - وليس فيه شيء من الأساطير التوراتية والأخطاء العلمية والتاريخية التي تمتلئ بها كتب أهل الكتاب.

استمعت مارجريت إلى القرآن الكريم أول مرة بسبب ولعها بالموسيقى العربية، وتنقلها بحثاً عنها بين الإذاعات العربية، استمعت إليه فأعجبها أداء قرائه من غير أن تفهم معانيه أو تنصت إلى نداءاته.

مرضت مارجريت بمرض ألزمها سرير المستشفى ستين، كانتا فرصة لها لقراءة ترجمة القرآن الكريم لأول مرة، لكنها للأسف كانت ضحية لترجمة شوهاء كتبها المستشرق جورج سيل، وملأها بالتحامل على القرآن

الكريم، والدعاوى التي أقنعت مارجريت - ولو لبرهة - بأن القرآن منحول من أساطير أهل الكتاب.

ولأن الله يخبئ لها الخير في أسفار قدره؛ فقد أدركت مارجريت تحامل جورج سيل على القرآن الكريم، ورفضت دعاويه، وتخلصت من غشاوة أوهامه، واطلعت على ترجمة معاني القرآن الكريم التي أعدها المهندي إلى الإسلام محمد مرامدوك بكتول، ترجمة أحبتها مارجريت، فقد أسفرت لها عن المضامين الحقيقية لهذا القرآن العظيم، إذ لم ينحُ بكتول في ترجمته إلى المنهج الاعتدالي الضعيف الذي يقدمه بعض المسلمين المهزومين ثقافياً في تفسيرهم للقرآن أو أحكامه حين يرومون المصالحة بينها وبين القيم المادية الغربية.

أدركت مارجريت ماركوس أن القرآن الكريم هو وحي الله تعالى، وأنه الكتاب الذي ارتفع بالعرب، فصنع أمة مدوية في التاريخ على أنقاض قبائل متناحرة غارقة في الجهل والوثنية، تقول مارجريت: «الإسلام فقط هو الذي جعل العرب أمة عظيمة، وبدون القرآن فمن المحتمل أن اللغة العربية كانت ستكون منقرضة الآن، وفي أحسن الأحوال، بدون القرآن تكون غير مشهورة كالزولو، كل الآداب والثقافة العربية مدينة للقرآن الكريم، وتعتمد عليه. وبدونه فإن الآداب والثقافة لا قيمة لها».

وشرعت مارجريت في المقارنة بين القرآن وأسفار التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى، فمفهوم الموت

والنشور الذي تخافه مارجريت غامض في الإنجيل، وغائب في التوراة، لكنه واضح المعالم في القرآن الكريم، الذي وجدت في أفناء سوره إجابات مقنعة لمشكلات الحياة الكبرى، ولكثير من الأسئلة التي صدّعت رأسها أثناء تجوالها بين الأديان والعقائد؛ اليهودية ثم الإلحاد ثم البهائية.

كل يوم يمضي كان يُبعد مارجريت عن الحياة الغربية البائسة، فقد كانت كما وصفها المودودي: «كنبّة استوائية زُرعت في منطقة قطبية»، ولم تكن لتقوى - وهي الأنثى الضعيفة - على مواجهة هذا الواقع وحيدة، فكسرت جدار العزلة الذي يلفها؛ بمراسلة أعيان الفكر الإسلامي في العالم، أرسلت إليهم تسألهم وتستفسر منهم، وترجو الطمأنينة والأمن النفسي في إجاباتهم التي ظفرت منها بالكثير من الفوائد التي أعانتها في طريق رحلتها إلى اكتشاف الحقيقة.

ولعل الإمام المصلح أبا الأعلى المودودي، كان أبرز من راسلته مريم جميلة وأبلغهم تأثيراً في مجرى حياتها، فقد أهداها كتبه، فقرأت فيها - من معاني الاعتزاز بالإسلام والتعالي على الفلسفات المادية - ما أثار الكثير من إعجابها، وتميزت مراسلاته المتتابعة معها بالكثير من الصدق والموضوعية التي تليق بعلم رجل كبير في حجم المودودي رحمه الله، وقد نشرت تلك المراسلات بينهما في كتاب خاص، وهي منشورة على شبكة الإنترنت.

ورغم أصولها اليهودية؛ فإن مشاعرها الإنسانية فاضت برفض احتلال أبناء دينها اليهود لأرض العرب في فلسطين،

وحكت قصتها "أحمد خليل" مأساة فلسطيني شرده الاحتلال عن قريته التي دُمرت بآلة البطش والبغي الصهيونية المدعومة من القوى الاستعمارية الغربية.

بعد عشر سنوات من البحث والتمحيص والدراسة والمراسلة مع المودودي وغيره من علماء ودعاة الإسلام؛ قررت مارجريت التحول إلى مريم جميلة ، فأعلنت إسلامها في يوم عيد الأضحى المبارك في عام ١٩٦١م في مسجد بروكلين في نيويورك، لتعاني بعده - الشابة المهندسة مريم جميلة - المزيد من ضراوة الغربة القاسية التي كانت تقض حياتها وتزيد عزلتها عن المجتمع الذي تعيش فيه.

بُعيد إسلامها، أعدت مريم جميلة خطبة تعبر فيها عن اعتزازها بالإسلام، وكان عنوانها: "هل يمكن للإسلام أن يتوافق مع روح القرن العشرين؟"، وقد ألقاها على منبر الجمعة أحد الطلاب المصريين، وتضمنت الخطبة رفض الاتجاه التغريبي الذي ينبهر به بعض المثقفين الذين يسمون أنفسهم بالتقدميين، ويطالبون باستبدال الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية، والأخوة الإسلامية بالرابطة القومية؛ علاوة على مطالبتهم بما يسمونه «تحرير المرأة»، والمقصود تبنيها للقيم الغربية وإبعادها عن دينها وقيمها الإسلامية.

وقد كتب المودودي لها مهنتاً ومتعجباً من هذا الوعي الكبير: «لقد درستُ خطبتك ليوم الجمعة بدقة، وأؤكد لك

أن ما ذكرته هو نفس ما كنت أردده لمدة ثلاثين عاماً باستمرار، وذلك هو السبب في أن المحدثين يخافونني كخطر عليهم، وأنا أتعجب كيف تسنى لبنت وُلدت ونشأت في أمريكا أن تكون قادرة على استيعاب المشكلة بهذا العمق؟.. ما ذكرته في خطبتك لا يثير في نفسي إلا التقدير العميق، داعياً الله أن يزودك بالحكمة والثبات على توضيح وتعزيز قضية الإسلام».

دعاها المودودي رحمه الله إلى الهجرة من أمريكا إلى باكستان، والإقامة في بيته وبين أسرته في لاهور، وتلمس أن يستعيد في مقدمها سيرة الأنصار الذين فتحوا بيوتهم لإخوانهم من المهاجرين الفارين بدينهم من مكة المكرمة، وصارحها بما سيواجهها من صعوبات في حال وصولها إلى باكستان التي تفتقر إلى الكثير من وسائل الترف والمدنية التي تعرفها مريم في أمريكا، وتعهد رحمه الله في رسالة وجهها إلى والديها، برعايتها في باكستان كواحدة من بناته، فأذن لها بالسفر، لتتخلص من غربتها الشعورية في بلدها، ومن آصار الحياة المادية الغربية التي سُمّتها .. فهي تختصر غاية الخلق وآمال المخلوقين في دنيا قصيرة زائلة .. اختارت مريم أن تعيش بين إخوانها المسلمين، وأن تنعم بقيم الإسلام، وتزوج الأستاذ محمد يوسف خان، وتنجب له أربعة من الأبناء.

وفي باكستان بدأت مريم جميلة حياتها في المجتمع المسلم بالدراسة والبحث والتأليف، وقدمت للمكتبة

الإسلامية عشرة كتب تميزت بالوضوح والنضج والالتزان، وكان أهمها كتاب (الإسلام في مواجهة الغرب)، و(رحلتي من الكفر إلى الإيمان)، و(الإسلام والتجديد) و(الإسلام في النظرية والتطبيق)، فأسفرت كتبها عن ذهنية ناضجة وفكر فاحص واع؛ وبخاصة حين درست الإسلام وعلاقته بالأديان الكتابية وبالفلسفة الغربية، وتحدثت بكثير من الألم عن صور الاستلاب الحضاري ومشاعر الدونية الثقافية التي رأتها عند كثير من المسلمين المفتونين بالحضارة الغربية؛ حيث أصاخوا السمع - بل والقلب - إلى مزاعم الغربيين أن «الإسلام مضى زمانه، وأنه غير ملائم لهذا العصر»، فرأت أن بعض المسلمين الموافقين لهم هم أقمار، بل توابع تدور في أفلاك أولئك الغربيين الذين أفسدوا الحياة الثقافية والتعليمية في المشرق الإسلامي، وصنعوا هامة من كل رقيع يتهم الإسلام بالرجعية والتأخر، وهو يزعم الانتساب إليه، ورأت مريم أن هؤلاء الشائئين «يعانون من صراع في الولاء، فهم نتاج مدنيتين متضادتين تماماً، ولا ينتمون إلى أية واحدة منهما... والنتيجة هي صراع نفسي حاد الألم، ولأجل أن يحصلوا على الراحة العقلية؛ يضطرون إلى أن يفسروا الإسلام على أنه موافق لطريقة الحياة التي يرغبون أن يسيروا عليها»^(١).

(١) مقالها في مجلة حضارة الإسلام، العدد الثاني، السنة الرابعة، أيلول ١٩٦٣، ص ٧٩-١٠٢.

وبعد عشرين سنة من دخولها في الإسلام، أرسلت مريم جميلة إلى والديها رسالة نصح وإشفاق ؛ تصف فيها الحياة الغربية وأسباب الشقاء الذي تعانيه البشرية برؤية متقدمة تشبه الحياة الغربية بـ«روما» القديمة التي اضمحلت وأصبحت أثراً بعد عين، تقول: «الواقع أن هذا الانحدار كان واضحاً منذ الحرب العالمية الأولى: الفوضى الأخلاقية في غياب أية قيم محترمة، أو معايير ثابتة للأخلاق والسلوك، والهوس الجنسي الفاسد، وانتشاره في وسائل الإعلام الترفيحية، سوء معاملة الكبار في السن، معدلات الطلاق التي في ارتفاع متزايد بين الأجيال الحديثة، والزواج الدائم السعيد أصبح نادراً، الاعتداء على الأطفال، تلوث البيئة، استنزاف الموارد النادرة وذات القيمة، الأوبئة التناسلية، الاضطرابات العقلية، إدمان المخدرات والكحوليات، الانتحار كعنصر متقدم في أسباب الوفيات، الجريمة، التخريب، الفساد الحكومي، واحتقار القانون بصفة عامة... السبب في ذلك هو فشل العلمانية، والمادية، وغياب القيم الأخلاقية، وتجاوزُ التعاليم الإلهية، والقيم الأخلاقية».

قصة مريم جميلة مع الإسلام يوجزها قولها: «منذ بدأت أقرأ القرآن، عرفت أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب، بل هو الحياة بعينها، وكنت كلما تعمقت في دراسته ازددت يقيناً أن الإسلام وحده هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة سادت العالم».

رحمها الله، وأسكنها فسيح جناته.

الدكتور المستشار (محمد) مجدي مرجان

ولد الدكتور مجدي حليم مرجان عام ١٩٣٩م في صعيد مصر لأبوين نصرانيين ميسورين، لكنهما مختلفان، فالأم أرثوذكسية متعصبة، والأب إنجيلي بروتستنتي منفتح على المسلمين، فقد كان يداوم مع صديقه محمد توفيق المعارجي على حضور خطبة الجمعة في المسجد وقُداس الأحد في الكنيسة.

تعرف مجدي منذ نعومة أظفاره على الإسلام من خلال صداقته لأبناء مدرسته الابتدائية، فقد كان يشاركهم حصص التربية الإسلامية التي كان يرفض الخروج منها، ويحبذ حضورها معهم، وربما طلب منه الأستاذ أن يقرأ بعض آيات القرآن وأن يلقيها في طابور الصباح.

ومنذ ذلك الحين، اعتاد مجدي أن يضيف في كراساتهِ الدراسية لاسمه اسم محمد، محبةً في النبي ﷺ الذي كثيراً ما كان يراه في المنام وهو يسلم عليه.

وهب والد مجدي الكنيسة قطعة أرض، فكافأه أسقف الكدراية برسم ابنه مجدي شماساً في الكنيسة، وهو ما جعله أقرب إلى رجال الكنيسة، فعرف دقائقهم، وتفتح عيناه على حقائق أبعدته بعيداً بعيداً عن المسيحية، وكلما اقترب من الكنيسة ازداد بُعداً ونفوراً من المسيحية، فقد كره منها رجال الدين الذين يظهرون بسيما الحملان، وقلوبهم أمكر من الثعالب، رآهم وهم يجمعون النقود بعد الصلوات فيما يسمونه «لَم الطبق»، ثم يتنازعون ويتشاجرون

- أو يكادون - على تقاسمه بدل أن يوزعوه على الفقراء والمحتاجين.

كره مجدي أيضاً ما رآه من طقوس وثنية تغلب على دينه، فالكنائس ملاءى بالصور والتماثيل التي ينحني الناس لها ويركعون إجلالاً، تساءل: هل يمكن أن يكون هذا دين المسيح الذي كان مصداقاً بتعاليم الله إلى موسى عليه السلام: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تماثلاً منحوتاً، ولا صورة ما، ممّا في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض» (الخروج ٢٠/٢-٤)؟.

واستاء مجدي جداً من شرعة الاعتراف الكنسي، حيث يقف الخاطئ أو الخاطئة بين يدي القس - وهو مثله في الخطأ والعصيان - فيبوح بسر خطيئته بين يديه، ويهتك ستر الله عليه، ويفضح نفسه، ثم قد يصبح ضحية لقس يبتز ضحاياه ويهددهم بكشف المغطى، فقد اطلع على سوءته وعرف نقطة ضعفه وانكساره.

وكثيراً ما كان اعتراف خاطئة بين يدي قسيس؛ بوابة لما لا يُحمد ذكره، ولا يُتوقع دفعه، فكان مجدي يتساءل: لِمَ نحتاج إلى هذه الوساطة لننال المغفرة، ولا يحتاجها المسلمون الذين يستغفرون الله بلا وسيط ولا فضيحة؟ فإلههم يحبهم إذا تابوا من خطاياهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

لكن الداهية التي أظلم لها قلب مجدي كانت التثليث، عقيدة أعبى العقلاء فهمها، حتى جعله القس توفيق جيد في كتابه "سر الأزل" من المستحيلات التي لا طائل حتى من محاولتها، لأن «الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك، كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه»^(١).

وقد تأكد مرجان بنفسه من استحالة فهم الثالوث: «ولقد قمت بنفسي بمناقشة كثير من الإخوة المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة.. وكثير منهم أصدقاء وأقارب يولوني ثقتهم، ويصدقونني في الحديث، فأخبروني أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس، وأن كثيرين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم»^(٢).

واستعرض مجدي الأسفار المقدسة يبحث فيها عن دليل للتثليث يروي ظمأ عقله، فلم يجد حرفاً واحداً يرضي ضميره، فالتثليث صناعة المجامع الكنسية في القرن الرابع الميلادي، ولا يعرف عنه المسيح ولا حواريه شيئاً، بل حتى رجال الدين في القرون الأولى لم يسمعوا عن التثليث، وكانوا يعتبرون المسيح والروح القدس مجرد مخلوقين كريمين، واستدل مرجان لذلك بقول الأسقف مقدونيوس، أسقف القسطنطينية: «الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، وليس بأقنوم متميز عن الآب والابن، مخلوق يشبه

(١) الله واحد أم ثالوث؟، محمد مجدي مرجان، ص (٥٨).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٠).

الملائكة، ذو رتبة أسمى منهم»، ونقل عنه قوله: «أما الروح القدس فهو مخلوق مصنوع»، ومثله عن قول أسقف اللاذقية أبولينارس: «الروح القدس عظيم، والابنُ [المسيح] أعظم، والآب [أي الخالق] هو الأعظم»^(١).

ووجد مرجان في نصوص الإنجيل ما يؤكد أن عناصر التثليث - التي تدعي الكنيسة تساويها في جوهر الألوهية - متفاوتة القدر، فبعضها أعظم من بعض، والله هو الأعظم منها، وهو المستحق دونها للعبادة، فالمسيح يقول: «أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤/٢٨)، والمسيح رسول الله، ويقول: «الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله» (يوحنا ١٣/٢٦)^(٢).

بل إن نصوص الإنجيل تدحض عقيدة التثليث ، وتثبت عدم أصالته: «ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد، الذي في السماوات [أي ربكم واحد وهو الله]، ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد، المسيح» (متى ٢٣/٩-١٠)، وقد قال المسيح للشيطان: «اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ٤/١٠).

ومصدق ذلك في القرآن ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) المصدر السابق ، ص (٣٣).

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٧ ، ٣٣).

الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ
يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٧٣﴾ (المائدة).

وتوقف مرجان - في كتابه الماتع - مع محاولة الكنيسة
تجميل التثليث بالقول بأنه ثالث توحيد، ثلاثة في واحد،
وواحد في ثلاثة، فقال: «هذا المزج على استحالته يزيد الأمر
تعقيداً، والغرز غموضاً! فكيف يكون الواحد ثلاثة؟ والثلاثة
واحداً؟ هل يجتمع النقيضان؟ وهل يمتزج الضدان؟ هل
يجتمع الخطأ والصواب؟ وهل يختلط النور بالظلام؟ وهل
يمتزج الحق بالباطل؟ نقول: هيهات هيهات»^(١).

وهكذا باءت بالفشل كل محاولات مرجان في فهم
التثليث، فهرب من النصرانية إلى دراسة الأديان المختلفة
«ولقد بذلت جهداً كبيراً في محاولة إقناع عقلي وفكري
بظروف ولادتي ونشأتي التي تُحتم عليّ الإيمان بالله
الثالث بحكم الوراثة والتقليد والانسياق والعادة، لكنني
فشلت في هذا ، فذهبت أبحث العقائد الأخرى في حياض
وتجرد عن كل ظروف البيئة والمولد»^(٢).

وخلال دراسته في الأديان، اكتشف مرجان أصالة
التوحيد في التاريخ البشري رغم اتساع رقعة الوثنية في

(١) المصدر السابق ، ص (٤٣).

(٢) المصدر السابق ، ص (٥).

حياة الأمم المختلفة، فإن بذرة التوحيد لم تخب، وقد عبرت عنها قصائد ومنقولات الفرعون أمنحتب الثالث وابنه أخناتون وغيرهم من فلاسفة العالم، الذين رفضوا الاعتراف بالشرك الوثني، والذي كان التثليث واحداً من صوره، فقد كشف مرجان أن التثليث معتقد قديم وفد على المسيحية من الأديان الوثنية السابقة عليها، فالمصريون القدماء كانوا يؤمنون بالثالوث (أوسيري، هور، إيس)، والهنود كذلك آمنوا بالثالوث (سافستري، آني، فايو)، ولهم فيه أمانة تشبه، بل تتطابق - فيما عدا الأسماء - مع صيغة الأمانة التي أصدرها مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُواْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

مرجان كان قارئاً نهماً، وقد أوصلته قراءاته إلى نتيجة صادمة، لكنها صحيحة، وهي أن المسيحية بعقائدها وعباداتها الشركية نسخة معدلة ومنقحة بعض الشيء عن الديانات الوثنية السابقة، وأنها ليست الدين الصحيح الذي نزل به عيسى موافقاً لمن قبله وبعده من الأنبياء، فكلهم دعوا إلى «دين واحد ألقى بذرته آدم، وجاء نوح فأنماه ساقاً، وتبعه إبراهيم فرواه فروعاً، ثم أتى موسى فتعهده ورقاً، وتبعه عيسى فرعاه زهراً، ثم جاء محمد فأنضجه ثمراً شهياً، دين واحد ... شجرة ضخمة، أصلها ثابت

وفرعها في السماء»^(١).

في عام ١٩٦١م، أسلم الشاب مجدي، وتسمى رسمياً باسم محمد مجدي مرجان، وهو حدث لم يمر عابراً في قريته التي ماجت وهاجت، وتقاطر القسس إلى بيته يعظونه مرة، ويهددونه مرة، ويرغبوه ثالثة، ولكم لم يُجد معه نصيحهم، ولا أخافه تهديدهم؛ تعرض للقتل في محاولات عديدة سلمه الله من شرها.

نال محمد مجدي مرجان شهادة الدكتوراه في الحقوق والقانون من جامعة القاهرة، وتدرج في سلك القضاء حتى وصل إلى رئاسة محكمة الجنايات والاستئناف العليا، ثم حصل على دكتوراه أخرى في القانون الدولي من جامعة بوردو الفرنسية، وهو اليوم رئيس المنظمة العالمية للكُتّاب الأفروآسيويين، وهي منظمة تنشط في العمل مع المثقفين والمؤلفين في قارتي آسيا وأفريقيا.

كتب الدكتور محمد مجدي مرجان أربعة كتب، طبع منها ثلاثة، وضاع رابعها الذي حكى فيه قصة إسلامه التي سلطنا بعض الضوء عليها في هذه العجالة^(٢)، وأما الكتب الثلاثة الأخرى؛ فاثنتان منها أراهما من أهم كتب الجدل الديني، وبخاصة كتابه «الله واحد أم ثلاث؟»، الذي عرضنا نتفاً منه، وأما كتابه الآخر «المسيح عليه السلام إنسان أم

(١) المصدر السابق، ص (١٣٨).

(٢) وقد حكاها لي سعادته في مكالمتي الهاتفية له ظهر يوم الجمعة ٢٠١٢/١٠/٣م.

إله؟» فهو من أمتع الكتب في إثبات بشرية المسيح وبراءته من دعوى الألوهية والربوبية، بشهادة المنسوب إليه في أسفار العهد الجديد.

وأما كتابه الأخير «محمد نبي الحب» ، فيتحدث فيه عن صور الحب والرحمة التي أعلى من شأنها وقيمتها نبي الرحمة والحب محمد ﷺ مستعيناً بشواهد من حبه ﷺ للآخرين وحبهم له، بل ينقل بإكبار وإعجاب تحول أعدائه ﷺ إلى أنصار وحواريين ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (فصلت).

وهكذا فإن الحقيقة لا تخفى على طالبها بصدق وإخلاص.

(الحاج مالك شباز مالكوم إكس)

مالكوم إكس أو الحاج مالك شباز، واحد من أهم رجال الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الماضي، كيف لا؟ وهو أحد أهم أفراد منظمة "أمة الإسلام" التي ينتظم فيها الملايين من السود في أمريكا، وأحد أشهر المناضلين ضد التمييز العنصري الذي تعرض له السود في أمريكا.

ومالكوم إكس ليس الاسم الحقيقي للشاب الأسود المتدفق حيوية، لكنه اختار هذا الاسم (إكس) للتعبير عن مجهولية الأصل أو البلاد التي ينحدر منها أسلافه؛ قبل أن يؤتى بهم عبيداً إلى القارة الأمريكية، فهو ابن القس الأسود "إيرل ليتل"، الذي لم يجد كنيسة تتولى مراسم دفنه لسواد بشرته، فشيّع من دكان حانوتي.

غير بعيد عن تمثال الحرية ولد مالكوم إكس عام ١٩٢٥م في الولايات المتحدة الأمريكية؛ في وقت كان السود يعانون فيه أبشع أنواع الاضطهاد العرقي والتهميش المجتمعي، ولكم ألمه نداء أقرانه له في المدرسة بـ "مالكوم الزنجي".

لكنّ براءة الطفولة تلاشت بعد مقتل والده وعددٍ من أفراد عائلته على يد عصابة عنصرية من البيض (كوكلوكس كلان)، لتعطل مسيرة الشاب الذي طمع بدراسة المحاماة، فأطاش الفقرُ واليُتم أحلامه، فطرد من مدرسته، لينتقل بين عدد من المهن، قبل أن يستبدلها بحياة اللصوصية والإدمان، ليقضي أربع سنوات من عمره في السجن، سنواتٍ عمقت

كراهيته للرجل الأبيض، وشوهت كل ما يتعلق به، حتى أطلق عليه لقب "أشد السود غضباً في أمريكا".

في سجن كونكورد - حيث يقضي مالكوم عقوبة السجن - وصلت إليه رسالة من أخيه فيليب، يخبره فيها أنه اهتدى إلى الإسلام، وأن هذا الدين هو دين الرجل الأسود، وفقاً لمعتقدات جماعة "أمة الإسلام"^(١)، فقبل مالكوم الدعوة، وانطلق يقرأ في مكتبة السجن الكثير من الكتابات التي رسخت عنصريته، وقد أضحي - بفضل اطلاعه الكبير - مثقفاً موهوباً يعتز بسواد لونه، ويؤمن بحاجة السود للتحرر من المظالم التي يتعرضون لها، ولم يعرف من دينه الجديد إلا أنه دين السود كما تزعم جماعة "أمة الإسلام".

خرج مالكوم من السجن سنة ١٩٥٢ م، ليرى مجتمعاً زنجياً آخر غير الذي كان يعرفه، يقول: «أذهلني أخلاق المسلمين التي لم أكن قد رأيت لها مثيلاً بين الزنوج.. هزني طريقة السلام عند الرجال، حيث يأخذ الرجل يد أخيه بين يديه، والبسمة على شفثيه، ولسانه يلهج بعبارات الفرحة باللقاء»^(٢).

صحب مالكوم "إليجا محمد" قائد جماعة "أمة الإسلام" والذي كان يدعي النبوة، ولا يكاد يعرف عن

(١) وهي جماعة أمريكية منحرفة في فهم الإسلام، وتعتبره دين الرجل الأسود، وتنادي بكراهية الرجل الأبيض.

(٢) مالكوم إكس (سيرة ذاتية)، إليكس هالبي، ص (١٤٩).

الإسلام إلا اسمه وتكريمه للسود، وأصبح مالكوم من أهم دعاة هذه الجماعة المنحرفة وأكثرهم تأثيراً بين السود، ودوّى اسمه وحديثه بكرهية البيض في وسائل الإعلام المختلفة التي تناقلت أخبار محاضراته في أعرق الجامعات الأمريكية.

دُعي مالكوم إكس إلى إلقاء محاضرة في إحدى كليات جامعة هارفرد، وأطل من نافذة الكلية، فأبصر بناء لا ينسأه أبداً، أبصر بيتاً كان يخبئ فيه مسروقاته قبل إسلامه؛ فاعترفته هزة عميقة، وقال في نفسه: «ما أعمق ما امتدت إليّ يد الإسلام لترفعني .. الله منّ علي فهداني إلى الإسلام، وساعدني الإسلام على الارتفاع بنفسي من أوساخ هذا العالم المتعفن وأوحاله، لأقف خطيباً في هارفرد ... وهناك أمام النافذة عاهدت الله على أن لا أنسى أن الإسلام هو الذي أعطاني الأجنحة التي أحلّق بها، ولم أنس ذلك أبداً، لم أنسه لحظة واحدة»^(١).

لكن مالكوم إكس لم يتعرف على الإسلام الصحيح إلا حين سافر للحج في عام ١٩٦٤م، فرأى لأول مرة مجتمع المسلمين الذي يضم الأسود والأبيض، ولمس في إخوانه - على اختلاف ألوانهم - رفضهم لما يتعرض له السود من إيذاء وعنصرية مشينة، فالإسلام يوحد بينهم من غير أن يؤثر في ذلك اختلاف أجناسهم وجنسياتهم

(١) المصدر السابق، ص (٢١٦-٢١٨).

وألوانهم، ويصوغ منهم أمة واحدة تتفاوت فيها أقدارهم ومنزلتهم بقدر عبادتهم لله وامثالهم أمره ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، فالإسلام يرفض كراهية الرجل الأبيض كما يرفض ادعاء تفوقه سواء بسواء: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»^(١).

في رحلة الحج تعرف "مالكوم إكس" على الإسلام الصحيح لأول مرة، فتعلم الوضوء، وصلى لأول مرة في حياته في مدينة جدة، وتنقل بين جنبات المشاعر التي ألهمت حماسه للبدء في التعرف على الإسلام من جديد.

استقبله الملك فيصل رحمه الله، وأبدى له تعاطف المسلمين مع السود فيما يتعرضون له من اضطهاد عنصري، ثم عرض عليه الملك ما تذكره الصحف عن جماعة "أمة الإسلام"، وقال له مصارحاً: «إذا كان ما كتبته هذه الصحف صحيحاً فإن ما يتبعه المسلمون السود ليس هو الإسلام الصحيح»، فأجابه مالكوم: «إن هدفي من الحج هو معرفة الإسلام الصحيح».

عشرون يوماً قضاه مالكوم إكس بين إخوانه المسلمين بألوانهم المختلفة، ورأى خلالها في الإسلام ما

(١) أخرجه أحمد ح (٢٢٩٧٨).

لم يره من قبل، فعاد إلى أمريكا وهو يرى في مجتمع الإسلام مزية لم يجدها في غيره، إنه عمى الألوان المحبب، فالمسلمون - وفقاً لدينهم - لا يميزون بين الناس بحسب ألوانهم، فجميع بني آدم مشمولون بالكرام الإلهي الذي ميز الإنسان عن جميع الخلائق ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْأَحْمَرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء).

اختار مالکوم لنفسه اسماً جديداً «الحاج مالك شباز»، وبدأ بالتصدي لأخطاء زعيم "أمة الإسلام" "أليجا محمد"، وشرع في الدعوة إلى الإسلام الصحيح مستغلاً قدراته الخطابية العالية والثقة والإعجاب اللذين يكتنزهما في صدور الأمريكان السود، ولم يبال بتهديدات "أليجا محمد" وأتباعه، ودفع حياته ثمناً لذلك، فمات مقتولاً أثناء إلقائه محاضرة في مطلع عام ١٩٦٤م، وعمره حينذاك أربعون سنة.

لكن العظماء لا تموت أفكارهم بموتهم، بل تُذكي قطرات دمائهم الصادقة روحاً جديدة تسري فيمن حولهم، فتتير الطريق لمن يأتي بعدهم، فقد كانت صرخات الحاج "مالك شباز" سبباً في رجوع الكثيرين من جماعة "أمة الإسلام" إلى الإسلام الصحيح، وأثمرت جهوده بترك عدد كبير منهم لحركة أمة الإسلام، وتأسيسهم ما أسموه «حركة البلالين» نسبة إلى الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه. ولقد كان هذا الاسم اختياراً صائباً، إذ تتجلى في

قصة بلال رضي الله عنه عظمة الإسلام الذي ساوى بين المسلمين ، بلال الذي قال فيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا»^(١) يعني بلالاً رضي الله عنه، فسواد بشرة بلال رضي الله عنه لم يمنعه من الظفر بمحبة المسلمين، أبيضهم وأسودهم على السواء.

وتروي لنا دواوين السنة النبوية موقفاً عجيباً تظهر فيه أصالة قيم الإسلام ومصادقيتها، فالمساواة بين المؤمنين ليست شعاراً أجوف يرفعه الإسلام رياء الناس، ويتنكر له ساعة الجِدِّ والفِعال، فقد مر أبو سفيان سيد قريش - قبيل إسلامه - على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها.

فسمع أبو بكر الصديق مقاتلهم، فرفق بسيد العرب وكبير قريش، فقال معاتباً: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ وأتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكوهم عنده، ويخبره بما قاله سلمان وبلال لأبي سفيان، فقال له صلى الله عليه وسلم مستفهماً: «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم؛ لقد أغضبت ربك».

ذعر الصديق لما سمع، فانطلق يسارع في خطاه إلى بلال وإخوانه من الضعفة الذين يغضب الله لغضبهم، فأتاهم، فقال: يا إخوانه أغضبتكم؟ قالوا: لا، ويغفر الله لك يا أخي^(٢).

(١) أخرجه البخاري ح (٣٧٥٤).

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٥٠٤).

ولما تلاهى العربي أبو ذر رضي الله عنه مع بلال الحبشي رضي الله عنه، قال له أبو ذر وهو مغضب: يا ابن السوداء؛ عيّرته بأمه وسوادها، فانطلق بلال ابن حمامة ورباح يشكوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لأبي ذر: «أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»^(١)، أي خصلة من خصال الجاهلية، إذ ليس في الإسلام أبيض وأسود، فقد وُحِدَ الإسلامُ الجميعَ وصهرهم في بوتقته، وأُيِّ مساس بهذه القيم؛ خروج عن أخلاق الإسلام وقيمه، وعودة إلى قيم الجاهلية وسلوكياتها المقيتة.

ولما أراد المسلمون دخول مصر أرسل إليهم المقوقس: ابعثوا إلينا رسلاً منكم، نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم، فأرسل إليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه وفداً من عشرة رجال، وأمر عليهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وكان رجلاً طويلاً أسود البشرة، فدخلوا على المقوقس، وتقدم عبادة للكلام معه، فهابه المقوقس لسواده، وقال: نحُوا عني هذا الأسود، وقَدِّموا غيره يكلمني.

فقالوا جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيدنا، وخيرُنا، والمقدم علينا، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه، وقد أَمَره الأمير دوننا بما أَمَره به، وأَمَرنا أن لا نخالفه.

(١) أخرجه البخاري ح (٢٥٤٥)، ومسلم ح (١٦٦١).

فقال المقوقس: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلَكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟! قالوا: كلا، إنه وإن كان أسودَ كما ترى؛ فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً، وليس يُنكر السوادُ فينا.

فقال له المقوقس: تقدم يا أسود، وكلّمني برفق، فإنني أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك عليّ ازددت لذلك هيبة^(١).

وهكذا فإن سواد بلال وعبادة لم يمنعهما من سيادة غيرهما من المسلمين والتأثرَ عليهم، وقد ألزم الله ورسوله طاعة من يتولى أمر المسلمين مهما كان لونه أو جنسه، قال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا؛ وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(٢)، فسواده وقبحه لا يغير في أحكام الشريعة التي لا تفرق بين الناس بألوانهم وأجناسهم.

وفي مسجد رسول الله بالمدينة المنورة امرأة سوداء تقمُ المسجد وتنظفه، ففقدتها رسول الله ﷺ فسأل عنها، فقالوا: ماتت.

قال: «أفلا كنتم آذنتموني؟»، قال: فكانهم صغروا أمرها. فقال ﷺ: «دُلوني على قبرها»، فدَلُّوه، فصلى عليها^(٣).

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع

سليمان الكلاعي الأندلسي (١٥/٤).

(٢) أخرجه البخاري ح (٧١٤٣).

(٣) أخرجه البخاري ح (٤٥٨)، ومسلم ح (٩٥٦).

وهكذا فإن الإسلام لا يعترف بفوارق اللون والجنس،
وفي ذلك ما دعا مالكوم إكس إلى الاستمساك بالإسلام
الصحيح ديناً.
فنسأل الله له الرحمة، ولنا الثبات على دينه. آمين.

واصف الراعي

في عَمَّان - العاصمة الأردنية - ولد واصف الراعي لأبوين كاثوليكين، أشربا طفلهما حب النصرانية، والالتزام بطقوسها، وألحقاه في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة بمدرسة «تيرا سانتة» التبشيرية الأمريكية، التي تهتم بحصص الثقيف الديني، ويعمق أساتذتها بأساليبهم الجذابة انتماء واصف وزملائه إلى النصرانية.

مراراً عرض أستاذ التربية الدينية النصرانية صوراً على (البروجكتر) للمسيح وأمه وكذلك صور من يسمونهم (القديسين)، فكان واصف يستمتع مع زملائه بهذه العروض الجذابة. وهذه الحال لم تكن كذلك، حين عرض عليهم الأستاذ صورة رجل طاعن في السن، طويل شعر الرأس، عظيم اللحية، يجلس على السحاب، وسألهم عن صاحب هذه الصورة؟ كل الإجابات توقعها واصف إلا إجابة واحدة يشيب لها الرأس، فقد قال لهم الأستاذ ببرود: إنها صورة الله! تعالى الله عن الشبيه والشريك والمثيل علواً كبيراً.

يقول واصف: «كانت مفاجأة مذهلة بالنسبة لي، لأنه لم يسبق لي أن سمعت أن لله صورة متداولة بين يدي خلقه»^(١)، لقد كانت لحظة فارقة، انضافت إلى أسئلة كثيرة

(١) كنتُ نصرانياً، عبد الله سعد (واصف الراعي)، ص (٢٢)، ويمكن للقارئ الكريم الحصول من شبكة الإنترنت على عشرات الصور المعلقة في الكنائس للرب - تبارك وتعالى وتنزه عن المثل والشبيه - وتظهره على هيئة رجل عجوز، أبيض شعر الرأس واللحية.

جالت في ذهن الفتى المتقد ذكاء، فعشر سنوات من الحشو للمقررات الدينية في المدرسة كانت حصيلتها عند واصف أن «الدين أسرار.. وكأن الدين أنزل بلغة إلهية لا يكاد يعرفها غير الله ونوابه المزعومين في الأرض الذين يفسرونها بما تهوى أنفسهم»^(١)، لقد أحالوا الدين إلى متممات وهمهمات تشبه زمزمة الشُّحَّار وسجع الكهان.

وقد أكد له هذا أحدهم حين قال: «لا يجوز لك أن تناقشني في نصوص الكتاب المقدس، لأن المعنى المقصود منها غير ظاهرها، وهي رموز لأشياء لا يفهمها الشخص العادي»^(٢)، وهكذا فلم يكن السؤال عن الدين إلا واحداً من الحرمات ودليلاً على الكفر أو الشك والارتياب، أو ما أسمته محاكم التفتيش - السيئة الصيت - (هرطقة).

وحين يتجراً أستاذ أو قس على حوار واصف وزملائه؛ فإن من عادة القسس فرض ما يشاؤون من المقدمات، ويعتبرونها بدهية ينبغي التسليم لها وإن أصيب الدماغ بالشلل لمجافاتها العقل والمنطق، فقد سأل واصفُ القسيس يوماً: لماذا نحتاج في الحصول على المغفرة إلى إله يتجسد على الأرض، ثم يُصلب ويُقتل نيابة عنا وهو بريء؟ ألا يقدر الله أن يغفر لنا بكلمة منه؟

فرفع القس عقيرته بذكر ما يعتبره مُسلَّمةً بدهية لا مناص عنها: لا غفران للخطيئة إلا بمقابل، ودم المسيح

(١) المصدر السابق، ص (٣٠).

(٢) المصدر السابق، ص (٣١).

المسفوك على الصليب هو المقابل.
وعبثاً حاول واصف أن يستفهمه عن دليل هذه
المقدمة الخاطئة التي تُبنى عليها النصرانية؟ من قال هذا؟
وهل هو صحيح عقلاً؟ وهل الله يحتاج إلى مقابل حتى
يمنحنا الغفران؟^(١).

أما الإسلام، فقد أَرَضِع واصف من والديه كراهيته، ثم
أشرب وغُذي في مدرسته التبشيرية ما تبقى من حقد مشفوع
بقصص عن الإسلام مختلفة وتلفيقات محبوكة، وأحياناً غير
محبوكة «لم أسأل نفسي دليلاً على أن الإسلام يستحق كل
ذلك الجفاء أو العداء مني أو من غيري، فعاديتُ ديناً لا
أعرف عنه شيئاً غير ما علمني إياه من امتلات قلوبهم بالحق
على الإسلام جهلاً وتجنياً وتقليداً أعمى»^(٢).

لم يكن واصف شاباً متديناً بالمعنى الحقيقي للكلمة،
رغم ترده بين الفينة والفينة على الكنيسة، ومحاولته المتكررة
تطبيق ما يقوله القس أو الأستاذ عن أخلاق المسيحية، وأنها
دين العفو والتسامح وحسن المعاملة، لقد سمع منهم كثيراً
قول المسيح بحسب إنجيل متى : «وأما أنا فأقول لكم: لا
تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له
الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له
الرداء أيضاً، ومن سَخَرَك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين..
أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك،

(١) المصدر السابق ، ص (٥٥).

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٩).

وصلّوا لأجل الذين يسيؤون إليكم ويطردونكم» (متى ٣٩/٥-٤٤)، لكن «إذا جد الجد، فمن يطيق أن يدير خده الأيسر لمن لطمه على خده الأيمن؟ ومن يفرط في شيء يملكه لمن يأخذه منه سرقة أو عنوة وقهراً؟ ومن يحب أعداءه ويبارك لاعنيه؟ .. ومن من النصارى اليوم يطبق هذه التعاليم في واقع حياته؟»^(١).

إن مثل هذه القيم غارقة في عالم الخيال، وتؤسس لمجتمع يسوده الظلم والإفساد والخنوع والرضا بالضميم. وقع خلاف بين والد واصف وإدارة المدرسة التبشيرية، فاضطر لنقله منها إلى مدرسة خاصة تمتاز بسمعة طيبة «مدارس الأقصى»، وهو قرار سيضع واصفاً على مقاعد الدراسة جنباً إلى جنب مع المسلمين الذين يكرههم، وقد أوصاه أبوه - فراراً من المشاكل - أن لا يخوض معهم في أية مجادلات عقدية.

حصة التربية الإسلامية الأسبوعية لم تكن إجبارية على واصف النصراني، ويستطيع التغيب عنها، لكن مظهر الأستاذ «محمد هليل» ينبئ عن مخبر جليل، جاذبيته دعت واصفاً للمداومة على حصة التربية الإسلامية، ومشاركة زملائه المسلمين في حفظ آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ، بل تفوق عليهم، فكان الأول على فصله في جميع المواد، وأيضاً في مادة التربية الإسلامية.

(١) المصدر السابق ، ص (٣٥).

شارك واصف في فرقة المدرسة الكشفية، وحضر مع زملائه المسلمين العديد من الندوات والمحاضرات والمخيمات، فرآهم يصلون ويصومون، وشاركهم الصيام يوماً، كما لحظهم وهم يتحدثون عن الدين ويسألون ويجابون، ليس عندهم في الدين أسرار ولا خصوصيات: «بدا لي وقتئذ أن الإسلام دين عقل ومنطق وقوة وعزة وواقعية، ومع القوة والعزة تجد الحلم والرحمة».

ما فهمه واصف من الإسلام خلال سنتين، كان كافياً لتفنيد الصورة المغلوطة التي حُشيت في رأسه طوال سنين عن الإسلام والمسلمين، كيف وصفوا الإسلام بظلم غير المسلمين والنبي ﷺ يقول: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة»^(١).

ولكم دهش واصف لموقف الخليفة عمر بن الخطاب من اليهودي لما رآه يستعطي الناس، فقال لخازن بيت المال: «والله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (التوبة: ٦٠) والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل

(١) المصدر السابق، ص (٤٤، ٤٨)، والحديث أخرجه أبو داود ح (٣٠٥٢)، ونحوه في سنن النسائي ح (٢٧٤٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح (٢٦٢٦).

الكتاب. ووضع عنه الجزية وعن ضربائه»^(١).

سنتان من الدراسة مع المسلمين علمتا «واصف» الكثير عن الإسلام، وانزاحت فيهما معظم الأباطيل التي طوقته طويلاً، لكن الأهم فيها أنه حاز أسس التفكير السليم، فماذا كانت النتيجة؟ «أننى لعقلي - بعد المؤهلات الجديدة - أن يقتنع بالمسيحية وما فيها من الطلاسم والأسرار والتثليث و«ابن الله»، و«أم الله»، والاعتراف للخوري [القيس] بالذنوب، وبلع الخبز المغموس بالخمير .. وأشياء كثيرة يسمو العقل عن تلقيها بالقبول إلا أن يكون حيس غشاوات التعصب والتقليد الأعمى الموروث»^(٢).

بدأت فكرة الدخول في الإسلام تراود «واصف»، لكنه جبن عن هذا القرار الذي يصادم تعصبه للنصرانية ويفتح أبواب الخوف على ما يأتي، ف«اعتناق الإسلام ديناً يعني التخلي عن مبادئ ومعتقدات ونمط حياة ألفها؛ إلى معتقدات جديدة وحياة لم يألُفها .. هذا يحتاج إلى حكمة وشجاعة»^(٣)، لكنه أيضاً لا يقدر على البقاء في النصرانية وقد استبان له بطلانها، فهرب من الصراع بين عقله وتعصبه إلى الإلحاد، فقرر أن يكون ملحدًا، لكن هيهات،

(١) كنتُ نصرانياً، عبد الله سعد، ص (٤٤)، والأثر أخرجه أبو يوسف في كتاب الخراج (١٥١).

(٢) كنتُ نصرانياً، عبد الله سعد، ص (٥٤).

(٣) المصدر السابق، ص (١٣).

فسرعان ما عدل عن قراره، فعاد إلى الإيمان بالله بعد أن استبان لعقله ضرورة اليقين بوجود الله وبيعض صفاته التي يدل عليها إحكام صنعته في خلقه.

لقد آمن واصف بالعديد من صفات الله تعالى (الخالق، العليم، الحكيم، القدير)، وقرر البحث عنها في أسفار وكتب الأديان الثلاثة (اليهودية، النصرانية، الإسلام)، فلم يجد بُغيته إلا في الإسلام، وقد أوقع الله في يديه كتاب «عقيدة المسلم» للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، فعرف منه أن «الإسلام يؤكد أن الله واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، لا تشبه ذاته الذوات، ولا صفاته الصفات، ولا أفعاله الأفعال، وجدت في هذا التنزيه لله ضالتي المنشودة، وعرفت أن الإسلام يقول في الله ما يقبله كل عاقل .. وقد كان ما نقله الشيخ محمد الغزالي عن عقيدة المسلم مطابقاً لما توصلتُ إليه استقصاءاتي العقلية الطويلة .. جزمت بذلك أن الإسلام هو الدين الصحيح الوحيد الذي يصدق عقلي أنه من عند الله عز وجل»^(١).

خوفه على المستقبل وتوقعه لعذاباته وما سيصيبه من العنت والأذى جعله يتلكأ في الدخول في الإسلام، ثم رأى أن يخرج من قلقه إلى فكرة غريبة، وهي أن يجمع بين الإسلام والنصرانية، وأن يدع من النصرانية ما يتعارض مع الإسلام من عقائد، أي أن يصبح «مسلم كاثوليكي»!

(١) المصدر السابق، ص (١٢٠).

استمر واصف في قراءته في الإنجيل، واسترعى انتباهه نص يحذر فيه المسيح - بحسب إنجيل متى - من مدعي النبوة، ويعطي علامة واضحة للتمييز بينهم وبين الأنبياء الصادقين، فأثارهم في الأرض ونتاجهم بين البشر هي المقياس والمعيار: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم، هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة، وأما الشجرة الرديّة فتصنع أثماراً رديّة، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديّة، ولا شجرة رديّة أن تصنع أثماراً جيدة، كل شجرة لا تصنع ثمرّاً جيداً تقطع وتلقى في النار، فإذا من ثمارهم تعرفونهم» (متى ١٦/٧-٢٠).

وحين طابق واصف بين هذا النص وبين الإسلام: «وجدتُ في تلك العبارات دليلاً قاطعاً على أن الإسلام رسالة سماوية، وأن محمداً بن عبد الله رسول الله حقاً وصدقاً .. فإن عبارة «من ثمارهم تعرفونهم» لتمييز الكاذب من الصادق من الأنبياء .. استعرضت الإسلام [فوجدت فيه من المزايا ما لم أجد في غيره] .. ومع تلك الميزات لم يكن في وسعي إلا أن أقول: إن الإسلام ثمرة صالحة وثمرة جيدة؛ لا تقدر أن تعطيها إلا شجرة صالحة .. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله»^(١).

(١) المصدر السابق، ص (١٣٦-١٤٠).

في حصة مادة الكيمياء، نطق واصف الراعي
الشهادتين، في يوم جميل من أيام عام ١٩٦٦م (١٣٨٦هـ)،
وعمره حينذاك عشرون سنة، وانتقل للعمل في الرياض
عام ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ)، وفيها تزوج وأنجب، وكتب كتابه
«كنت نصرانياً»، فحكى فيه قصته مع الهداية التي قاده إليها
الله الذي «أنعم عليّ بالإسلام بعد صراع نفسي مرير وتردد
وفتنة كادت أن ترديني لولا أن تداركني ربي برحمته»^(١)،
وقد توفي رحمه الله في حادث سير في الرياض في أواسط
عام ٢٠١٢م.

رحم الله أبا حمزة، وجمعنا به في جنات ونهر عند
ملك مقتدر.

(١) المصدر السابق، ص (١٣).

(أحمد سامي عبد الله) تناغو سامي قصد الله

في أواسط القرن العشرين، وفي واحدة من قرى سوهاج في صعيد مصر؛ ولد تناغو سامي قصد الله؛ الشاب الذي قدّر له ألا يعيش على هذه الأرض أكثر من ثلاثين سنة، فيدّ الغدر امتدت إليه فأردته، فغدا - بإذن الله - شهيداً في سبيل الدين الذي اختاره؛ نحسبه كذلك، والله حسيبه.

منذ تفتق ذهن الطفل تناغو؛ رفض ببديهة فطرته ما يسمعه في الكنيسة من تعاليم أشبهت الألغاز المستعصية لغموضها، ووصل الحال بأصحابها إلى حد تسميتها "أسرار الكنيسة"؛ في مقابل ذلك، كان تناغو يرى في دين أصدقائه المسلمين وضوح المعتقد وروعة العبادة، فلم يفتأ رأسه الصغير أن قارن بين طقوس الكنيسة وعبادات المسلمين، وكذا بين ترانيم ما يسمونه القداسات الكنسية وتراتيل آيات القرآن الكريم.

في كل يوم كان تناغو يغدو مع أبناء قريته - المسلمين منهم والنصارى - إلى القرية المجاورة؛ حيث يدرسون في مدرستها المتوسطة؛ يطوون طريقهم بتجاذب الحديث حول الدين والعقيدة، بحسب ما تقدر عليه أفهامهم البسيطة، وتناغو صامت مكتفٍ بالاستماع إليهم وتسجيل الملاحظات من حوارهم واستخلاص النتائج.

تخلّص تناغو من بعض (أميته الدينية) حين التحق بمدارس الأحد الكنسية؛ لكنه أيضاً أصيب بالصدمة حين

استمع مرة إلى المشرف بالمدرسة، وهو يحدثهم عن قصة ضيوف إبراهيم عليه السلام، قصة سمعها تناغو من أصدقائه المسلمين، لكن مشرف المدرسة يرويها عن الكتاب المقدس على وجه غريب على مسمعه، استنكرها فؤاده؛ إذ تذكر رواية سفر التكوين الكنسي أن زوار إبراهيم عليه السلام: هم الله تبارك وتعالى واثنان من ملائكته، وأنهم أكلوا عند إبراهيم وشربوا واستراحوا!

تساءل تناغو وقد استنكرت فطرته، وأبى عقله: هل يعقل هذا؟ هل ينزل الله من عليائه ليأكل عند إبراهيم؟ وهل يتجسد الله - جل وعز - في صورة الإنسان الضعيف؟! ماذا دهى مشرف المدرسة؟! بأي كلام يهذي؟! هل يمكن أن يقول الكتاب المقدس هذا؟^(١).

قطع تناغو الشك باليقين، واشترى نسخة من الكتاب المقدس، وأكبَّ على قراءتها؛ لتزداد جروحه حرقاً وإيلاماً؛ وليشرق بالمزيد من المفاجآت التي لم يتوقعها في كتابه المقدس الذي يزعم أن المسيح ابنُ الله، ثم يفاجئ قراءه بذكر نسيين أرضيين للمسيح؛ بيد أن يوسفَ النجار؛ الخطيبَ المزعومَ لمريمَ العذراء، فغر تناغو فاه وهو يسأل مستنكراً: ما علاقة يوسفَ النجارِ بالمسيح حتى يصدر

(١) لماذا وكيف أسلمت؟، أحمد سامي عبد الله (١/٥٨)، وانظر القصة في سفر التكوين، في الإصحاح ١٨.

باسمه الإنجيليان متى ولوقا قائمة آباء المسيح؟^(١) أوليس من عجب أن ينسب إنجيل لوقا إلى العذراء البتول أنها قالت لابنها المسيح: «هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين» (لوقا ٤٨/٢)؟ فمتى كان يوسف النجار أباً للمسيح؟ وكيف؟.

سيرة المسيح عليه السلام في الإنجيل زادت من تأوهات تناغو وعذاباته، ففي حين تقول الكنيسة: إنه ابن الله؛ فإن الإنجيل يحكي أن المسيح هرب إلى مصر خوفاً من الملك هيرودس، وأن الشيطان كان يتعرض للمسيح بالإيذاء ومحاولات الإغواء، فلو كان المسيح إلهاً - كما يزعمون - لما هرب من هيرودس، ولما تجرأ الشيطان على غوايته!

وفي مقابل هذا؛ لحظ تناغو أن الإنجيل يتحدث عن المسيح كبشر رسول من عند الله فحسب، فيوحنا ينقل في إنجيله عن المسيح عليه السلام أنه صرح لليهود بإنسانيته: «تريدون قتلي، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله» (يوحنا ٨/٤٠)، وأنه ناداهم في موطن آخر للإيمان برسالته قائلاً: «من نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه، أنا أعرفه، لأنني منه، وهو أرسلني» (يوحنا ٧/٢٨-٢٩)، فالمسيح بحسب الأناجيل المقدسة عندهم: إنسان رسول، ولم يدع الألوهية قط^(٢).

(١) لماذا وكيف أسلمت؟، أحمد سامي عبد الله (٦٧/١)، وانظر إنجيل متى، في

الإصحاح ١، ولوقا في الإصحاح ٣.

(٢) المصدر السابق (١٠٨/١).

بعد صراع عنيف بين الفطرة النقية والتعاليم الكنسية،
توصل تناغو إلى حل وسط؛ وهو البراءة من كل الأمور
التي لا يرتضيها عقله، وتخلص من الكلمات الشريكة التي
تلطخ القداسات والتراتيل التي يرددها في صلواته الكنسية،
وظن أنه بذلك يصطالح مع عقله ويريح ضميره الذي
سرعان ما رفض أنصاف الحلول، ودعاه إلى إعادة التفكير
والمزيد من الدراسة والجد في البحث عن الحقيقة التي
يحبها الله ويرضاها لعباده.

وخلال دراسته للأديان، سجل الغلام الباحث عن
الحقيقة عدداً من الملاحظات على دينه مقارناً إياها
بالإسلام، منها ما لمسه من فروق بين صلاة المسلمين في
المساجد جماعة، والصلاة الكنسية التي يكتفي فيها النصراني
بالاستماع إلى التراتيل الدينية المتلوة باللغة القبطية التي لا
يفهم منها تناغو أكثر مما يفهمه من كلمات اللغة
الهيروغليفية أو السنسكريتية.

ليس في الإسلام رجال دين، تلك ميزة أخرى جعلت
تناغو يفضل الإسلام على النصرانية، فقد اشمأزت نفسه
من فكرة الوسيط بين الله وعباده، وتساءل: هل يضع الله
هؤلاء القسّس الخاطئين وكلاء له يغفرون ذنوب العباد
ويرفعون إلى الله صلواتهم؟! وأين هؤلاء القسّس من
أخلاق المسيح وتواضعه؟

لقد نفرت نفسه واكفهر وجهه من مشاهد ركوع شعب
الكنيسة للرهبان والقسّس الذين لا ينادون إلا بأعظم

الألقاب وأفخمها، نحو (قداسة البابا، ونيافة الحبر)، بينما كان النداء المحبب والشائع للمسيح عليه السلام عند تلاميذه: «يا معلم»، وذلك وفق العديد من النصوص الإنجيلية^(١).

في عام ١٩٦٨م، قرر الشاب تناغو سامي قصد الله الدخول في الإسلام سرّاً واختار لنفسه اسم (أحمد سامي عبد الله) ولمّا يتجاوز من العمر الرابعة عشرة، وقد اجتذبه إلى الإسلام ما رآه من دقة متناهية في أداء الشرائع، زماناً ومكاناً وكيفية، فلكل عبادة زمانها المخصوص، وكيفيتها المخصوصة، وأحياناً مكانها، وهذه الدقة في الشرائع التفصيلية تغطي مجالات الحياة الإنسانية، بينما تفتقد ذلك النصرانية التي لا تنضبط صلواتها ولا صيامها، علاوة على فقد شرائعها لمبدأ الإلزام الديني، هذا كله دفع تناغو للتساؤل: «إن كان محمد ﷺ كاذباً كما يزعمون، فمن أين أتى - وهو أمّي - بهذه الأحكام التفصيلية المتناهية الدقة، والتي يفتقر إليها أولئك المكذبون؟!»^(٢).

اجتذب أحمد سامي إلى الإسلام جليل معناه وعظمة مبناه، يقول: «جذبني أيضاً إلى الإسلام إقراره بوحدانية الخالق تبارك وتعالى، وتنزيهه عن المشابهة لما عداه؛ مع الثناء الكامل عليه .. عقيدة التوحيد الخالص هذه تمتاز

(١) المصدر السابق (٣٨/٢-٤٠).

(٢) المصدر السابق (١٤٧/١).

بالوضوح واليسر، والبعد عن التعقيد والغموض والاجتهاد في إثباتها .. الإسلام لله رب العالمين؛ معناه: الانقياد والطاعة والتسليم لله وحده .. هو إسلام العقل والقلب والروح والوجدان والحس والمشاعر والأموال والأعمال كلها لله الواحد القهار»^(١).

الدخول في الإسلام كان نقطة انطلاق جديدة في حياة الشاب أحمد سامي، فقد أكبَّ على قراءة القرآن خلال دراسته في المرحلتين الثانوية والجامعية، وتوقف ملياً عند الآيات التي تتحدث عن المسيح عليه السلام، وتذكر إنسانيته وعبوديته لله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ (المائدة).

كما درس أحمد سامي المذاهب المسيحية المختلفة، وتأمل ردودها على بعضها البعض، ولفت نظره أنك «إذا سألت هؤلاء أو هؤلاء: أين الأدلة؟ لا ينطق أحدهم ببنت شفة؛ كالمألوف منهم»^(٢)، واستغرب أن المحتجين يستدلون لمعتقداتهم وأقوالهم بأقوال الرهبان والآباء؛ لا بالنصوص

(١) المصدر السابق (١/١٤٨-١٤٩).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٠).

المنسوبة إلى الله أو المسيح؛ والأصل في كلام هؤلاء القسس أن يُستدل له؛ لا أن يُستدل به.

بذل أحمد سامي جهده في الأسرار بإسلامه فَرَقاً من أذى أهله، وحرّص على المحافظة على الصلاة والصيام بعيداً عن أعين إخوانه، بل كان يرافقهم إلى الكنيسة ليبدد شكوّهم، فيزداد كل يوم يقيناً بحسن اختياره هجر النصرانية التي تمتلئ كنائسها بالصور والأيقونات التي تتراحم الركب ركوعاً لها وسجوداً، تطلب بركات تماثيلها الحجرية والخشبية، وتخشى لعناتها، فيهمهم في قلبه: ويلكم، أفي هذه التماثيل الصماء أو الصور الورقية ما يضر أو ينفع؟^(١) ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) (الأنبياء).

وكلما مرت الأيام، زاد يقين وتمسك أحمد سامي بدينه الحنيف، فقد: «كان القرآن من عوامل تثبيتتي على يقين الإيمان، لأنه ينفرد بتنظيم حياة الإنسان بشكل لا مثيل له في كل الكتب وسائر الأديان»^(٢).

نال أحمد البكالوريوس من كلية التجارة بأسسوط، وأحب التعرف على مزايا شريعة الإسلام، فرجع إلى مقاعد الدراسة في كلية القانون والحقوق، وحصل على

(١) المصدر السابق (٥٧/٢).

(٢) المصدر السابق (٣٠/٢).

الليسانس، ثم ضاق ذرعاً من الأسرار بإسلامه، وأحب أن يعلنه على الملأ، وهو يعلم أن ذلك قد يكلفه حياته، ولنسمع إليه وهو يقول، وكأنه يقرأ المخبأ له في قدر الله: «ليتني أفوز بأشد ما ينالونه مني، إن أشد ما ينالونه مني قطعاً هو قتلي، وما هو بقتل، ولكنه شهادة في سبيل الله، لا يفوز بها إلا المجاهدون الصابرون، إنني كما أؤمن بالله، فإنه لا توجد قوة على وجه الأرض تستطيع إنقاص عمري المكتوب لحظة واحدة»^(١).

أعلن أحمد إسلامه عام ١٩٨٤م في الأزهر الشريف، وأشهره أمام أهله وذويه في شهر فبراير من عام ١٩٨٦م، وحاول الهرب منهم إلى خارج مصر، فكانت يد الغدر أسرع إليه؛ إذ قتله أخوه غيلةً بالرصاص بعد ثمانية أشهر، وهو متوجه إلى عمله في سوهاج.

نسأل الله أن يتقبله، وأن يحشره في الشهداء الذين قضوا في سبيل دينهم، مع ياسر وسمية، رضي الله عنهم وعن سواهم من شهداء المؤمنين ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾^(١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران).

(١) المصدر السابق (٨٥/٢).

الدكتور مصطفى محمود

لا يصح أن تطوى صفحات كتابنا ولمّا نخرج على قصة إسلام رجل من أعلام الفكر الحديث، رجل ولد ونشأ مسلماً، ثم ما لبث أن تلوّخ بأوحال الإلحاد، وغرق في لججه زهاء ثلاثين سنة، كما دان خلالها بمعتقدات الهند في تناسخ الأرواح ووحدّة الوجود، حيث يتماهى الخالق بالمخلوق، ومارس مع الهندوس طقوسهم المعروفة باليوغا، قبل أن يفيق من سكرة الباطل ويعود إلى الإسلام من جديد.

إنه الدكتور مصطفى محمود رحمه الله، مقدم البرنامج التلفازي الشهير «العلم والإيمان»، أربعمائة حلقة قدمها في ترسيخ الإيمان بالله الخالق عن طريق العلم الذي زعموا أنه يوصل إلى الإلحاد.

بدأ انحراف مصطفى محمود عن الإيمان في أواسط العقد الثاني من عمره، حين أغراه ذكاؤه البارِع وموهبته الكلامية بإقحام عقله الصغير فيما هو أكبر منه، ولم يدر - حينذاك - أن الباب الكبير لا يفتح بمفتاح صغير، وأنه لا يمكن لعقل بشري محدود أن يدرك العوالم البعيدة المحدودة؛ فضلاً عن إدراك ما يتعلق بالله عز وجل ووجوده، يقول الفيلسوف إيمانويل كانت: «العقل لا يستطيع أن يحيط بكنه الأشياء، وهو مهياً لإدراك الجزئيات والظواهر فقط»^(١).

(١) حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، ص (٥).

بدأت مسيرة الشكوك عند مصطفى محمود بأغلوطه إبليسية تمثلت في سؤال بلا معنى، فقد بني على الغلط (من خلق الله؟)؛ فالخالق لا يمكن أن يكون مخلوقاً؛ وإلا لاحتاج إلى خالق، وخالقه يحتاج إلى خالق... وهكذا حتى ننتهي إلى ما يسميه المناطقة (الدور)، وهو ممتنع.

وقد كان النبي ﷺ قد أخبر بوقوع هذه الشبهة الشيطانية في أمته بعده: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله»^(١)، وهذه الإجابة النبوية البليغة هي الأنسب لمثل لهذا السؤال، لأنه مما لا تقدر عقول العباد على إدراك جوابه، وهو كذلك من نزغ الشيطان ووساوسه، فكان الأصلح لصاحبه أن يأرز إلى إيمانه، ويلوذ بالله ليعيذه من وساوس الشيطان ومكره، قال ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، وليتته»^(٢).

وفي جواب هذه الشبهة البائدة يذكر الدكتور مصطفى محمود بعد عودته إلى الإسلام أن السببية هي قانون الفناء الذي ينطبق على المخلوقين؛ أبناء الزمان والمكان، ولا يمكن أن نجريها على الله تعالى خالق الزمان والمكان، هل رأيتم مهندساً يصنع آلة ثم يخضع للقوانين التي تحركها

(١) أخرجه مسلم ح (١٣٤).

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٧٦).

كالزنبرك والتروس والكهرباء!؟

ويستشهد الدكتور مصطفى لبطلان هذه الشبهة بسلسلة عالم المنطق الشهير أرسطو الذي قال: الكرسي من الخشب، والخشب من الشجر، والشجر من البذر، واستمر في سلسلته في عالم السببية، واضطر أخيراً إلى الاعتراف بوجود سببٍ أوّلِيٍّ، يحركُ ما بعده، ولا يحتاج إلى من يحركه، سببٌ خالقٌ غني عمن يخلقه^(١).

ولذلك فإن الإيمان بالله تعالى أمر مركوز في الفطرة البشرية، ولم يجد الملحدون ما يدفعه فتهربوا من الإقرار بالله الخالق، وأرجعوا هذا الكون البديع إلى خالق اصطنعتة عقولهم أسموه «قوانين الطبيعة».. اسم مبهرج هرب الطبيعيون إليه سفسطة وخداعاً لأنفسهم؛ من غير أن يتعبوا عقولهم في التفكير والبحث عمن وضع هذه القوانين وأجراها في الكون بهذا الشكل البديع والحساب الدقيق.

وهنا يسجل الدكتور مصطفى محمود إخفاقاً بالغاً للإلحاد الذي يقوم على الإيمان بالمحسوس والتنكر لعالم الغيب غير المحسوس، فالقوانين الطبيعية هي - في حقيقتها - غيب نؤمن به لما رأيناه من آثاره؛ دون أن ندرك سرّه وكُنْهه.

وضرب الدكتور مصطفى لذلك مثلاً باكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية، وهو يتأمل تفاحة تسقط من فوق الشجرة،

(١) حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، ص (٤).

قانون زمر الملاحظة له وطبلوا، وقالوا: اكتشفنا سر الكون، ولا حاجة لنا إلى الإيمان بخالق يدبر الكون، فالأمر- بحسب هؤلاء- متعلق بجملة قوانين تعمل في الموجودات، وتسيطر على مجرياتها، ولا حاجة عندهم للاعتقاد بوجود خالق مدبر مهيمن على خلقه^(١).

حقاً لقد اكتشف نيوتن قانون الجاذبية، لكن ما سقط من فكر الطبيعيين أو تغافلوا عنه، وهو اسم موجد هذه الجاذبية، ومقررها وفق هذا الحساب الدقيق الذي يبهنا في كل شيء حولنا، وقد كان العالم نيوتن نفسه أكثر تواضعاً من هؤلاء الطبيعيين، فقال: «لا أعرف كيف أبدو في أعين العالم، ولكن بالنسبة لنفسي؛ فإني أبدو فقط مثل طفل يلعب على شاطئ البحر مسلياً نفسه من حين لآخر بالبحث عن حصاة أنعم، أو صدفة أجمل من المعتاد، بينما انظر أمامي فأجد أن محيط الحقيقة العظيم لم يكتشف حتى الآن»، فنيوتن كان يؤمن بالله خالقاً، وهو رجل عاقل، لم يخرج منه اكتشافه لقانون الجاذبية إلى ترهات الملاحظة، فقد أحس بالعجز في الوصول إلى كنهها، فكتب إلى صديقه بتلي يقول: «إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس [أي الأرض] تؤثر على مادة أخرى وتجذبها؛ مع أنه لا توجد بينهما أية علاقة»^(٢).

(١) يعرف هؤلاء بالروبيين، وهم مؤمنون بوجود خالق للكون، لكنهم يرفضون فكرة التدخل الإلهي في الشؤون الإنسانية.

(٢) رحلتي من الشك إلى الإيمان، د. مصطفى محمود.

بعد ثلاثين سنة من الضياع وتقليب الفكر في ردهات الفلسفة وكتبها النافقة؛ رجع الدكتور مصطفى محمود إلى مخابر العلم، وآمن تحت عدسات مجهره بوجود الله؛ بما رآه من آثاره في مخلوقاته التي تدل على كمال علمه وإحكام صنعه، فكل شيء في هذا الكون يدعو إلى الإيمان به تبارك وتعالى.

نداء استجاب له الدكتور مصطفى محمود، فأمن بالله الخالق من جديد، وكتب في تفنيد مذاهب الإلحاد كتابين مهمين: الأول: «رحلتي من الشك إلى الإيمان»، والثاني: «حوار مع صديقي الملحد»، وتصدى فيهما بعقلية العلم لما يلوكة الملاحدة بألستهم من أوهام عقول غشيها ما غشيها من تقديس الذات وغرور العقل، وغاب عنها المنطق السليم والفكر الرشيد، يقول رحمه الله: «لأن الله غيب، ولأن المستقبل غيب، ولأن من يذهب إلى القبور لا يعود؛ راجت بضاعة الإلحاد، وسادت الأفكار المادية، وعبد الناس أنفسهم، واستسلموا لشهواتهم»^(١).

تناول الدكتور مصطفى محمود في نقده لأقوال الملاحدة قولهم بالصدفة التي يرونها سبباً في وجود هذا الخلق المتناسق البديع، بينما يراها الدكتور مصطفى نوعاً من السذاجة الفكرية التي لا تُتصور إلا في الأفلام الهزلية الرخيصة، فالمصادفة تخبط خبط عشواء، ومثل هذا العبث

(١) حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، ص (٢).

لا يُقيم كوناً بديعاً متسماً بالتناسق الذي يشهد في كل لحظة بحكمة خالقه ومبدعه، الله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) (السجدة).

ويتساءل الدكتور مصطفى محمود: هل كان من الصدفة أن تكون أرضنا بهذا الحجم الموزون والمحكم، بحيث لو زاد حجم الأرض لازدادت الجاذبية، ولم يمكننا العمل فوق الأرض، ولو نقص حجمها لأفلت الهواء من جوها، وتبخرت المياه من محيطاتها، فصارت جرداء قاحلة مثل القمر وغيره من الكواكب حولنا.

وهل من الصدفة أن تستدل الطيور والأسماك المهاجرة إلى موطن آبائها عبر آلاف الأميال من الصحاري والبحار؟ وهل من الصدفة أن تلقي البعوضة بيضها في الماء مزودة بكيسين للطفو، حتى لا تغرق بيضها؟ من علمها ذلك وهي تفعله قبل أن يكتشف ارخميدس قانون الطفو؟ وأية صدفة أرشدت حشرات الجحاح، لتضيء بأنوارها ظلمة الليل، فتجذب البعوض إليها ثم تبتلعها قبل أن تغرق في الظلام من جديد؟ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ (القمر).

إن أمثال هذه الصور العجيبة مبثوثة في كل ذرة من أجسامنا، بل وفي كل شيء حولنا ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) (الذاريات)، وهذه الصنعة لا تنتج - برأي العقلاء - من صدف عشوائية يهرف بها

الملاحظة كلما أعتهم الحيل في فهم شيء من أسرار روعة الكون ودقيق توازنه وتناسقه؛ فالهراء المسمى بالصدفة لا يقبله العقل، ولا يصدقه العلم إلا بمقدار تصديقه لخبر يروي أن قرداً قفز لاعباً على لوحة مفاتيح كمبيوتر (كيبورد)، فكتب شعراً يماثل شعر شكسبير أو يناطح أدب المنفلوطي!^(١).

كما نقد الدكتور مصطفى محمود الداروينية، وهي إحدى أكبر شرك الملاحظة، حيث يقول الداروينيون بتطور الكائنات عن بعضها البعض نتيجة استجابة المخلوقات لتأثيرات البيئة من حولها، فقد لاحظوا أن الدب القطبي يتميز عن أقرانه بوفرة صوفه، وأن سحالي الكهوف المظلمة عمياء، وهي لا تحتاج الإبصار الذي تتميز بقوته السحالي البرية، وكذلك فإن منقار الحمامة آكلة الحبوب أضعف وأرق من مناقير الصقور والنسور آكلة اللحوم.

وهكذا بنى الداروينيون على أمثال هذه الملاحظات الصادقة أكبر ترهاتهم وأوهامهم، إذ أغفلوا الحديث عن القوة الفاعلة المؤثرة في هذا التنوع، أو صاحب التطوير المبدع لهذه الكائنات؛ إنه الله الخالق جل في علاه.

وحالهم - كما يرى الدكتور مصطفى - تشبه حال من نظر في تطور وسائل المواصلات التي استخدمها الإنسان بدءاً من عربة اليد التي يجرها الإنسان، ثم عربة الكارو

(١) انظر: رحلتي من الشك إلى الإيمان، د. مصطفى محمود.

التي يجرها الحمار، ثم عربة الحنطور المرفهة التي تجرها الخيول، ثم السيارة فالقطار وما تبعها من وسائل النقل، فالتشابه بينها ملحوظ في استخدام الخشب والمسامير والحديد وتقنية العجلة الدائرية، والتطوير واضح من حيث تطور الفكرة الميكانيكية، لكن ذلك لم يتم بشكل تلقائي، فلم تطور هذه الوسائل نفسها بنفسها استجابة للمؤثرات والبيئة، بل طورها الإنسان، وبالمثل فإن أي ترقٍ - لو صح - في هذه الكائنات، فإنما صنعه الله عز وجل الذي يتغافل عنه الداروينيون.

وكان من أهم ما تعلق به الملاحظة في إقرار مذهبهم؛ القول بأزلية الكون الذي ينفي عنه صفة الحدوث والمخلوقية، وهو قول أبطله العلم بمقرراته الحديثة التي تتأكد يوماً بعد يوم عبر نظرية الانفجار الكبير التي تفسر نشأة الكون، كما تتحدث عن إمكانية فناءه بدليل فناء كل شيء من حولنا؛ النجوم والحيوانات والنباتات، وفي كل ذلك ما يشهد بفناء الكون وعدم سرمديته ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾

﴿١٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾ (الرحمن).

وتشهد لحدوثه نظرية التبادل الحراري التي تنص على أن الحرارة تنتقل من الساخن إلى البارد، ومن الأكثر حرارة إلى الأدنى، حتى يتعادلا في درجة حرارتهما، ولو كان الكون أزلياً لتوقف التبادل الحراري بين مكونات الكون، ولبردت النجوم حتى أضحى الصقيع يلف كل شيء، فاستمرار عملية التبادل الحراري إلى اليوم دليل

على حدوث الكون وعدم أزليته.

منذ عاد الدكتور مصطفى إلى إسلامه وفطرته؛ لم يفتر عن فعل الخير ونشر المعرفة والتأكيد على العلاقة الوطيدة بين العلم والدين، فقد بنى مسجداً جامعاً في القاهرة، وإلى جواره جمعية خيرية تضم مستشفى خيرياً؛ إضافة إلى مركز فلكي ومكتبة عامة، ومتحف للجولوجيا، وآخر للأحياء المائية.

كما ترك للمكتبة العربية زهاء تسعين كتاباً أو قصة أو رواية تحكي في جملتها إبداع مؤلف جمع بين الطب والفلسفة والأدب^(١).

رحمه الله، وغفر لنا وله، وأجزل له المثوبة.

(١) بعض روايات الدكتور مصطفى كتبها إبان تخبطه وإلحاده، وتظهر فيها عقيدته السابقة في تناسخ الأرواح.

الشماس (محمد) فؤاد الهاشمي

هل تُراه يصح أن نكتب عن قصص الأماجد الذين دخلوا إلى الإسلام دون أن نتحدث عن الدكتور محمد فؤاد الهاشمي، العَلم الذي يحمل أرقى الشهادات العلمية في فلسفة الأديان، والأكاديمي الذي ترك للمكتبة الإسلامية ذخراً نافعاً؛ يليق بمكانته العلمية قبل وبعد الإسلام مصداقاً لقول النبي ﷺ: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»؟^(١)

ولد فؤاد في أسرة مصرية نصرانية متعصبة، وقد تعاهدته والدته بمزيد من الرعاية الدينية، وشجعتة على المواظبة على زيارة الكنيسة وحفظ التراتيل والصلوات الكنسية.

قبيل دخوله إلى المدرسة، التحق بروضة تمهيدية، فحفظ فيها ما يحفظه أبناء المسلمين من صغار سور القرآن الكريم، الأمر الذي أطاش عقل أحد قسس الكنيسة الذي عز عليه أن يرى واحداً من أبنائها يترنم بسور القرآن الكريم، فافتتح فصلاً في الكنيسة لرعاية الأطفال وتعليمهم بعيداً عن مدارس المسلمين.

درس فؤاد التعليم الابتدائي في مدرسة نظامية داوم على الغياب عنها يوم الأحد، ليتعلم مع أبناء دينه في الكنيسة في مدارس الأحد، ولم يمنع ذلك تعلقه وحبّه لحضور حصة التربية الإسلامية التي يحضرها الطلاب

(١) أخرجه البخاري ح (٣٣٧٤)، ومسلم ح (٢٣٧٨).

المسلمون، ولا يجبر عليها الطلاب النصارى.
سبّ فؤاد الهاشمي، وأنشأ في المدرسة جماعة
للطلاب النصارى، وبدأ - بمؤازرة خفية من الكنيسة - في
إثارة موضوعات الحوار الديني مع الطلاب المسلمين
الذين فتك بهم التغريب والاستعمار، فلا يكادون يعرفون
من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه.

هذا النشاط الديني المبكر أهّله لينال رتبة شماس في
الكنيسة، وليعدّ من بعد ذلك لورثة كرسي القس في كنيسة
القرية، فشرع يتلقى التعليم الإكليريكي واللاهوتي على يد
الكهنة المتخصصين، وانكبّ على الدراسة بين أيديهم
بنهم ونشاط، وضعاه سريعاً أمام الكثير من المشاكل
العقدية والأسئلة المتكاثرة التي واجهت الشاب المتحمس
الذي لم يجد ما يدفع غصصها إلا انتظار اتساع مداركه
وتمام عقله، لعله حينذاك يجد لها جواباً.

لكن لا شيء يمنعه من اختصار الزمن بسؤال من هو
أعلم منه وأكثر خبرة ودراية في النصرانية وكتبها وعقائدها
وفرقها، فراح يسأل أساتذته من الكهنة والقسس، فما وجد
عندهم إلا ما يجده العطشان في البحر الأجاج.

تكاثرت ما أسماها الهاشمي «الغزاً وأشباه عُقد»،
فأثمرت قراراً إيجابياً مهماً، ولنسمع إلى قوله: «أثرُ أن
أبحث عن الإله الحق، لأن الحياة لا فائدة فيها بلا عقيدة
سليمة تُريح النفس ويطمئن إليها الفؤاد، تنبع من فطرة
الإنسان السليمة التي فطر الله الناس عليها، وبرئت من

عقيدة كلها تُرَّهات تقليدية يؤمن بها الإنسان مقلداً بلا إرادة ولا تفكير، ومن هنا بدأ بحثي عن عقيدة أو دين يوصلني إلى الإيمان الصحيح بالله الذي عزمت أن أخلص له ديني»^(١).

في كتابه «سر إسلامي» يشرح فؤاد الهاشمي قصته في التحول من النصرانية إلى الإسلام، فيقول: «ومن الشك كانت البداية؛ بداية اليقين، ومن الدراسة كان الإيمان؛ كما آمن الإنس والجان من قبل»^(٢).

وأما تفاصيل شكه بالنصرانية فهي طويلة؛ نقتبس بعض ملامحها، فقد اكتشف فؤاد من قراءاته الواسعة أن النصرانية نسخة مطورة من أديان وثنية سابقة، فشعارها الصليب كان شعاراً عند المصريين الوثنيين للحب والتضحية، وكذلك فإن عقيدة التثليث التي تقوم عليها النصرانية معروفة في الوثنيات القديمة التي سبقت النصرانية التي استنسخت تلك العقائد، ولم يتجاوز تطویرها لها تغيير أسماء الآلهة التي عبدها الوثنيون، فالإله عند المصريين الوثنيين يتكون من ثلاثة أقانيم (آتون - آمون - رع)، وكذلك يعبد الهنود ثالوثهم (براهما - سيفا - فشنو)، وهو ما صنعه النصرانية المحرفة التي وضعها الإمبرطور قسطنطين في القرن الرابع الميلادي، حين زعمت مجامعها الكنسية أن الله هو (الآب - الابن -

(١) سر إسلامي، محمد فؤاد الهاشمي، ص (٨٨).

(٢) المصدر السابق، ص (١٥).

الروح القدس)، فالثالوث الوثني يعيد إنتاج نفسه في النصرانية مع تغيير الأسماء فقط ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّرَ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يَؤْفَكُوا ﴾ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١) (التوبة).

لقد اكتشف الشماس فؤاد أن رجال الكهنوت والكنيسة والمجامع سبب رئيس في ضلال أهل ملته، حيث أخطؤوا، بل خطئوا في تفسير الكثير من النصوص الكتابية التي تحدثت عن المسيح عليه السلام، فميلاده العذري من غير أب اعتبروه دليلاً على ألوهيته، وهو خطأ ظاهر، إذ أن آدم خُلِقَ قبله من غير أب ولا أم، ولم يعتبره أحد من العالمين إلهاً^(١).

وكذلك فإن تسمية بعض النصوص الإنجيلية للمسيح عليه السلام بـ (الرب)، لا تعني اعترافاً بألوهيته، بل تعني: (المعلم)، وهو معنى جلي لمن قرأ الإنجيل، وفقه دلالات الكلمات في لغاتها الأصلية، فكلمة (رب) الإنجيلية كثيراً ما تشتق من الكلمة الآرامية (رَبِّي) ويقابلها في العبرية (رَبَّاي)، وفي العربية (رَبَّاني) التي تعني (المعلم)، كما في

(١) انظر المصدر السابق، ص (٥٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نَبِيًّا كَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)، وهو معنى واضح في الإنجيل وضوح الشمس في رابعة النهار، ففي إنجيل يوحنا (١٦/٢٠) أن مريم المجدلية التفتت إلى المسيح «وقالت له: رَبُّونِي الذي تفسيره: يا معلم»، ومثله في إنجيل يوحنا (٣٨/١): «رَبِّي الذي تفسيره: يا معلم»، فهذا هو المعنى الحقيقي للكلمة (رب) حين تطلق على المسيح عليه السلام، وهي لا تقتضي ألوهيته التي يدعيها قسس الكنيسة^(١).

وحين قرأ فؤاد توراته وإنجيله قراءة فاحصة؛ وجد فيهما ذكر النبي ﷺ يتلأأ؛ رغم ما شاب هذه الكتب من العبث والتحريف، فالتوراة تتحدث عن نبي قادم يُبعث من فوق جبل تُسميه «جبل فاران»: «جاء الرب [أي نبي الرب] من سيناء، وأشرق لهم من سكير، وتلأأ من جبل فاران» (التثنية ١٧/٣٣-٢)، وفي سفر حبقوق النبي تقول التوراة: «والقدوس من جبل فاران.. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسيحه» (حبقوق ٣/٣)، فمن هو هذا الذي ملأ الأرض بالتسيح؟ وأين يقع جبل فاران الذي تتلأأ النبوة من فوقه؟

سؤال شغل فكر الشماس فؤاد، فوجد جوابه في سفر التكوين (٢١/٢١)، حيث تذكر التوراة أن إسماعيل عليه السلام «سكن في بركة فاران»، ولما كان إسماعيل عليه

(١) انظر المصدر السابق، ص (٥٩).

السلام قد نشأ في وادي مكة التي تسميها التوراة (فاران)؛
فإن محمداً ﷺ هو النبي الموعود؛ لأنه نودي بالنبوة من
فوق جبالها، ﷺ^(١).

وهكذا وصل فؤاد الهاشمي إلى الحق، واستكانت
نفسه إليه بعد طول دراسة وبحث ، فأمن بالله رباً، وبمحمد
ﷺ نبياً ورسولاً، وشهد شهادة الحق، وتسمى بمحمد
فؤاد، لقد دعاه إلى الإسلام ما وجدته فيه من قيم ومبادئ
ملكته عليه عقله، يجملها بقوله: «آمنت بالإسلام لأنه دين
التوحيد الخالص الذي دعا الناس إلى عبادة الله وحده ..
آمنت بالإسلام لأنه لم يضع الأغلال في عنق الإنسان،
ولم يلزمه أو يعاقبه على خطيئة موروثه عن أب وجَدٍ..
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (الإسراء: ١٣).. آمنت بالإسلام لأنه لم يمتن
كرامة الإنسان، ولم يجعل أحداً مهيمناً على أمور الدين
فيقول لتابعيه: اتبعني دون تفكير.. آمنت بالإسلام لأنه
شرائع ونظم اجتماعية لا تعرف تضخماً للجانب التعبدية
عن الجانب الاجتماعي.. آمنت بالإسلام لأنه حض على
العلم والتعلم، بل جعله فريضة مقدسة....»^(٢).

درس فؤاد في كتابه «الأديان في كفة الميزان» اثني
عشر ديناً من الأديان المعاصرة، وذلك من جهة معتقداتها

(١) انظر المصدر السابق، ص (١١١-١١٢).

(٢) المصدر السابق، ص (١٤١-١٤٥).

ونظمها وشرائعها وقيمها، ثم توصل إلى أن الإسلام فقط هو الدين الذي يتساوق مع ضمير الإنسان وعقله وفطرته ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، ويلخص تجربته في اختبار الأديان والمفاضلة بينها بقوله: «لقد كان قصدي من البحث في الإسلام استخراج العيوب التي أوحى إليّ بها أساتذتي، لكن وجدت أن ما زعموه في الإسلام عيوباً هو في الحقيقة مزايا! فأخذ الإسلام بلبي، فأنقذت إليه، وآمنت به عن تفكّر ودراسة وتمحيص، وبها كلها رجحت كفة الإسلام، ومالت كفة سواه»^(١).

وأكمل محمد فؤاد دراسته فحصل على درجة الدكتوراه في فلسفة الأديان، وانبرى للبشارة بدينه الجديد، فقدم للمكتبة العربية اثني عشر كتاباً في الذود عن الإسلام والبشارة به، وفيها عبّر بقلم العالم المحقق عن سر حبه للإسلام واختياره له وتفضيله على دين الآباء والأجداد، فشرح الحقائق العظيمة التي وجدها في الإسلام وافتقدها في غيره، فكتب كتبه: «محمد في كتب الغرب»، و«الإنسان في الأديان»، و«حوار بين مسيحي ومسلم»، و«النبي لا كذب»، وغيرها من الكتب النافعة التي أبرزت معرفة الدكتور الهاشمي الكبيرة بالأديان عموماً؛ وبالنصرانية خصوصاً، ولا عجب في ذلك فهو الشماس الذي أمضى سنين يتقلب بين كتب الأديان، وكانت لكتبه بصمات

(١) الأديان في كفة الميزان، ص (١٣).

واضحة في علم مقارنة الأديان والجدل بينها.
رحمه الله، وأجزل له العطاء، وجمعنا به في جنته.

نوح حاميم كلر

ولد نوح كلر في أمريكا في عام ١٩٥٤م لعائلة كاثوليكية متدينة، ورغم تربيته الدينية، فإن طفولته شهدت إحباطات ثلاثة أَلقت بشكوك عارمة في قلبه حول النصرانية، فقد صدمته التعديلات الطقوسية التي تبناها مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥م)، الذي أدخل في العبادات صيغاً جديدة، وأجاز الاستعانة بالآلات الموسيقية المتنوعة في الصلوات، بذريعة المواءمة بين العبادة والتطور العلمي والتقني الحديث، وهذه التعديلات أوحّت لكلر وغيره بتقلب الدين بحسب أحوال الناس وبيئاتهم، وقد كان يفترض في عباداته أن تلبي الاحتياجات الروحية للإنسان، وهي حاجيات ثابتة في الإنسانية لا تتغير ولا تتبدل بتبدل الزمان والمكان.

القضية الثانية التي فجرت إيمان كلر بالنصرانية وأحالتها إلى سراب؛ هي عقيدة التثليث؛ إذ لم ير في حياته، ولا سمع عن أحد يقوى على شرحها أو تبسيطها للأفهام، فالكنيسة تقول: (الآب، الابن، الروح القدس) هم ثلاث شخصيات متباينة في أسمائها وصفاتها وخصائصها وأفعالها، وهم - رغم ذلك كله- إله واحد! كيف يعقل هذا؟!

حاول نوح كلر - مراراً - التفاعل مع هذه العقيدة بإيجابية، فكان يتنقل في عبادة من يسميهم «أعضاء اللجنة الإلهية» (الثالوث)، فيوطد العلاقة مع واحد من أفراد

فيخضع بالعبادة، ويطلب منه التوسط له عند شريكه اللذين قصر في عبادتهما، وما زال يتنقل بين أفراد الثالوث، يعبد كل واحد منهم برهة من الزمن، ثم يغادره إلى غيره، حتى ضاق قلبه عن عبادة ثلاثة آلهة، فاكتمى - في خاتمة المطاف - بعبادة الله الواحد الأحد - جل عن الشريك، وتنزه عن المثل - وترك عبادة المسيح، وأمن ببشريته، وتخلص من تشعب القلب وتخبطه في إرضاء الثلاثة الذين تدعو الكنيسة إلى عبادتهم؛ زاعمة أنهم ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة!.

وبعدد أفراد الثالوث النصراني، كانت إحباطات كل من النصرانية، فثالثها كان رفضه لصكوك الغفران التي تداولتها الكنائس الكاثوليكية طوال قرون، وبموجبها تمنح الكنيسة الخلاص للمؤمنين الذين يدفعون قسطاً من المال؛ لينالوا قسيمة صك الغفران المذيلة بتوقيع أب من آباء الكنيسة، يقللهم من عثراتهم وفجراتهم في مقابل ما دفعوه من المال .. ممارسة كنسية لم يقبلها كلر، فكانت «المسمار الأخير» في نعش تدينه بالنصرانية.

أراد كلر إنقاذ إيمانه واستنباته من جديد بقراءة الكتاب المقدس، لكن هيهات أن تثبت بذور زُرعت في الهواء، فقراءته للأسفار المقدسة لم تزده من الدين إلا بُغداً، فقصصها واستطراداتها غير المنطقية، جعلت منه كتاباً مهجوراً حتى عند المؤمنين به، فقد أعرضت عن مُجمله الكنائس المختلفة، مستعيضة عنه بالتزام بعض النصوص

الطقوسية التي استغنت بها عن قراءة تلك الاستطادات المطولة التي يرى كلر أنها عاجزة عن تأسيس حياة إيمانية مطمئنة.

تعمقت مشكلات نوح كلر مع الكتاب المقدس في عام ١٩٧٢م حين بدأ بدراسة الفلسفة في جامعة غانزاغا الكاثوليكية، فقد درس كتاب «إشكالية يسوع التاريخي» للعلامة يواكيم يريمياس، وقد انتهى هذا الناقد الكبير إلى قصور الأناجيل عن الوفاء بتقديم سيرة واضحة المعالم للمسيح عليه السلام، وإلى أنه «يمكن القول دون أدنى ريب: إن الحُلم بكتابة السيرة الذاتية ليسوع قد انتهى إلى الأبد»^(١)، فتساءل كلر عن النتيجة التي يمكن أن يؤول إليها جهد باحث آخر لا يؤمن بمعتقدات يواكيم النصراني الذي توصل - بعد تكلف - إلى إقرار وجود يسوع ونُتف سيرة من سيرته.

تعلم نوح كلر من دراسة الفلسفة منطقية سؤالين اثنين: ماذا تعني هذه الحقيقة بالتحديد؟ وكيف توصلت إليها؟ فطرحهما على نفسه بخصوص معتقداته النصرانية، فكان الجواب: «أدركت أن المسيحية قد سقطت من بين يدي، ونتيجة لذلك قررت خوض تجربة البحث عن معنى في عالم لا معنى له، وهي التجربة التي يمكن القول: إن كثيراً من الشباب الغربي قد خاضها بصورة أو بأخرى»^(٢).

(١) لهذا أسلمت (رحلة البحث عن معنى)، نوح كلر، ص (١٢).

(٢) المصدر السابق، ص (١٣).

في خضم هذه التجربة، ألحد نوح كلر، وانتقل من جامعته الكاثوليكية إلى جامعة شيكاغو، ليدرُس فيها نظريات المعرفة الأخلاقية عند فلاسفة ومفكري الغرب الملحدين في القرنين التاسع عشر والعشرين: (نيتشة، وفرويد، ودور كايم، وآرثر شوبنهاور، وغيرهم)، فهؤلاء الملحدون مُطبقون على أن القيم الإنسانية وضعية من صنع البشر، وأنها لم تنزل من السماء، وأنها غير ثابتة، بل تتبدل بتغير الزمان والمكان والأحوال، فما يعتبره مجتمع ما فضيلةً؛ قد يصبح رذيلة في مجتمع آخر أو في زمان آخر. فلسفة شيطانية تتنكر للدين، وقد تبين لكلر لاحقاً أنها لم تستطع تهذيب حياة الناس في الماضي، ولا إشباع جوعة التدين فيهم، بل تركتهم كذئاب هائمة في غابة الأنانيين والانتهازيين: «كنا قد أشبعنا ثقافتنا وماضينا بكل ما هو مادي، وبالتالي جردنا أنفسنا من إنسانيتنا بمفهومها الأوسع، كما جردنا أنفسنا من فطرتها وعلاقتها بحقيقة عليا»^(١).

في الإجازة الصيفية، اعتاد نوح كلر كل - سنة العمل - في قوارب الصيد البحري؛ ليوفر مصاريفه الجامعية .. البحرُ كتاب آخر فتحه كلر حين كان يستريح من كتب الفلسفة الدراسية، كتاب واسع بقدر اتساع المحيط أمامه، فأمواج البحر العاتية أشعرته بضالة الإنسان وضعفه مع كل زوبعة بحرية توشك على ابتلاع سفينته،

(١) المصدر السابق، (٣٦).

لقد حاصره الموت مراراً، وخطف عديدين حوله، وأجبره على العدول عن الإلحاد، والسعي للتصالح مع الفطرة من جديد، والبحث عن الحقيقة التي تجعل للحياة معنى.

قراءاتُ نوح كلر المختلفة وتأملاته البحرية قادتَه إلى الإقرار بحقيقة مهمة، وهي (وجود الله، وأنه تبارك وتعالى شرع لنا السلوك المناسب الذي سيحاسبنا عليه يوم القيامة في جزائه العادل)، لكن هذه الحقيقة تدور حولها ثلاثة أديان (النصرانية التي تركها، وسلفها اليهودية، وكذلك الإسلام)، فأين تكمن الحقيقة؟.

للتعرف على الإسلام، قرأ نوح كلر ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق المتعصب جورج سيل، فتوصل إلى أنه «حتى لو كان هذا الكتاب منحولاً؛ فإنه لا يمكن أن يوجد تعبير عن الدين أكثر مساساً بجوهر القضية ولُبِّها منه»^(١).

قرأ كلر ترجمة أخرى للقرآن، وهي ترجمة المستشرق أربري «ورغم أن ترجمة القرآن لا تستطيع - مهما بلغت جودتها - نقلَ روحه الخاصة التي يستشعرها قارئه بالعربية؛ إلا أن تفوقَ القرآن في ترجمته هذه قد ظهر - في كل سطر من سطورهِ - على الكتاب المقدس بعهديهِ [القديم والجديد أي التوراة والإنجيل]، وشعرتُ كما لو أن حقيقة الوحي الإلهي قد مثَّلت نُصبَ عيني .. لقد رأيت

(١) المصدر السابق، ص (١٧)، والمنحول هو الكتاب الذي لا تصح نسبته إلى المؤلف الذي يُنسب إليه .

في هذا الكتاب أسلوبه الرفيع، وقوّته وحجّيته التي لا تقبل الرد، وطريقته المدهشة في استباق حجج القلب الملحد، والإجابة عنها قبل طرحها؛ رأيتُ في ذلك كلّ بياناً واضحاً للإله كإله، وللإنسان كإنسان، بحيث إن الوحي بوحدانية الإله الذي يثير الخشية والإجلال له؛ هو نفسه الوحي المتنزل بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية بين البشر»^(١).

لغة مترجم القرآن جورج سيل الركيكة وتحامله المعهود من المستشرقين ؛ دعت كلر للشعور بضرورة تعلم العربية، لفهم القرآن بعيداً عن تفسيرات سيل وشناعاته، فحمل - في عام ١٩٧٦م - على ظهره حقيبة الترحال ميمماً صوب مصر، ونزل بين أهلها ، فأدهشه ما رآه من طيبتهم البالغة ، ف«في مصر وجدتُ ما أعتقد أنه سبب انجذاب كثير من الناس نحو الإسلام، وأعني بذلك أثر التوحيد الخالص على أتباعه .. فقد تنقلتُ في نواحي القاهرة وغيرها؛ أراقبُ الناس، وأتأملُ في عاداتهم ومعايشهم، وقابلتُ كثيراً من المسلمين من صالحين ومَن دونهم ؛ كانوا جميعاً متأثرين بتعاليم كتابهم بدرجة أكبر مما شاهدته في أي مكان آخر»^(٢).

كثير من هؤلاء الناس الطيبين تركوا في قلب نوح كلر بصماتٍ لا تمحى، فلن ينسى أبداً الشاب الذي يدرك فريضة ربه عليه، فيصلي بخشوع في الشارع، وكذلك لن

(١) المصدر السابق ، ص (٣٩).

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩).

ينسى كلر طالب الثانوية الذي يلهب حماساً وهو يحدثه عن الإسلام، ولا يفارقه قبل أن يدعو له بالهداية، ولقد هزَّ أعماقه تأثر صديقه من سقوط المصحف على الأرض، فقام سراعاً يلتقطه، وعلامات الأسى تختلط في وجهه مع مشاعر الإجلال والاحترام لكلمات القرآن التي تكتنزها صفحاته: «جالت في ذهني أفكار كثيرة في تلك الأشهر التي قضيتها في مصر، ووجدت نفسي أفكر في ضرورة أن يكون للإنسان ديناً ما، لقد كان فيمن رأيتهم من المسلمين نبلاً في القصد، وسماحةً في الروح، [اكتسبوها] من تأثير الإسلام في حياتهم، ذلك التأثير الذي فاق تأثير أي دين رأيته.. لقد وقع ذلك من نفسي موقعاً كبيراً.. ولهذا وجدت نفسي تتطلع أكثر فأكثر نحو الإسلام؛ لغناه بهذه المعاني النبيلة، وثرائه في التعبير عن تلك المحاسن»^(١).

أما الموقف الأشدَّ تأثيراً في قلب نوح كلر، فكان رؤيته لعجوز مكتسية بجلبابها الإسلامي؛ رأتها بملابس التنزه، فظنته فقيراً، ولم يمنعها اختلاف الجنس والدين عن وضع صدقتها في يده، فتقبلها كلر وهو غارق في ذهوله: «لقد جعلني هذا الموقف أفكر كثيراً في الإسلام، لأنه كان الباعث الوحيد الذي ظهر لي من صنيع تلك المرأة»^(٢).

وفي ردهة الفندق جاءت القشة التي قصمت - بل أنقذت - ظهر البعير، حيث اعترضت طريقه عجوز؛ عزَّ

(١) المصدر السابق، ص (٤٣-٤٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٣).

عليها أن ترى هذا الشاب الممتلئ بالحياة على دين
الحيرة والضلال، فكثيراً ما يستغرب هؤلاء البسطاء أن
يكون للعقلاء دينٌ آخر غير الإسلام، وحقّ لهم، فقد رأوا
- رغم بساطتهم - من جمال الإسلام وروعته ما أدهش
القاصي والداني، فكيف للعقلاء والمثقفين أن تعشى
عيونهم عن أنواره؟!

سألته العجوز: لماذا لا تصبح مسلماً؟ يقول: «طرحْتُ
هذا السؤال - في تلك اللحظة - على نفسي، فوجدتُ أن
الله خلق في قلبي عزمًا للانتماء إلى هذا الدين الذي لمستُ
مدى إغناؤه لقلوب كل أتباعه من بسطاء الناس إلى ألمعهم
فكرًا وفهمًا على حد سواء.. لم تكن مجرد الرغبة والافتناع
العقلي هي السبب في إسلامي، إنما هي رحمة الله وهدايته
التي تداركني بها، فأخرجني من الظلمات إلى النور، ومن
الشك إلى اليقين، والله يختص برحمته من يشاء»^(١).

في عام ١٩٧٧م أسلم نوح كلر في الأزهر الشريف،
ورحل إلى الأردن ليدرس فيها العلوم الشرعية، حتى غدا
أستاذاً يَفِد إليه أبناء المسلمين، يتعلمون منه دينهم،
وما زال يقيم في الأردن منشغلاً بالتأليف والترجمة
والتدريس.

نسأل الله أن يهدينا وإياه إلى كل خير.

(١) المصدر السابق، ص (٤٦-٤٧).

الدكتور (عبد الواحد عمر) جاري ملر

لم يكن من كبير عجب أن يتحول الدكتور جاري ميلر - أستاذ علم الرياضيات - إلى الإسلام، لكن العجب كل العجب أن الكثيرين من أمثاله من عقلاء الأمم مازالوا يصمون السمع عن الدين الحق الذي ارتضاه الله للبشرية ديناً.

نشأ جاري ميلر في كندا، وترعرع في مدارس طائفة الفرنسييسكان الكاثوليكية، ثم درس اللاهوت في جامعة اليسوعيين (الجزويت)، وغداً بذكائه ومواهبه وألمعيته من المنصرين الشطيين الداعين إلى النصرانية في الكنائس والقنوات التلفزيونية، قبل أن يحصل على درجة الدكتوراه في الرياضيات من جامعة تورنتو .

لم يستطع عقل ميلر الرياضي أن يقبل ما يلقيه إياه القسس الكاثوليك في كنائسهم؛ فهجرها، وانتقل إلى المذهب البروتستنتي، ليطوف بين كنائسه المختلفة مدة تسع سنوات، وهو يسأل علماءهم وقسسهم، لكن:

قد أسمعَ لو ناديتَ حياً ولكنْ لا حياةَ لمن تنادي
سألهم ذات مرة: من أبو عيسى؟ فقالوا: (الله)، سأل ثانية: فمن أمه؟ قالوا: مريم.

فاجأهم بسؤال تلقائي: هل تقصدون أن الله عز وجل تزوج مريم فأنجبا عيسى؟! قالوا: لا. لا تقل هذا، فالله لم يتزوج مريم. فألقى ميلر صاعقته: هل أنجب الله ومريم المسيح بغير زواج؟

فَغَرَّتِ الأفواه، وَنَكَّسَتِ الرؤوس، وَغَصَّتِ الكلمات
في الحلوق حين سأل ميلر القسس نصاً واحداً يتحدث فيه
المسيح عن ألوهيته أو التثليث؟ فقد استرعى انتباهه أن
الوعاظ والقسس نادراً ما يستدلون على معتقداتهم بأقوال
المسيح، إنهم يهجرون ما في الأناجيل من أسطر قليلة
منسوبة إلى المسيح، وهي أسطر لو جمع بعضها إلى بعض
فلن تتجاوز في طولها عامودين من أعمدة مقالات
الصحف، ولن يجد قارئها ما يبرهن به على أن المسيح
كان يدعي الألوهية أو أقنومية الإله.

سنوات والشباب المشاغب جاري ملر يُصدِّع رؤوس
القسس بأسئلته، وقد أراد الله له الخير، فأقرأه الكثير من
كتابات المستشرقين عن الإسلام ونبيه ﷺ، وأوصلته قراءاته
إلى اتفاق الكتّاب الغربيين على رفض نبوة النبي ﷺ، مع
تحييرهم وتخالفهم في تبريره، فالبعض منهم يتهمونه
بالجنون، والبعض الآخر بالكذب، وهما تهمتان، بل فريتان
متناقضتان، فإما أنه ذكي يكذب على الناس فيخدعهم
بإدعاء النبوة، وإما أنه مجنون لا يعي ما يفعل وما يقول:
(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾
أَتَوَصَّوْا بِهِ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾) (الذاريات).

لكن كلا الفريتين تكذبه سيرة النبي ﷺ، وقد اطلع
عليها جاري ميلر في كتاب المستشرق اليهودي الفرنسي
مكسيم رودنسون، ورغم ما في الكتاب من تحامل على

شخص النبي ﷺ فإنه فتح أمامه أبواباً لطالما بقيت موصدة، منها أن إبراهيم ابن النبي ﷺ مات، ووافق ذلك كسوف الشمس، فقال الصحابة: «كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»^(١)، فجوابه لهم ليس بقول كذاب ولا مجنون، فلو كان واحداً منهما لصدق على قولهم، ولما أنكره عليهم، ولزعم أن في هذا الحدث الكبير إثبات نبوته ورسالته.

في عام ١٩٧٧م، قرر الدكتور جاري قراءة القرآن وتمحيص ما يتوقع أن يكون فيه من حق وباطل، قرأه في ثلاثة أيام؛ فلم يملك إلا أن قال لنفسه: «هذا ما كنت أقول به وأعتقد منذ خمس عشرة سنة»^(٢).

لقد كان يتوقع أن القرآن كتاب يتحدث عن محمد وأحاسيسه وعائلته وبيئته - كما هو الحال في كتب أهل الكتاب - فإذا بعينه تتسابقان إلى ما لم يتظّره، كم أدهشه أن القرآن ذكر اسم النبي ﷺ خمس مرات فقط؛ في حين أنه ذكر اسم نبي الله عيسى عليه السلام خمساً وعشرين مرة، وذكر موسى عليه السلام ما يربو على المائة مرة.

(١) أخرجه البخاري ح (١٠٤٣)، ومسلم ح (٩١٥).

(٢) الخلاف الحقيقي بين المسلمين والمسيحيين، ندوة أقيمت في ديربان في جنوب أفريقيا عام ١٩٨٤م، أحمد ديدات وجاري ميلر، ترجمة: محمد مختار، طبعة دار المختار، ص (١٤٥).

دهش جاري لما وجد في سور القرآن سورة باسم مريم، وفي المقابل لم يجد فيه سورة خديجة أو عائشة أو فاطمة، لقد افتقد في القرآن كل ما يتعلق بأحاسيس النبي ﷺ الشخصية، فلا تظهر في آيات القرآن نشوة انتصاره في غزوة بدر، ولا ذلة انكساره في أحد، ولا يذكر القرآن حرفاً واحداً عن الأحزان التي توالى على النبي ﷺ في عام الحزن ، لأنه كتاب الله؛ لا كتاب محمد ﷺ.

توقع جاري ملر أنه سيقراً في القرآن معارف قديمة كتبها رجل عاش في الصحراء قبل ألف وأربعمائة سنة؛ فإذا به يجده كتاباً لا يحده الزمان ولا المكان، كتاب سبق العلم الحديث إلى إقرار دقيق وجليل المسائل التي توصل إليها العلم حديثاً، فانحنى إجلالاً وإكباراً لحقائقه.

قبل مائتي سنة، اكتشف العالم الهولندي أنطوني ليون هويك "Leeuwenhoek" أن الماء يكوّن ٨٠% من مادة الخلية الحية في الكائنات، وهو ما سبقه إليه القرآن بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَاهُنَّ السَّمَاءَ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنبياء).

ومقدمة الآية السابقة ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ إضافة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ (فصلت: ١١). سبقتنا إلى تقرير نظرية علمية مهمة حول بداية الخلق ونشأة الكون، وهي نظرية الانفجار الكبير (Big Bang) التي

تحوز على قصب السبق عند العلماء اليوم، وقد نال عليها مكتشفوها جائزة نوبل للفيزياء.

وقد حدث الشيء نفسه عام ٢٠١١م حين نال جائزة نوبل للفيزياء كل من سول بارل موتر، وآدم رايس، وبرلين شميدت، وذلك لاكتشافهم ظاهرة تسارع اتساع الكون، وهي حقيقة علمية سبق القرآن نوبل وأهل نوبل إلى ذكرها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات)، فمن الذي أنطق محمداً ﷺ بها قبل تلك القرون، إن من أوحى هذا الكتاب كان موجوداً يوم خلقت السماوات والأرض، إنه الله الأول والآخر.

وتحدث القرآن أيضاً عن أطوار الجنين ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ (الحج: ٥)، آية استوقفت زميل الدكتور ميلر في جامعة تورنتو، البرفسور كيث مور أستاذ علم الأجنة في أرقى جامعات العالم ومؤلف الكتاب الشهير (The Developing Human) "أطوار خلق الإنسان" الذي يعتبر مرجعاً معتمداً في كليات الطب العالمية، فقد قال: «يتضح لي أن هذه الأدلة حتماً جاءت لمحمد من عند الله، لأن كل هذه المعلومات لم تكشف إلا حديثاً وبعد قرون

عدة، وهذا يثبت لي أن محمداً رسول الله»^(١) ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ: ٦).

وضع القرآن بصمته في كتب البرفسور كيث مور، فأضاف في طبعاتها اللاحقة ما تعلمه من القرآن حول علم الأجنة، لكن الدنيا قامت ولم تقعد حين أصدر كيث مور كتابه عن علم الأجنة السريري، فأشار فيه إلى سبق القرآن في تقرير حقائق تطور الجنين.

أجرى الدكتور جاري ميلر لقاء تلفزيونياً مع زميله البرفسور كيث مور، أسمع فيه الأخير الحضور شيئاً من علوم القرآن، وقال: «صفة العلاقة جديد بالنسبة لي»، ووضع أمامهم صورة العلقين (الجنينية والحيوانية)، ليرهن على دقة الوصف القرآني والتشابه الكبير بينهما.

عشاً حاول الصحفيون إيجاد تبرير لهذا السبق العلمي القرآني، فافترض واحد منهم أن العرب قاموا بتشريح الجنين لوحشيتهم، فتوصلوا إلى هذا الوصف الدقيق، فأجابه البرفسور كيث مور: لو فعل العرب ذلك فإنهم لن يروا شيئاً، لأن العلاقة لا تُرى إلا بالميكروسكوب، وأضاف ساخراً: يمكنك أن تقول بأن أحد العرب كان لديه مكروسكوب دقيق رأى فيه العلاقة، فأعلم بذلك محمداً دون

(١) إنه الحق، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي (ص

٤٩، ٥١-٥٢، ٨١، ١١٦-١٢٠).

غيره، ليسجل لنفسه هذا السبق الفريد، ثم كسر هذا العربي
مكرسكوبه حتى لا يتوصل غيره إلى ما توصل إليه، إن هذا
من السخافة بمكان.

فلم يجد الصحفيون بُدأً من سؤاله عن مصدر محمد
[ﷺ] بهذه المعلومات الدقيقة عن الجنين، فأجاب كيث
مور: «لم يكن هذا ممكناً إلا بوحي من الله».

أدهش جاري ميلر في القرآن دعوته الآخرين على مر
العصور والدهور إلى النظر في آيات الله الماثلة في الكون،
وهو موقن واثق بنتيجة تجوالهم فيها: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي
الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)، فالقرآن يتحدى أعداءه
في إثبات دعواهم بشرية آياته، ويفتح لهم الباب على
مصراعيه للتثبت والاختبار، ويمنحهم الفرصة لنقضه إن
استطاعوا ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا
فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

أذهل جاري اتفاق الكتاب الغربيين على أن القرآن لا يمكن
أن يكتبه النبي ﷺ من عند نفسه، وذلك لأنه كتاب مذهب
بمعارفه وموضوعاته، وهو ما قد يضطرهم للقول بأنه وحي الله،
وأيسر منه زعم بعضهم أن لجنة مجهولة ساعدت النبي ﷺ في
إعداده، أو قول غيرهم: أعانته الشياطين على تأليفه.

ولكم عجب الدكتور جاري من هذا القول الأخير
الذي يعتبره نوعاً من الهروب والعجز عن المواجهة، فلئن

كان هذا القرآن من وحي الشيطان كما يزعمون، فما بال الشيطان يملأ كتابه بذيّ الشياطين والتحذير من أحابيلهم وخطواتهم، ويأمر المؤمنين بعداوتهم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر)، وما بال هذا المزعوم يأمر قارئه بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في استفتاح كل قراءة لآياته ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨).

رغم أن الموسوعة الكاثوليكية الجديدة لم تجد ما تقدمه لقراءتها من تفسير مقبول لروائع هذا القرآن؛ فإنها ملّت من ترددات ترهات المستشرقين عن مصادر القرآن، وصارحتهم بأنه: «عبر القرون الماضية قُدمت نظريات كثيرة عن أصل القرآن ... واليوم لا يوجد إنسان عاقل يقبل بأيّ منها»، لقد نطقوا بالحقيقة أخيراً!

أسلم الدكتور جاري ميلر في عام ١٩٧٨م، وتسمى بعبد الواحد عمر، وترك عمله في أقسام الرياضيات، ليتفرغ للعمل الدعوي في كندا، وكتب كتابه الماتع «القرآن المذهل»، ليضيف من خلاله إلى المكتبة الإسلامية جهداً متميزاً، نسأل الله أن يتقبل منه.

الدكتور (مراد) فليفر د هوفمان

فليفر د هوفمان، رجل متعدد المواهب، سفير ألمانيا المخضرم في الجزائر ثم المغرب، والخير في مجال الدفاع النووي، ومدير قسم المعلومات في حلف الناتو، وهو أيضاً حاصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة ميونيخ، إضافة إلى كونه مفكراً موهوباً ومؤلفاً بارعاً ومحاضراً متميزاً.

ولد الدكتور فليفر د هوفمان في ألمانيا عام ١٩٣١م، ونشأ في بيئة نصرانية، وانتمى إلى جماعة ماريانا الكاثوليكية، فكان من المواطنين على لقاءاتها الأسبوعية، والمؤمنين بمعتقداتها المسيحية، لكن سرعان ما هجرها بعد ما تبين له فساد معتقداتها وتناقضاتها مع العقل والمنطق والفطرة.

تجربته الدينية مع النصرانية أفادته؛ إذ عمقت يقينه بوجود الله وحتمية الوحي، وضرورة الدين للإنسان، من غير أن تنجح في حل إشكال مهم عند هوفمان، يكمن في تحديد ماهية الدين الحق من بين الأديان التي تدين بها الكيانات الإنسانية.

في شبابه تعرض هوفمان لحادث مروري كاد أن ينهي حياته، قال له الطبيب: «فليفر د هوفمان، مثل هذا الحادث لا ينجو منه أحد، وإن الله يدّخر لك يا عزيزي شيئاً خاصاً جداً»^(١).

(١) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، ص (٢٠-٢١).

بدأت رحلة هوفمان في التعرف على الإسلام إبان عمله في القنصلية الألمانية في الجزائر في عام ١٩٦١م، وذلك في عهد الاستعمار الفرنسي لها، ورأى بعض المجازر في بلد المليون شهيد، وقد «شكلت هذه الوقائع الحزينة خلفية أول احتكاك لي عن قرب بالإسلام المعيش [الواقع]، ولقد لاحظت مدى تحمل الجزائريين لآلامهم، والتزامهم الشديد في رمضان، ويقينهم بأنهم سينتصرون، وسلوكهم الإنساني وسط ما يعانون من آلام، وكنت أدرك أن لديهم دوراً في كل هذا».

وأراد هوفمان استكشاف هذا الدور للإسلام، فاقتنى نسخة من القرآن الكريم: «لكي أعرف كيف يفكر ويتصرف هؤلاء السكان المليون للدهشة؛ بدأت أقرأ كتابهم؛ القرآن، ولم أتوقف عن قراءته منذ ذلك الحين» إن سر صبر الجزائريين وثباتهم مكنون في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة] (١).

خلال قراءة هوفمان لسور القرآن الكريم، لبث طويلاً يتأمل قوله تعالى: ﴿الْأَنْزِلُ وَأَزْرُ وَزُرْ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨]، آية رآها تعارض كل معتقدات المسيحية التي كان يعتقدوها؛ إذ هي تنفي مبدأ وراثة الذنب بين أبينا آدم وأحفاده، وبذلك تدحض معتقد الكفارة الكنسي الذي يزعم - كذباً - أن الله مكن

(١) الطريق إلى مكة، مراد هوفمان، ص (٣٢-٣٣)، وانظر: الإسلام كبديل، ص (٣٢).

اليهود من صلب المسيح ليكفر خطايا آدم وبنيه، وهذه الآية أيضاً تزيف كل المعتقدات التي صيغت حول فكرة الخلاص الكفاري؛ كتأليه المسيح والقول بأنه واحد من ثالوث أقدم، وتساءل هوفمان مستنكراً: «الله يتعذب من أجل الإنسانية؟! أمر فظيع ومروع وتجديف [أي زندقة] وإهانة بالغة»^(١).

كما لفت نظر هوفمان أثناء تجواله في الجزائر؛ أن الكثيرين من فتيان البربر يحفظون - غيباً - القرآن أو أجزاء منه؛ رغم أنه بغير لغتهم الأمازيغية.

وأعجب منه مما لم يره هوفمان حينذاك، هو حفظ المسلمين الذين لا يفهمون العربية للقرآن الكريم، ومن أراد أن يقف على عظم دلالة حفظ الله لكتابه، فليجرب حفظ مقطع في لغة لا يفهمها، هل يمكنك أخي القارئ الكريم حفظ صفحة باللغة اليابانية أو الروسية، أو غيرها من اللغات التي لا تعرفها؟

المحطة الثانية في اجتذاب هوفمان إلى الإسلام كانت ولعه بالفن والجمال، فقد زار أسبانيا، ورأى جمال آثار المسلمين التي نقشتها خطوطهم وزخارفهم في المساجد والقصور «ألهمني أعمال معمارية - مثل الحمراء في غرناطة، والمسجد الكبير في قرطبة - اليقين بأنها إفراز

(١) الطريق إلى مكة، مراد هوفمان، ص (٣٨)، والخلاص الكفاري هو الإيمان النصراني بأن المسيح المخلص مات على الصليب تكفيراً لخطايانا، وتخليصاً لنا مما لحقنا من ذنب بسبب خطيئة أبينا آدم التي نتوارثها لاحقاً عن سابق.

حضارة راقية رفيعة»^(١).

قدّم هوفمان لابنه الكسندر في ذكرى ميلاده هدية غريبة، أهدها بحثاً مختصراً ضمّنه خلاصة قناعاته في الدين والفلسفة؛ بما أوصله إليه عقله وضميره وفطرته، ودفع هذا البحث إلى دار نشر لطباعته، فأخبره مديرها المسلم بأن كاتب البحث يعتبر مسلماً إذا كان يعتقد بما كتب فيه، فقد كان في جملته متوافقاً مع معتقدات الإسلام، وقد طبعه لاحقاً تحت عنوان «درب فلسفي إلى الإسلام».

يقول هوفمان: «كنت لسنوات، بل لعقود منجذباً إلى الإسلام كالمغناطيس، لأنني ألفتُ أفكاره، كما لو كنت عايشته من قبل»، ويقول: «لقد وجدت أن الإسلام أصفى وأبسط تصور لله، تصوّرٌ تقدمي، ولقد بدت لي مقولاتُ القرآن الجوهرية ومبادئه ودعوته الأخلاقية منطقية جداً؛ حتى إنه لم تعد تساورني أدنى شكوك في نبوة محمد ﷺ»^(٢).

ويلخص هوفمان بحثه الفلسفي: «لقد وقفت خلال هذا الجهد على أن الموقف الفكري النموذجي لمعتنق اللاأدرية الإلحادي يفتقر إلى الذكاء، وأن الإنسان لا يملك ببساطة الهروب من اتخاذ قرار بالإيمان، وأن خلق الكائنات التي توجد حولنا هو أمر واضح، وأنه مما لا شك فيه هناك أعظم انسجام ممكن بين الإسلام والحقيقة الكلية، وهكذا أدركت

(١) الطريق إلى مكة، مراد هوفمان، ص (٣٥).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٠ - ٣٩).

- وقد هزتني الحقيقة - أنني قد أصبحت - في خطوة وراء الأخرى؛ بالرغم مني، ودون أن أكون واعياً بذلك - مسلماً بمشاعري وفكري، ولم تبق سوى خطوة واحدة أخيرة، وهي أن أعلن إسلامي رسمياً .. نطقت بالشهادتين في المركز الإسلامي بكونولونيا .. واخترت لنفسني من بين الأسماء الإسلامية اسم مراد فريد .. أصبحت منذ اليوم مسلماً.. وهكذا بلغت مرادي...»^(١) وكان ذلك في صيف عام ١٩٨٠م.

وينبه مراد هوفمان قراءه إلى أن الإسلام ليس ديناً جديداً على البشرية، بل هو إرث الأنبياء، نبياً تلو نبي، وأنه الامتداد الصادق لما دعا إليه عيسى عليه السلام قبل أن يُدخل بولس على دينه ما أدخله من انحرافات وتغييرات جذرية جعلت النصارى بولسين؛ لا مسيحيين، ويرى أن الإسلام يخطو بالنصرانية إلى أصلها الصحيح، وأنه يوقفها على رجليها من جديد؛ بعد أن كانت تقف على رأسها^(٢).

لقد اختار هوفمان الإسلام، لأنه «الحياة البديلة بمشروع أبدي لا يبلَى ولا تنقضي صلاحيته، وإذا رآه البعض قديماً فهو أيضاً حديث ومستقبلي، لا يحده زمان ولا مكان، فالإسلام ليس موجة فكرية ولا موضوعة، ويمكنه الاستمرار».

قدم مراد هوفمان للمكتبة الإسلامية مؤلفات متميزة،

(١) الإسلام كبديل، مراد هوفمان ، ص (٧٣-٧٤).

(٢) المصدر السابق ، ص (٦٠ ، ١٢٥).

بدأها بذكريات متفرقة عن الإسلام، وعنون لها باسم (يوميات مسلم ألماني)، وكتب تجربته في الانتقال للإسلام في كتابه (الطريق إلى مكة) كما أنجز كتابه عن مستقبل الإسلام بعنوان (الإسلام عام ٢٠٠٠).

وأما الكتاب الذي أثار ضجة واسعة في الأوساط الإعلامية والحزبية الألمانية، فهو كتابه (الإسلام كبديل)، ورأى فيه الإسلام الأمل الذي ترقبه البشرية للخلاص من آلامها وغصصها؛ وهو البديل الذي يستنقذ العالم عموماً وأوروبا خصوصاً من نكد النظامين المفلسين الشيوعية والرأسمالية، فالشعوب الغربية أصبحت موقنة ومؤمنة أن الحضارة الغربية فشلت في إشباع احتياجاتهم الروحية، وأدخلتهم في حروب طاحنة أكلت منهم الكثير بشرياً ومادياً، وكل ذلك يؤكد إمكانية أن يتحول المسيحيون إلى مسلمين، وأن تتحول الكنائس إلى مساجد إذا نجح المسلمون في تقديم الصورة الصحيحة للإسلامهم، فالنور يأتي دائماً من الشرق.

ويستشرف هوفمان المستقبل للإسلام فيقول: «ولا يخفى على المتأمل البعيد الرؤية أن يرى الزحف الإسلامي في القرن الحادي والعشرين مسيطراً ممكناً؛ لانتشاره ديناً لأغلبية البشر.. إن الإسلام لا يطرح نفسه خياراً للمجتمعات الغربية .. إنه بالفعل هو البديل الوحيد»^(١).

(١) الإسلام كبديل ، مراد هوفمان ، ص (٢٠).

وفي كتب هوفمان الماتعة، لا يدخر جهداً في التعريف بالإسلام والذود عنه وتفنيد دعاوى شائتيه الطاعنين فيه زوراً وبهتاناً، وفي مقدمة هذه التهم بهتانهم بانتشار الإسلام بحد السيف، وهي فرية جرى إشاعتها بين الغربيين لإبعادهم عن الإسلام وتعليل ظاهرة سرعة انتشار الإسلام في العالم، ويردها هوفمان ابتداءً بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، «فالإكراه يدعو إلى النفاق، والله يمقت النفاق، إذا كانت الأعمال بالنيات، وكان المعول في الصلاح والإيمان على القلب، ولا يمكن أن يستكره أحد على ذلك، فإن الأفعال التي يأتيها المكروه وهو في داخله رافض لها؛ لا يثاب عليها، بل لا فائدة منها، ولا حاجة لله بها، فالدين هو الإخلاص كما علمنا النبي ﷺ»^(١).

ويستدل لقوله بانتشار الإسلام بسيف الحجة والبيان بدخوله إلى بلاد لم يدخلها جندي مسلم كالسنغال ومالي وغانا وتشاد ونيجيريا^(٢)، فقد أسلم هؤلاء وغيرهم ضمن ما يسميه هوفمان «الانتشار العفوي للإسلام [الذي] هو سمة من سماته على مر التاريخ، وذلك لأنه دين الفطرة المنزّل على قلب المصطفى ﷺ»^(٣).

وأما اتهام الإسلام بالتعصب فيكذبه هوفمان بالمقارنة بين تاريخ وواقع المجتمعات الإسلامية مع تلك التي تتبع

(١) المصدر السابق ، ص (١١٩).

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٢).

(٣) يوميات ألماني مسلم، مراد هوفمان ، ص (١١٣).

غيرهم، فالمسلمون لم يهدموا الكنائس في البلاد التي دخلت تحت سلطانهم دهوراً طويلة، كما في مصر والشام وتركيا، وغيرها من البلدان، فالتسامح مزية المسلمين التي أرساها القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ.

وفي مقابله يتساءل هوفمان عن سر اختفاء المساجد من الأندلس واليونان والصرب بعد خروج المسلمين منها^(١).
نسأل الله لنا وللدكتور هوفمان الثبات على دينه.

(١) انظر: الإسلام كبديل ، مراد هوفمان ، ص (٢٢).

(شكران واحدة) ماري ويلدز

ما زال الطاعنون في الإسلام يزعمون أن الإسلام انتقص المرأة وظلمها، وقيد حريتها، لكن لغة الأرقام تكذبهم في كل يوم، حيث الداخلات في الإسلام تفوق أعدادهن الداخلين فيه من الرجال.

«ماري ويلدز» واحدة من هؤلاء .. فتاة إنجليزية ولدت في بيت كاثوليكي متدين، ودرست وعاشت تسع سنوات في مدرسة داخلية تشرف عليها راهبات الكنيسة، وهي سنوات زادت بُعد ماري ومعظم زملائها عن الدين فارتابوا في أقاويله، وتشككوا في جدواه، فإن المرء لا يمكن أن يقنع بدين عماده الشكليات والطقوس.. والهيكل الفارغة من المضمون المقنع المتكامل.

خرجت ماري من سكنها المدرسي وهي تبحث عن سكنى قلبها وعما يروي جوعة التدين في ضميرها، ويجيب عن أسئلتها التي تتمحور حول معنى وجودها في الحياة، وماهية الدين والثواب العقائدية «كنت أبحث عن أجوبة جوهرية في الحياة، عشت مع البوذيين والصوفيين في لندن ومع أعضاء عديدين كانوا من مختلف الفئات الدينية والسياسية، وكثيراً ما حاولت وبذلت جهدي لأشترك معهم، ولكن دون جدوى، إذ لم تجب أي من تلك المعتقدات والأيدولوجيات عن أسئلتني وحاجاتي التي كنت أشعر بضرورتها لتحديد هدفي في الحياة»^(١).

(١) رحلتي من الكنيسة إلى المسجد. لماذا؟، ماري ويلدز، ص (١٣).

واجهت ماري واقعاً مادياً صادمًا يلف الحياة الغربية برمتها، ويصبغها بالأثرة والقسوة والعنف، فكرهت عالمها، بل وحتى الأشياء الجميلة من حولها، وضافت عليها الأرض بما رحبت: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (طه: ١٢٤).

تعرفت ماري على الإسلام خلال دراستها في قسم الأدب التركي والفارسي في جامعة درهام ، وقرأت في تلك الأثناء العديد من الكتب التي ألفها المستشرقون عن الإسلام، كما استمعت إلى الكثير من المحاضرات والندوات حوله، لكنَّ فتح مغاليق قلبها كان موصولاً باطلاعها على مجموعة رسائل النور التي كتبها العلامة التركي بديع الزمان النورسي الذي عاش في النصف الأول من القرن العشرين، فكانت رسائل النور طريقها إلى فهم «لغة القرآن ، تعلمناها من بديع الزمان سعيد النورسي، الذي أفهمنا بالإيمان الخالص في رسائل النور: ما الكون؟ وما الطبيعة؟ ومن نحن؟ ولماذا هذه الأعداد الغفيرة من المخلوقات؟ وما وظائفها؟ ولماذا وُجدوا؟ وإلى أين المصير؟ وكيف أن الإسلام دينٌ متكامل؟ وكيف أنه يخاطب عقل الإنسان ومداركه وكل لطائفه ومشاعره .. وننظر من خلال الخلق إلى أسماء الخالق العظيم والرحمن الحكيم»^(١).

(١) المصدر السابق، ص (١٦).

رحلة ماري مع التأمل والمراجعة لم تكن قصيرة، فبعد ثلاث سنوات طوت ماري حياة النصرانية، واختارت الإسلام، «فلله الحمد الذي ساقني إلى هذا الطريق لأنعم بالإسلام، وقد نجوت من تلك الحفرة المظلمة التي كنت أشعر بها، وانزاحت عني غشاواته، واحدة بعد الأخرى، بمعاونة أصدقاء مسلمين في الجامعة، وبصبرهم علي، ومؤازرتهم إياي.. فطوال هذه السنين [أي الثلاث] بدأت تتفتح أمامي دنيا تبدو ذات معنى ومغزى وانسجام»^(١).

لقد استطاع الدكتور فارس قايا - أستاذ الهندسة الميكانيكية وزميل ماري في دراستها الجامعية ببريطانيا - استطاع هو وزملاؤه إقناعها بالإسلام وتخليصها مما تسميه «البكم العقدي»، فولجت إلى الإسلام مختارة قرية العين في عام ١٩٨١م، وتسمت بـ «شكران واحدة»، وتزوجت من الداعية التركي "محمد فرنجي" رفيق رحلة جهاد الشيخ سعيد النورسي.

وسرعان ما أضفى الإسلام على حياتها رونقه الجليل، وطبعها بجماله الأخاذ، فقد «كانت حياتي السابقة رحلة إلى الأعماق، فكانت تغور إلى الأعماق فالأعمق، في ظلمات بعضها فوق بعض، من شقاء ويأس ووحشة، وشعور بالوحدة والغربة، بينما الآن أرى نفسي والناس جميعاً قد جُهِزنا بأجهزة نال بها سعادة الدنيا؛ فضلاً عن

(١) المصدر السابق، ص (١٥-١٦).

أنها تنتج سعادة أبدية خالدة»^(١).

أرادت شكران ردَّ بعض جميل العلامة النورسي عليها، فأقامت في بلاده تركيا، وعكفت على كتبه ورسائله وترجمها إلى الإنجليزية، لينتفع بها غيرُها من أبناء قومها الذين يبحثون عن الحق، كما كتبت كتاباً عنه بعنوان «مؤلف رسائل النور»، وكذلك كتبت كتابها «الإسلام والغرب ونحن»، ثم سجلت أبرز معالم قصة هدايتها في كتابها «رحلتي من الكنيسة إلى المسجد. لماذا؟».

وقد تحدثت شكران في كتبها عن دينها القديم؛ النصرانية، فنبهت على أصالة التوحيد في تعاليم المسيح عليه السلام، وأن الكنيسة التي اعتبرت نفسها ممثلة للمسيح عارضت معتقداته وتعاليمه، واضطرت -خوفاً من افتضاح أمرها - إلى محاصرة الفكر، ومنع العلم، ووأد محاولات تطوير المعرفة، من خلال سيطرتها على الحياة الثقافية والفكرية في أوروبا؛ واعتبارها كل دعوات الإصلاح هرطقةً بغیضةً.

وأجابت شكران عن سؤال قد يجول بخاطر من يقرأ سطورها، فيدعي أن الحضارة الغربية المعاصرة وتقدمها التقني بعضٌ إبداع الفكر النصراني، وهو قول يهرف به من لا يعرف تاريخ أوروبا إبان حكم الكنيسة قبل ميلاد الثورة الصناعية، التي نشأت بعد تخلص أوروبا من الكنيسة ودينها

(١) المصدر السابق، ص (١٨).

المحرف، وهروبها إلى إرثها القديم المتمثل في الحضارة الإغريقية الرومانية القديمة، ومنها - كما ترى شكران - استمدت أوروبا الجديدة قيمها المادية وفلسفة جواهرها التي تقوم على القوة والعنف والأنانية، ولم تستطع النصرانية؛ دينها حينذاك أن تقدم لها أي إضافات أخلاقية جوهرية؛ وإن أثرت في السلوك الشخصي لمتبعيها؛ دون القيم الجمعية للمجتمع.

أخذت المرأة الغربية المسلمة "شكران واحدة" على عاتقها تبصير أهلها وأبناء جنسها بالإسلام وحقائقه الذي ترى جذراً غليظة تحول دون وصوله إلى الغربيين، ومن أهمها شيوع الصورة النمطية الخاطئة عن الإسلام الذي يسمونه «دين السيف»، حجب صنعته - في القديم - الدولة والكنيسة لحماية مصالحهما وبسط سيطرتهم، ثم طورتهما - لذات السبب - المؤسسة الاستشراقية المتصلة بالاستعمار، فحققت - بطرقها المتواصل - اختراقات هائلة في الذهنية الغربية التي خدعت بتلبس دراسات المستشرقين وأبحاثهم بدعاوى الموضوعية والحياد العلمي الزائفين.

ولا تتنكر شكران للاعتراف بدور المسلمين السلبي - مجتمعاً وأفراداً - في تعميق هذه النظرة الخاطئة التي يذكها ويغري بصدقها تصرفات المسلمين الخاطئة في الغرب أو أفعالنا في الشرق التي سرعان ما يطير الخبر بها، ليثبت الصور المزرية المبنوثة عن المسلمين ودينهم.

وترى شكران أن الدراسات الاستشراقية أولت وضع المرأة في الإسلام أهمية بالغة؛ لكنها استخدمت فنونها وأحابلها في التنفير من تشريعات الإسلام والافتتات على نظمه الخاصة بالمرأة وغيرها، فأثقلت الحياة الثقافية والاجتماعية في الغرب بالدعاية الكاذبة عن اضطهاد مزعوم للمرأة في الإسلام ، فكانت دعواهم أهمّ السدود والجُدر التي حالت بين الغربيين والإسلام، إذ كيف للغربي أن يؤمن بالإسلام وقد عشعش في رأسه ما زعموه من صور زائفة عن المرأة المسلمة الأسيرة الذليلة بزعمهم .. صورٌ تقوم على انتقاص مزعوم للمرأة في ظل الإسلام، وتهميش لها في مقابل الرجل، وازدراءً لكيونتتها، وهو ما تسميه «الضلالة الكبرى»، فشكران وهي الأنثى التي عاشت أوضاع المرأة في الحياتين؛ الغربية ثم الإسلامية ترى الصورة مقلوبة، بل إن شئت فقل: تراها على صورتها الصحيحة من غير رتوش ولا أصباغ، ف«واقع المرأة في الغرب محزن للغاية، فقد تعطل دورها في البيت، وتحطمت أنوثتها، وأصبحت ضحية للمجتمع الغربي، فالنظام القائم يستغل عرض أجسادهن لأغراض الإعلانات والدعاية .. هذه التحولات والتطورات صوّرت وكأنها خطوات نحو التقدم والتحرر للمرأة .. غير أن المرأة خُدعت واستُغلت استغلالاً سيئاً .. وهم بدعوتهم هذه لا يدعون إلى تحرير المرأة، بل إلى العبودية ؛ إذ ما يدعون إليه يخالف طبيعة المرأة ؛ متمثلاً في الحرية المطلقة

واتباع الشهوات دون رقيب ولا حسيب»^(١).

وفي مقابل هذا الوضع المهين للمرأة فإن شكران ترى القرآن الكريم وقد راعى - في تشريعاته وأحكامه - أنوثة المرأة ومهمتها وطبيعتها، فالييت ليس سجنًا لها، بل هو مملكتها تربى فيها أبناءها، وتصنع منهم جيلاً نافعا، وتحمي بلباسها الإسلامي نفسها من نهم الرجال ورغبتهم في استغلالها كمادة للإثارة والتسلية، وهو ما تعتبره شكران أخطر أنواع الإهانة للمرأة؛ لما فيه من إهدار لكرامتها وتغيب لدورها وابتذال وتقزيم لشخصيتها، فضلاً عن انتهاكه لخصوصيتها، وتتساءل شكران عما تحقق من حرية وكرامة للمرأة الغربية العارية الضائعة المبتذلة التي تتعرض، وتعرض في صالات ونوافذ العرض الجنسي كما تعرض الأحذية وقطع الأثاث.

وترى شكران أن الغرب يتعامل مع الإنسان - رجلاً كان أم امرأة - بعيداً عن فطرته.. وقد انجرف كل من الرجل والمرأة بعيداً بعيداً عن هذه الفطرة السليمة.. فأدخلوا المرأة في قضايا وأعمال ليست من اختصاصها، وزجّوا بالرجل في قضايا وأعمال واهتمامات لا تتواءم بحال من الأحوال مع فطرته، وهو - والكلام لشكران - وضع شاذ ومعاكس ومؤقت، لأنه بعد رحلة الشقاء والتعاسة لابد أن يعود الإنسان إلى فطرته التي فطره الله

(١) المصدر السابق، ص (٥٧-٥٨).

عليها ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).
لذا تحذر شكران من المؤامرات التي تحاك ضد
المرأة فيما يسمى (مؤتمرات المرأة وتحريرها) ، وتراها
«الكأس المسمومة .. فاسكبوها على الأرض، وأريقوا
عليها ذنوباً من ماء، فمن الهلاك المحتم أن يسير الإنسان
في أرض التيه دون بوصلة هادية»، فالقاصي والداني
يعلمان أن تحرير المرأة لا يعني في مضمونه سوى
الانفلات والبحث عن اللذة التي تعصف بمعاني الحياة
كلها من فرد وأسرة ومجتمع.. لتصبح لذة عدمية لا معنى
لها سوى المغالطة والعبث والشذوذ.
هنيئاً لأختنا شكران ما وهبها الله من عمق الفكر ونور
القلب وسلامة الفكر.
ونسأل الله الثبات لنا ولها على الإسلام.

البرفسور (رجا) روجيه جارودي

كثيرون عرف الحق طريقه إلى قلوبهم فأسلموا، لكن فيلسوف فرنسا ومفكرها جارودي كان مختلفاً عن كل هؤلاء، فجارودي ليس مجرد رجل فارق دينه، وانتقل إلى الإسلام.

ولد روجيه جارودي في مرسيليا في عام ١٩١٣م، ولم تمنعه تنشئة أبويه له على الإلحاد من المزاوجة الغربية بين المسيحية البرتستنتية والشيوعية الماركسية، فقد كان من قيادات الحزب الشيوعي الفرنسي، وأيضاً كان رئيس جمعية الشبان المسيحيين البرتستانت.

نال جارودي شهادتي دكتوراه في عامي ١٩٥٣-١٩٥٤م: أولاهما في فرنسا عن رسالته «النظرية المادية في المعرفة»، والثانية من موسكو بعنوان «الحرية».

العام ١٩٥٦م مثل نقطة البداية لمراجعاته للفكر الماركسي الشيوعي، فقد صدمه خطاب الرئيس خروتشوف الذي كشف فيه عن ممارسات لا إنسانية وسادية في الحقب الشيوعية الماضية، وبخاصة الحقبة الستالينية، وقادت المراجعات جارودي إلى نقد مثير للشيوعية فكراً وممارسة ورجالاً، فكان ذلك سبباً في طرده من الحزب الشيوعي عام ١٩٧٠م.

بدأ جارودي في البحث عن صيغة أخرى تتشمل البشرية من جمود الشيوعية التي أفلست وأعلنت عجزها عن

الاستجابة لمتطلبات العصر، فعقله وخلفيته اليسارية وضميره لا يتقبلان الفلسفة الرأسمالية الغربية، وحضارتها التي وجه إليها جارودي نقداً مُراً، فهو لا يكف عن التذكير بأن النموذج الغربي للحضارة أنفق عام ١٩٨٠م أربعمائة وخمسين مليار دولار لصناعة الأسلحة الفتاكة التي يتوفر منها اليوم ما لو أُلقي على رؤوس البشر لكان نصيب كل واحد منهم خمسة أطنان من المتفجرات التي أبدع في صناعتها التقدم العلمي الغربي!!.

يقول جارودي: «وهذا تقدم علمي وتقني لا مرأى فيه، ولكن يجب أن يوقف هذا التقدم .. متى إذن نعود إلى رشدنا، ونعي أن نموذج النمو الغربي تشوه، وأنه ظاهرة تاريخية مرضية؟»^(١)، لذلك دعا جارودي إلى ضرورة التخلص من الهيمنة الحضارية الغربية، والانتقال إلى التعاون في صناعة حضارة إنسانية سوية، يمكن للجميع الإسهام فيها عبر الحوار بين الحضارات.

الحوار الحضاري قاد جارودي إلى دراسة الحضارات الإنسانية المختلفة، وأوقفه طويلاً أمام إنجازات الحضارة الإسلامية التي قدمها المسلمون خلال ثمانية قرون، فكانت حضارتهم حلقة فريدة متميزة في سلسلة الحضارة الإنسانية، وقرأ جارودي في سجلاتها ما أعجبه وأدهشه، ف«الإسلام.. نفخ في إمبرطوريات مفككة وحضارات مشرفة

(١) وعود الإسلام، رجاء جارودي، ص (٨٧).

على الموت: روحاً اجتماعية جماعية جديدة، وأعاد إلى البشر ومجتمعاتهم أبعادهم الإنسانية والإلهية بنوع خاص من التسامي والتوحيد؛ كما أعاده انطلاقاً من ذلك الإيمان البسيط والقيم الحميدة التي أدت إلى تجديد العلوم والفنون والشرائع والفلسفة»^(١).

ولو شئنا تأمل بعض الصور الحضارية الإسلامية التي أدهشت جارودي، فإننا واجدون الكثير في كتابه «وعود الإسلام» الذي ألفه قبل سنة من اعتناقه الإسلام، ويجمل في سطره فكرة رئيسة، وهي أن الإسلام هو الاختيار الوحيد الذي تملكه البشرية اليوم للخروج من مأزقها وأزماتها.

أفلا يحق لجارودي أن يدهش من وجود مليون كتاب في رفوف مكتبة بيت الحكمة في بغداد زمن الخليفة المأمون؟ وهي - على ضخامتها - لا توازي مكتبة العزيز بالله في القرن الرابع الهجري، فقد ضمت مكتبته في القاهرة أزيد من مليونٍ وستمئة ألف كتاب، منها ستة آلاف في الرياضيات، بينما ضمت مكتبة الأمير الأندلسي الحكم بن هشام أزيد من أربعمئة ألف كتاب، وعلى الضفة الحضارية المقابلة، فإن مكتبة ملك فرنسا شارل - الذي سُمي بالحكيم لاهتمامه بالعلم - لم تتجاوز التسعمئة كتاب^(٢).

(١) المصدر السابق ، ص (١٨).

(٢) المصدر السابق ، ص (٩٢).

و حين شاد المسلمون أرفع المستشفيات وكتبوا
عشرات الكتب في الطب؛ لم تكن مكتبة كلية الطب في
باريس تحوي في رفها الوحيد أزيد من كتاب واحد، هو
موسوعة الرازي الطبية.

هذه النهضة العلمية في المشرق، واكبها تقانة العرب
لل كثير من الصناعات المفيدة، ومنها صناعة الورق التي
اقتبسوها من الصينيين، ثم بني أول مصنع للورق في بغداد
عام ٨٠٠م، وهي صناعة لم يعرفها الغرب إلا بعد
المسلمين بأربعمئة سنة^(١).

هذا الاهتمام بالعلم لم يستغربه جارودي من
المسلمين، حين لم يطلب خليفته المأمون من الامبرطور
البيزنطي ميشيل الثالث تعويضاً عن أضرار الحرب بينهما
إلا مخطوطات بعض الكتب النافعة^(٢).

هذا الاهتمام المشرقي الكبير بالكتاب والقلم أثمر
مشروعات علمية ذكر جارودي نتفاً منها، فالعالم الفلكي
محمد بن جابر البتاني (٩١٨م) القائل: «بعلم النجوم
يقترّب الإنسان من البرهان على وحدانية الله ومعرفة
الحكمة من خلقه»، هذا البتاني الملقب بطليموس العرب
قام بقياس زاوية ميل دائرة الكسوف الشمسي ، فوجدها
٢٣,٣٥ ، وما أقرب هذا القياس من الرقم الذي توصل إليه
العلم الحديث، وهو ٢٣,٢٧.

(١) المصدر السابق ، ص (٩١).

(٢) المصدر السابق ، ص (٩٠).

وأما الأمير أوغ بيك، فشيّد مرصد سمرقند لمراقبة
الفلك والنجوم ، وقاس فلكيّه السنة الشمسية، فتطابقت
أرقامهم مع أرقام العلم الحديث، ولم يفترقا إلا في أربع
عشرة ثانية.

وقد تعلم الغرب كثيراً من حضارة المسلمين،
فالمدونة القانونية التي أصدرها ألفونسو العاشر، ويشرّع
فيها لأخلاق الحرب وقواعد الشرف فيها، وحماية الشيوخ
والنساء والعجزة والأطفال؛ هذه المدونة - بحسب
جارودي - منحولة عن تشريعات إسلامية سجلتها وثائق
أندلسية سابقة^(١).

لقد وفق جارودي في قراءته للحضارة الإسلامية،
حين أدرك أن ارتباطها الوثيق بالإسلام قد أكسبها زخماً
جغرافياً وإنسانياً «فبعقيدتهم، قدم المسلمون أغنى مساهمة
في الثقافة العالمية ، بينما كان سبب الركود العلمي الرئيس
في أوروبا المسيحية الارتياح من الطبيعة الذي لا يمكن
إلا أن يبعد عن الله، وهذه إحدى ثوابت تلك الثنائية التي
أفسدت الروح المسيحية»^(٢).

وأرجع جارودي الفضل في النتاج الحضاري الإسلامي
إلى مصدره وملهمه، فالقرآن منذ تنزلت أول آياته ﴿اقرأ﴾
(العلق: ١)، وهو يدعو المسلمين إلى البحث العلمي،
ويحثهم على الإبداع، ويعتبر الجِدُّ في تحصيل المعرفة

(١) وعود الإسلام، جارودي، ص (٧٥-٧٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٩٢).

والعلم عبادةً يؤجر فاعلها «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»^(١).

القراءة في الحضارة الإسلامية كانت مفتاح جارودي في التعرف على الإسلام، وقد لفت نظره أمور:

١. لم يزعم نبي الإسلام اختلاقه ديناً جديداً، فهو يحمل نفس الجوهر الذي سبقه إليه الأنبياء، ولذلك وجدت فيه الفرق المسيحية- التي أرهقتها الخلاف الديني - الأصل الصحيح لنصرانية المسيح عليه السلام، وأنه السبيل الذي يمكنه أن يخلصها من تناقضاتها، ويجردها من انحرافاتهما «فإن المشكلات [العقدية] لم تكن قد حُسمت البتة في عقول الشعب .. بحيث إن الأريوسيين والبريسيانين والغنوصيين في أسبانيا ؛ انتموا بسهولة إلى الإسلام الذي شعروا أنهم قريبون منه»^(٢).

٢. أن الإسلام لا يفصل بين العلم والوحي، فالعلم والدين في الإسلام خطان متوازيان، بل متطابقان، فالقرآن هو ينبوع حضارة المسلمين، «حتى لو لم يكن المرء مسلماً ،

(١) الحديث أخرجه أبو داود ح (٣٦٤٣)، وانظر: وعود الإسلام، رجاء جارودي، ص (٨٩).

(٢) وعود الإسلام، جارودي، ص (٤١).

ولو لم يكن يعترف بالقرآن كتاباً موحى به من الله إلى محمد ﷺ؛ فإنه لمن المستحيل على المؤرخ أن يرفض الأخذ بعين الاعتبار كحقيقة واقعة يتعذر ردها .. ذلك الانبثاق لينبوع الحياة الذي راح يقلب أوضاع العالم»^(١).

٣. انفتاح الإسلام على غير المسلمين، وتسامحه مع قيامهم بشعائهم الدينية، ف «السمة الثانية من سمات الإسلام التي تفسر سرعة توغله، هي انفتاحه وتسامحه»^(٢)، وبسبب هذا التسامح انساح الإسلام في الأرض.

ويضيف جارودي: «الإسلام تمكن من الانتشار بمثل هذه المقدرة وبهذه السرعة .. لأنه كان يجدد معنى الحياة لدى شعوب ضلت الطريق بتفكك مجتمعاتها وثقافتها وعقيدتها»^(٣).

وبعد طول دراسة وتأمل، قرر روجيه جارودي اعتناق الإسلام، وذلك في جنيف في عام ١٩٨٢م، وتسمى بـ (رجاء جارودي)، يقول: «إن انتمائي للإسلام لم يأت بمحض الصدفة، بل جاء بعد عناء وبحث، ورحلة طويلة تخللتها منعطفات كثيرة حتى وصلت إلى مرحلة اليقين الكامل والخلود إلى العقيدة أو الديانة التي تمثل الاستقرار، والإسلام في نظري هو الاستقرار»^(٤).

(١) المصدر السابق، ص (٢٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٣).

(٣) المصدر السابق، ص (٣٣).

(٤) لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، د. رجاء جارودي، ص (٧٠).

كتب جارودي في حياته أزيد من ستين كتاباً، منها «المسجد مرآة الإسلام»، و«الإسلام وأزمة الغرب»، و«حوار الحضارات»، و«فلسطين مهد الرسالات السماوية»، و«الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»، وكان فكره موضوع دراسة خمسة وعشرين باحثاً في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، كما منح في عام ١٩٨٥م جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عن كتابيه: «وعود الإسلام»، و«الإسلام دين المستقبل»، ولمواقفه الداعمة للقضية الفلسطينية، وتصديه للمزاعم اليهودية حول أحقيتهم بأرض فلسطين.

ويأبى القلم أن يعود إلى غمده قبل أن نقول: إن جارودي قد وقع في أخطاء جسيمة في فهمه لبعض قضايا الإسلام، كالبعث والجنة والنار التي يتأولها على معنى شاذ منكر لا يوافقه عليه من له أدنى معرفة بمعاني القرآن الكريم، وكذلك يؤخذ عليه موقفه من الأديان الأخرى؛ حيث يُشتمُّ من بعض أقواله إيمانه بفكرة وحدة الأديان.

ولعله مما اعتذر عنه بقوله: «قرأت القرآن الكريم، وأعدت قراءته مرات كثيرة، ولا أدري إن كنت قد فهمته جيداً بالطريقة التي يجب على الإنسان أن يفهمه بها أم لا؟ فقد بدا لي أن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء بدين عظيم هو أساس الأديان»^(١).

رحمه الله، وعفا عنا وعنه.

(١) حوار مع الأستاذ جارودي، عدنان سعد الدين، ص (١٩).

البرفسور جيفري لانغ

عشر سنوات في ظلمات الإلحاد قضاها البرفسور جيفري لانغ أستاذ الرياضيات في جامعة سان فرانسيسكو اليسوعية قبل أن يشرق نور الإسلام عليه، ويلهب الإيمان أحاسيس قلبه المتلبد بنخر الماديين الماكر، وأسألتهم التي لا معنى لها.

لم ينشأ جيفري على الإلحاد، فقد ولد لأبوين كاثوليكين حرصا كثيراً على حضوره قُداس الأحد في الكنيسة قبل أن يصارحهما بعدم رغبته في الحضور، وكان صريحاً معهما حين أخبرهما أن ما يسمعه فيها من وعظ القسيس لا يثبت له حتى مسألة وجود الله .. فالحجة غائبة في دين غدا مجموعة من الأسرار التي لا يعرف حلّها حتى الحُواة المَهرة.

خلال عمله في الجامعة جمعته صداقة مع الطالب السعودي المبتعث محمود قنديل، الذي أهداه ترجمة لمعاني القرآن باللغة الإنجليزية، فانكب على قراءتها، ومشاعر متباينة تتناوبه، وأسئلة كثيرة تلوح في مخيلته، لكن يا للمفاجأة: إن القرآن يتحدث إلى أعماقه، فالقرآن بحسب جيفري «يجادلك وينتقدك ويخجلك ويتحداك .. بدا واضحاً أن مبدع هذا القرآن يعرفني أكثر مما أعرف نفسي .. ولكن، أي مؤلف يستطيع أن يكتب كتاباً مقدساً يستطيع أن يتوقع حركاتك وسكناتك اليومية؟ لقد كان

القرآن يسبقني دوماً في تفكيري، ويزيل الحواجز التي كنت قد بنيتها منذ سنوات، وكان يخاطب تساؤلاتي، وفي كل ليلة كنت أضع أسئلتني واعتراضاتي، ولكن كنت - إلى حد ما - اكتشف الإجابة في اليوم التالي، ويبدو أن هذا المبدع كان يقرأ أفكاري، ويكتب الأسطر المناسبة لحين موعد قراءتي التالية، لقد قابلت نفسي وجهاً لوجه في صفحات القرآن»^(١).

أحس البرفسور جفري أنه بحاجة للحديث مع المسلمين، فيمّم وجهه - في يوم جميل في صيف عام ١٩٨٤ - تلقاء مسجد صغير يؤمه بعض طلاب الجامعة قرب كنيسة القديس أوغسطين، اقترب من باب المسجد، تردد كثيراً في الدخول، أقدم ثم رجع، كان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ارتجفت يداه عند مقبض باب المسجد قبل أن يعود أدراجه بعيداً عنه، يصف لنا البرفسور جيفري تلك اللحظات فيقول: «لم أدر ماذا يجب أن أفعل، وشعرت بالحرَج والهزيمة، فكرت بالعودة إلى مكتبي، مرت عدة ثوان، نظرتُ خلالها إلى السماء محدقاً، لقد كانت هائلة ومليئة بالأسرار ومطمئنة، لقد مضت عشر سنوات كاملة وأنا أقاوم دافع الدعاء، أما الآن فإن المقاومة انتهت، وسرعان ما فاضت مشاعري، فأخذت أدعو: اللهم إن كنت تريدني أن أنزل هذا الدرج إلى المسجد فامنحني القوة من

(١) الصراع من أجل الإيمان، الدكتور جفري لانغ، ص (٣٤).

فضلك»^(١).

استجاب الله دعاءه، فاقترب من الباب الصغير من جديد، التقت عيناه مع عيني الطالب الماليزي عبد الحنّان، الذي بادر بسؤاله: هل تريد أن تعرف شيئاً عن الإسلام؟ ثم انطلق بمشاركة إخوانه يشرح له حقائق الإسلام العامة، لقد شد جفري حديثُ الطالب غسان عن الله عز وجل: «إنه الكبير، ونحن لا شيء بجوار عظمته، نحن أقل من ذرة تراب واحدة، ومع ذلك فإن محبة الله لنا هي أكثر من حب الأم لطفلها الوليد.. عندما نستنشق فإن ذلك بمشيئته، أو نزفر فإن ذلك بمشيئته .. وما تسقط ورقة من الشجر على الأرض إلا وهو يعلمها، فعندما نصلي ونضع أنوفنا على الأرض في السجود؛ فإننا نشعر بالقوة والطمأنينة والسرور، تفوق حدودَ هذا العالم، ولا يمكن وصفها في كلمات، ولا يعرفها إلا من جربها»^(٢).

شقت كلمات غسان الصادقة طريقها إلى قلب البرفسور جيفري لانغ أستاذ الرياضيات، فنطق لسانه بشهادة التوحيد، وصار في عداد المؤمنين.

بعد يومين، رأى البرفسور جيفري أولى بشارات الخير الذي ساقه الله إليه، إذ انضم إلى جمع من المسلمين يصلون صلاة الجمعة في غرفة صغيرة يعرفها جيفري تماماً، إنها الغرفة نفسها التي كثيراً ما رآها في منامه في

(١) المصدر السابق، ص (٣٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٤١).

السنوات التي تلت ابتعاده عن دروس الكنيسة، رؤيا لطالما أشعرته بالراحة، وأنها تنبئه بحدث روحي جميل ينتظره في قابل الأيام: «من خلال حلمي هذا، رأيت مقطعاً من حياتي .. أدركتُ أن الله قريب مني، يوجه حياتي، ويخلق لي الظروف والفرص كي أختار.. أستطيع القول بأنني وجدت في هذه الرؤيا إحياء وتشجيعاً وفرصة جديدة في الحياة»^(١).

بعد أربعة عشر عاماً قضاها البرفسور جيفري في الإسلام؛ قرر أن يهدي بُنياته - جميلة وسارة وفاتن - قصته مع الإسلام، وأن يجيبهن فيها عن سؤال كبير سألنه إياه: لماذا اخترت الإسلام يا أبي؟

كتب البرفسور جيفري كتابه الأول "الصراع من أجل الإيمان" شرح فيه قصة إسلامه، ثم انطلق يقدم لهن وللدعاة من بعدهن خلاصة تجربة طويلة من التأمل والتفكير، وليكون أنموذجاً في طريقة تقديم الإسلام للرجل الغربي المشبع بثقافة بعيدة عن ثقافتنا العربية.

بعد كتابه «الصراع من أجل الإيمان»، دفع البرفسور جيفري لانغ إلى المكتبة الدعوية كتابين آخرين، أولهما: «حتى الملائكة تسأل»، والثاني: «رحلة الإسلام إلى أمريكا»، وفي كتبه قدم البرفسور جيفري لانغ إجابات للكثير من الأسئلة التي تطرحها الذهنية الغربية، فلئن كان المستشرقون ومن تابعهم يتهمون الإسلام بالإرهاب لقوله

(١) المصدر السابق، ص (٤٧).

تعالى: ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، فإن جيفري يؤكد أن الآية لا تتحدث عن الإرهاب الممقوت الذي سفك فيه دماء الأبرياء والأمينين، بل تأمر بإعداد العتاد والعدة التي ترهب الآخرين وتردعهم وتمنعهم عن سفك الدماء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، أي أعدوا من القوة ما يخافه الآخرون فلا يحاربونكم، فبين الإرهابيين (القرآني والاصطلاحي) من البون كما بين السماء والأرض^(١).

كما يستنكر البرفسور جيفري المعنى الخاطئ الذي تشيعه بعض الدوائر حول مصطلح الجهاد الإسلامي، حيث يعمدون إلى تفسير هذه الكلمة القرآنية على أنها القتال أو الحرب الدينية أو المقدسة، وهو تحريف وتشويه، فالجهاد هو بذل الجهد، ويكون في القتال وفي غيره، ويستدل لصحة فهمه بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومنها قول الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢)، فالآية تأمر بجهاد المشركين بالقرآن، أي بسيف البيان والحجة، لا القتال والحرب.

ومثله قوله ﷺ: «أفضل الجهاد حج مبرور»،

(١) انظر المصدر السابق، ص (١٢٧).

فالمقصود هو بذل الحاج جهده في إرضاء الله تعالى^(١).
واسترعى انتباه البرفسور جيفري الفروق الكامنة بين
القرآن والكتاب المقدس الذي يؤمن به اليهود والنصارى،
فالكتابان مختلفان ظاهراً وباطناً، أسلوباً وموضوعاً، وإن
ظهر لقليل الخبرة والتدقيق نوع من المشابهة في بعض
قصص الأنبياء السابقين المسجلة في صفحات الكتابين.
ويسجل البرفسور جيفري - في هذا الصدد - مزايا
للقرآن الكريم، وهي أنه خطاب الله للإنسانية جمعاء، وأنه
يتجاوز حدود الزمان والمكان، وأنه غير معني بالتفاصيل
التاريخية التي لا تحتاجها البشرية ، لأنها لا تدفع شراً، ولا
تستجلب خيراً^(٢).

لكن الأمر الأهم الذي لفت نظر أستاذ الرياضيات،
كان تلك الإشارات القرآنية التي سبقت العلم إلى تقرير
بعض المسائل العلمية، فأول ما نزل من القرآن قوله
تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من
علق﴾ (العلق: ١-٢)، فهذا الوصف الدقيق للبويضة لم
يكشفه العلم إلا في العصور الحديثة، وهو ما أدهش
أستاذ علم الأجنة الشهير كيث مور الذي ازدادت دهشته
للتطابق بين أطوار الجنين المعروفة علمياً وبين قول الله
تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً

(١) انظر المصدر السابق ، ص (٢٩٨)، والحديث أخرجه البخاري ح (٢٧٨٤).

(٢) انظر المصدر السابق ، ص (٦١).

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
 آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿ (المؤمنون: ١٤).

يعلق البرفسور جيفري على هذا الخبر بالقول: «إن
 على المرء أن يقر بالعرفان للتشابه الرائع ما بين الوصف
 القرآني لتطور الإنسان والاكتشافات المتأخرة في علم
 الأجنة، وخاصة عندما نفكر في حجم الأفكار المغلوطة
 حول تطور الإنسان التي سادت أكثر من ألف عام بعد
 نزول القرآن»^(١).

أمثلة عديدة ذكرها البرفسور جيفري لما سبق القرآن
 فيه العلم إلى تقريره، ولعل من أهمها ما اكتشفه العلم
 حديثاً عن اتساع الكون وتمده، وهي حقيقة علمية مذهلة
 لم يمكن للعلم الحديث رصدها قبل رؤية تباعد النجوم
 بواسطة المكسكوب "هابل"، لكن القرآن قررها قبل
 ١٤٠٠ سنة بعلم اللطيف الخبير ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا
 لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٧)^(٢).

كثيراً ما كان يُسأل البرفسور جيفري عن قصة إسلامه
 وملابساتها، فكان يلخصها لسائليه بالقول: «في لحظة من
 اللحظات الخاصة في حياتي، من الله بواسع علمه ورحمته
 عليّ، بعد أن وجد فيّ ما أكابد من العذاب والألم، وبعد
 أن وجد لدي الاستعداد الكبير إلى ملء الخواء الروحي

(١) انظر المصدر السابق ، ص (٧٥).

(٢) انظر المصدر السابق ، ص (٧٦).

في نفسي، فأصبحت مسلماً... قبل الإسلام لم أكن أعرف في حياتي معنىً للحب، ولكنني عندما قرأت القرآن شعرت بفيض واسع من الرحمة والعطف يغمرني، وبدأت أشعر بديمومة الحب في قلبي، فالذي قادني إلى الإسلام هو محبة الله التي لا تقاوم»^(١).

لقد أدرك الدكتور جيفري المعاني التي تتضمنها الشهادتان من استسلام لله تعالى، واعتراف صادق بهيمنة شريعته - تبارك وتعالى - على حياته بمختلف أنماطها ف«اعتناق الإسلام هو أكثر من مجرد مقولة فكرية، بل إن ذلك يعني ارتباطاً اجتماعياً وسياسياً بالمجتمع الإسلامي وأهدافه، إن إقرار المرء بإيمانه أمام الملأ - وبشكل نظري نطق الشهادتين - يزوده بالمفتاح إلى كافة مؤسسات المجتمع الإسلامي، ويزوده أيضاً بمزايا الشراكة المتساوية مع المسلمين»^(٢).

وقد عجب جيفري للمنهج الذي يختطه المستشرقون في نقد الإسلام، وتطرق لبعض معالمه، ولعل من أطرفها نظرتهم إلى أحاديث النبي ﷺ التي انتهجوا التشكيك في موثوقيتها، فإذا ما عجز المنافحون عن السنة عن إثبات دليل مسألة ما تتعلق بالحديث قال المستشرقون بأن العجز دليل الخطأ، أما إذا قدموا دليلاً فذلك يدل على حاجتهم إليه، وهو بذلك يثبت - حسب رأيهم - خطأ المنافحين عن السنة.

(١) انظر المصدر السابق، ص (٢٣٥).

(٢) المصدر السابق، ص (٣١١).

بقي أن نشير بأننا لا نوافق البرفسور جيفري على بعض ما سطره في كتبه، لكنه اعتذر عن ذلك بقوله: «عرّفت بناتي أن والدهن ليس باحثاً في الإسلام، وهذا ما يستطيع أن يدركه علماء المسلمين بسهولة أيضاً»^(١)، ويمضي ليذكر سبباً آخر لهذا الخلل بالقول: «أدرس ما يقوله الباحثون عن دين ما ، سواء أكان هؤلاء الباحثون من داخل هذا الدين أم من خارجه .. وعلى هذا فإن فهمي للإسلام متأثر إلى حد كبير بآراء الباحثين من غير المسلمين»^(٢).

نسأل الله لنا وللبرفسور جيفري الثبات على الإيمان، والهداية إلى أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) انظر المصدر السابق ، ص (١٥).

(٢) انظر المصدر السابق ، ص (١٨).

القس (يوسف) جوزيف إستس

قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرُهْبَانًا
وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى
أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا
فَاكْتُنَّكَ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (المائدة).

آيات كريمات حكمت قصة نفر من قساوسة الحبشة،
قدموا إلى النبي ﷺ، وآمنوا به، وهي قصة تتكرر على مرّ
الأزمان مع كل باحث عن الحق مدعن إليه.

ولعل القس جوزيف إستس أحد هؤلاء، فقد كان قساً
في كنيسة بروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية،
حيث درس علم اللاهوت وحصل على درجة الدكتوراه.
القس جوزيف لم يكن يؤمن حقاً بما يدعو إليه في
الكنيسة، فلم يكن ليصدق بأن الله ثلاثة في واحد، وواحد
في ثلاثة، عقيدة غامضة لم يفهمها كما الملايين من قبله،
وأنى له أن يؤمن بهذه العقيدة التي لم ينبس المسيح عنها
ببنت شفة في الكتاب المقدس الذي يؤمن به سائر
النصارى؟

ولجوزيف مع كتابه المقدس قصة مؤلمة أخرى، فقد
كان يرى تلاعب زملائه القسس بنصوصه، وتحريفهم له
في مواعظهم، وإضافتهم فيه ما ليس منه كلما احتاجوا إلى

دليل لمعنى من المعاني التي كانوا يعلمونها في الكنيسة،
وحين كان يستنكر عليهم فعلهم؛ كانوا يجيبونه بأن أحداً لن
يكتشف مثل هذا التدليس، فما من أحد من شعب الكنيسة أو
قسسها يحفظ سطرًا واحداً من سطور هذا الكتاب.

وفي مقابل هذا فإننا سنراه بعد الإسلام يفخر ويفاخر
بحفظ الملايين من المسلمين لآيات القرآن، وتراه في
محاضراته يتلذذ بسماع أصوات عوام المسلمين، وهم
يكملون له آية قرأ مطلعها، ليثبت للعالم تفرد القرآن
الكريم من بين الكتب السماوية بالحفظ والصون ﴿إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وقد حفظه الله
بأمة بذلت أعمارها في تعلمه واستظهاره، «أناجيلهم [أي
كتابهم] في صدورهم»^(١).

توقف القس جوزيف ملياً مع تناقضات الأسفار
المقدسة، فلم يقدر على حل طلاسمها، فكيف له - أو لغيره
من العقلاء المنصفين - أن يؤمن بصحة ما جاء في سفرى
الملوك والأخبار عن عُمر الملك أخزيا حين تولى الملك
على بني إسرائيل، إذ يزعم سفر الملوك الثاني أنه تولى
الحكم وعمره اثنتان وعشرون سنة، بينما يذكر سفر أخبار
الأيام الثاني أن أخزيا تولى الحكم حين بلغ الثانية والأربعين.
اثنتان وعشرون سنة أم ثنتان وأربعون؟ هي واحدة من
تناقضات الكتاب المقدس التي صدعت رأس القس جوزيف،

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ح (٩٩٠٣)، والبيهقي في دلائل النبوة ح (٣٤٣)، وضعفه الألباني.

ولم يجد لها جواباً حتى عند كبار القسس الذين لجأ إليهم،
فاكتفوا بالقول: إن أحداً من شعب الكنيسة لا يتنبه إلى هذه
الأخطاء والتناقضات؛ فلا تقلق بسببها يا جوزيف!

ومثله مثل كثيرين وقعوا ضحية الدعاية الكاذبة عن
الإسلام والمسلمين، كان جوزيف إستس يتصور أن
المسلمين قوم من البرابرة والمتوحشين، يقتلون من خالفهم
في دينهم، ويعبدون صندوقاً أسود في الصحراء يسمونه
الكعبة، وذلك وفقاً لهستيريا "الإسلاموفوبيا" التي يشيعها
الخائفون من وصول الإسلام إلى ضمير أتباعهم، فيصبحوا
من المؤمنين به والمهتدين إلى حقائقه.

كثيراً ما حذره القسس من قراءة القرآن الكريم، لئلا
تصيبه ما أسموها «لعنة القرآن». خابوا وخسروا، يريدون
بناء الجُدُر التي تحول بين أتباعهم وبين اطلاعهم على
آيات القرآن العظيم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٦١) (فصلت).

إلى جانب عمله في الكنيسة، اشتغل جوزيف بالتجارة،
وقد كانت له مفتاح خير، فقد اجتمع ولمدة شهرين أو يزيد
مع شريكه المسلم المصري محمد عبد الرحمن، فرأى فيه
من حسن معاملة المسلمين ما يناقض كل الأفكار الصدئة
التي عشتت في رأسه عن وحشية المسلمين وهمجيتهم ..
كذب يصيب المرء بالاشمئزاز والتقزز؛ وأحياناً بالشفقة على
عالم أدمن الكذب فصار له سجية وعادة.

اجتمع القس البروتستنتي جوزيف إستس وأبوه وزوجته، واستعانوا بالقس الكاثوليكي بيتر جاكوب، ليكونوا فريق عمل قادراً على محاورة الشاب المسلم محمد عبد الرحمن الذي أعياهم بأسئلته، وفضحهم أمام أنفسهم بأجوبته، وأدهشهم، وأفغر أفواههم حين أعلمهم بأن القرآن عند جميع المسلمين كتاب واحد، بينما تحمل يد كل واحد منهم نسخة من الكتاب المقدس تختلف عن النسخة التي يحملها الآخر، فتوراة البروتستنت التي يحملها القس جوزيف إستس تتكون من تسعة وثلاثين سفرًا، بينما يحمل صديقه الكاثوليكي بيتر جاكوب كتابه ذا الستة وأربعين سفرًا.

وحين تباحث جوزيف مع شريكه محمد حول الإسلام والنصرانية؛ أسمعهم محمد سورة الإخلاص، فأدرك جوزيف وضوح عقيدة التوحيد وبساطتها التي تلامس الفطرة وتوائمها، وتزلزل ما تبقى في قلبه من أوضار الوثنية والشرك والتثليث، فالله واحد أحد، وليس ثلاثة في واحد، وهو الذي لم يلد ولم يولد، فهيئات أن يكون له ولد، «وكأن صوته [وهو يقرأ سورة الإخلاص] لا زال يرن صدهاء في أذني، ولا أزال أتذكره.. أما معناها فلا يوجد أوضح ولا أفضل ولا أقوى ولا أوجز ولا أشمل منه إطلاقاً، فكان هذا الأمر مفاجأة قوية لنا.. مع ما كنا نعيش فيه من ضلالات وتناقضات في هذا الشأن وغيره».

وعلى مدى ليال طويلة من المناقشات لم يفتأ الشاب

المسلم يؤكد بأدب واقتدار على أن الإسلام دينُ الحجة والدليل والبرهان، دين يحترم العقل، ويراه هبة إلهية للإنسان، تعينه في الوصول إلى نور الحقيقة وهدى الله القويم.

كان هذا منطقاً غريباً على جوزيف إستس الذي كان يعتقد أن الإيمان والعقل نقيضان لا يجتمعان، فكثيراً ما كان يسمع المقولة الشائعة بين القسس والرهبان: «أغلق عقلك واعتقد».

شهور من عام ١٩٩١م قضاها يوسف إستس في الحوار مع صديقه محمد عبدالرحمن، وأضاف إليها الكثير من البحث والدراسة في اليهودية والبوذية والهندوسية والإسلام، ثم وضع جبهته على الأرض ذات ليلة، وهتف من أعماق قلب تائه يبحث عن الخلاص: «إلهي ، إن كنت موجوداً فاهدني».

وبعد ليلة طويلة سهرها القس إستس وزوجته في جدال شريكه المسلم؛ قرر أن يبرأ من الشرك ويعتق التوحيد، وانضم هو وزوجته ووالده إلى ركاب المؤمنين، وقد سبقهم إليها صديقهم القس بيتر جاكوب، حدث عظيم يعلق عليه جوزيف إستس أو بالأحرى يوسف إستس - بالقول: «أرى أن إسلامنا جميعاً كان بفضل الله، ثم القدوة الحسنة عند ذلك المسلم الذي كان حسنَ الدعوة، وكان قبل ذلك حسنَ التعامل، وكما يقال عندنا : لا تقل لي.. ولكن أرني».

هذا المفتاح العظيم من مفاتيح الدعوة، يفرط فيه بعض الدعاة الذين يقصرون في إصلاح أخلاق وسلوكيات

إخوانهم المسلمين، ثم يكتفون بالقول للآخرين: لا تنظر إلى حال المسلمين وسوء فعالهم، بل انظر إلى القرآن والسنة فحسب. وهو جواب يعيبه الداعية يوسف إستس، ويراه نوعاً من الهروب لا ينطلي على المدعوين الذين يقول لسان حالهم: لو كان هذا الإسلام عظيماً لآثر في أتباعه، فالناس يريدون أمثلة حية، يريدون رؤية شخوص تمثل الإسلام أمام البشرية وتهديهم إليه.

لم يكن يوسف إستس أنانياً، بل أحب لبني جنسه ودينه السابق ما أحب لنفسه، فانطلق يوجب البلدان؛ يبشر بدينه الجديد عبر محاضراته في مختلف البلدان؛ علاوة على دروسه ولقاءاته في القنوات الفضائية، وكذلك في موقعه المميز (www.islamtomorrow.com)، وقد كتب الله له الكثير من القبول عند الناس، فأسلم بسبب دعوته ودماثة خلقه وحسن عرضه للإسلام الألوف من الناس، ففي محاضرة له في ألمانيا في ٢٧/٧/٢٠٠٨م، أسلم زهاء ألف ومائتين وخمسين من الباحثين عن الحق؛ الظامئين إليه.

في إحدى محاضراته أمكن للشيخ إستس خلال دقيقة واحدة أن يثبت للحاضرين أن المسيح ليس هو الله، وليس أيضاً ابن الله، فالمسيح وسم نفسه بالإنسانية كما في إنجيل يوحنا (٤٠/٨): «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله»، وكذلك وصف عليه الصلاة والسلام في الإنجيل ثلاثاً وثمانين مرة بأنه ابن الإنسان، وهكذا فالمسيح في الإنجيل إنسان وابن إنسان، والله ليس إنساناً ولا ابن

إنسان، لأن سفر العدد (١٩/٢٣) يصرح بذلك: «ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم»، وهكذا تتلألاً الحقيقة في أبهى صورها رغم - أو بسبب - بساطة الطرح التي تثبت روعته.

وحين سأل أحدهم عن انتشار الإسلام بالسيف؛ قال: أي سيف هذا الذي وصل إلى أندونيسيا أو ماليزيا أو غيرها من البلدان التي دخلت في الإسلام قبل أن ترى جندياً واحداً من جنود المسلمين؟! لقد اختاروا الإسلام عن حب وقناعة لما رأوه من أخلاق تجار مسلمين قدموا إلى تلك البلاد، ففتحوها بحسن معاملتهم وطيب أخلاقهم ومعرهم.

ويعجب إستس من قول القائلين: إن الإسلام انتشر بالسيف. مع أن كلمة السيف وسائر مرادفاتها التي تربو على الستين (كالحسام، والمهند..) لم ترد في القرآن الكريم ولو مرة واحدة، وفي المقابل وردت كلمة السيف في توراة النصارى وإنجيلهم زهاء مائتي مرة، مما سبب حرجاً لبعض القسس الذين لجؤوا للخداع والكذب والتلبس على الدهماء، حين حرفوا القول المنسوب إلى المسيح في إنجيل متي (٣٤/١٠): «ما جئت لألقي سلاماً على الأرض، بل سيفاً»، وقالوا: إن كلمة السيف (sword) قد تصحفت عن الكلمة الأصلية (ward) - أي (كلمة) - بسبب وقوع قطعة مكرونة على هيئة حرف (s) على المخطوط الذي كان آكل المكرونة يكتبه، فتحول قول المسيح: «بل كلمة» إلى «بل سيفاً».

قصة طريفة تضحك منها الثكلى، قد تنطلي على بعض
العوام الذين لا يعرفون أن الإنجيل لم يكتب بالإنجليزية، بل
باليونانية، وليس ثمة مناسبة تسمح للمكرونة أو غيرها بتغيير
كلمة (λόγος) التي تعني (كلمة) إلى (μάχαιραν) التي
تعني (سيف).

نشاط الشيخ الداعية يوسف إستس لا يهدأ في
التعريف بالإسلام والدعوة إليه على شبكة الإنترنت،
ورعاية المسلمين الجدد وتعليمهم أمور دينهم.
نسأل الله أن يبارك في جهوده، وأن يرفع به رايته،
ويعلي دينه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المذبة كريستيان بيكر

في ستينيات القرن الماضي ولدت كريستيان بيكر في مدينة هامبورج الألمانية في أسرة بروتستنتية، ومع بلوغها العشرين، تألقت كصحفية محترفة تعمل في إذاعة محلية في مدينة هامبورغ، لتشارك مع الآلاف في مسابقة لقناة (MTV) الشهيرة، ثم تفوز من بينهم بالعمل كمقدمة لأهم البرامج الغنائية في هذه القناة الأوربية صاحبة الزخم الكبير في عالم الفن والموسيقى، التي فتحت لكريستيان أبواب الشهرة، فجالت بعدها في عواصم أوروبا، وهي تعرض على الشاشة من يسمون بنجوم الفن العالمي، وتجري معهم عشرات اللقاءات في برامجها التي يتابعها الملايين من محبي الموسيقى في أوروبا^(١).

عمل كريستيان بين هؤلاء المشاهير منحها شهرتهم وحفاوة الجمهور بهم، بل وكان سبباً في نيلها بعض أهم الجوائز العالمية، حيث منحت جائزة «الكاميرا الذهبية»، وغيرها من الجوائز المحلية والعالمية.

نالت كريستيان في عالم الأضواء الكثير من الزخرف والبهرج والمال، لكنها لم تكن سعيدة، فقد تحدثت في أحد برامجها إلى جمهور يقدر بسبعين ألفاً، ثم بعد دقائق شعرت في بيتها بالوحدة والقلق، فما زال ينقص حياتها

(١) نقلاً عن موقعها الشخصي على شبكة الإنترنت:

(www.kristianebacker.com)

شيء مهم تفتقده مع كثيرين ممن يشاركونها عالم الشهرة، ثم انتهى بهم الحال إلى أن أصبحوا زبائن مواطنين على عيادات الطب النفسي، قبل أن تضج القنوات والصحف العالمية بأخبار انتحارهم أو وفاتهم بسبب جرعة زائدة من الأدوية المهدئة والمنومة، فقد افتقدوا جميعاً السعادة وراحة البال وطمأنينة النفس والتصالح مع الذات التي خلقها الله لعبادته، فأفنوها في حياة المتع والشهوات^(١).

شعرت كريستيان أنه لا جدوى في حياة هؤلاء وأمثالهم وحواشيهم، ولا ثمرة ترتجى في وجودها بينهم، كما احتقرت صناعة الإعلام التي تهدر كرامة المرأة من خلال تسويق الجنس والتركيز على ثقافة الترفيه، والتهتك بارتداء الملابس التي ما تزال تقصر وتقصّر حتى لم يعد بالإمكان تقصير شيء منها، فقد خرجت عن كل حدود الحشمة والأدب.

على متن الطائرة التي تقل كريستيان لتصوير حلقة من برنامجها في بلجيكا همهمت في نفسها: لو سقطت الطائرة بي لن أهتم لذلك كثيراً.

لقد فقدت لذة الحياة، ولم يستطع البذخ والشراء والنجومية أن يضمنوا لها مكاناً في قائمة السعداء، فحياتها لا مغزى لها ولا معنى، وكما تقول: إن في الروح فراغاً لا يملؤه إلا معرفة الله تعالى والأنس به: «لقد كنت في القمة،

(١) انظر المصدر السابق.

ولكن كانت تجربة محطمة للروح... لم أستطع أن أستمّر»^(١).

لم تكن كريستيان تعرف عن الإسلام أكثر من بعض المعلومات السخيفة التي تعودنا على سماع طينها من الطاعنين في الإسلام، الذين دأبوا على اتهمه بالانغلاق وعدم التوافق مع الحياة العصرية، وأنه دين تقوم مبادئه على اضطهاد المرأة وقتل الناس، وأنه يناهض الحريات العامة، وتقويض النموذج الغربي الحضاري بكل مكوناته.

في عام ١٩٩٢م ، التقت كريستيان في لندن نجم الكريكت العالمي عمران خان، فكان أول مسلم تلتقيه في حياتها، ومنه تعرّفت على الإسلام لأول مرة، وقد حدثها عمران عن الله رب الكون وخالقه، الرب الذي يحب المؤمنين ويحبونه، فيجعلونه بؤرة حياتهم وغايتها.

ثم سافرت كريستيان إلى باكستان، وزارت مشروع عمران خان لبناء مستشفى خيري كبير لمعالجة فقراء مرضى السرطان في لاهور، ورأت في جهود عمران - والمتطوعين معه - نبلاً وإنسانية، ثم تجولت في شوارع لاهور، وتحدثت مع المسلمين بمختلف مراتبهم العلمية والمادية، والتقت أناساً فقراء لكنهم سعداء، بسطاء لكن نور الله - كما تصف كريستيان - يظهر على محياهم،

(١) اعتمدتُ في كثير من معلوماتي عن قصة إسلام كريستيان على مقابلاتي لها شخصياً في أستانا بتاريخ ٢٠١٢/٥/٣٠م، وقد زودتني بملف «وورد»، ضمّته الكثير مما نثرتُ ملخصه بين يدي القارئ.

أناس كرماء يسعون جميعاً لغاية وهدف أعلى هو رضا الله تعالى، يأكلون باسمه، ويشربون باسمه، وتدور حياتهم حول مرضيه، يعبدونه في كل حركة وسكنة في حياتهم. صدمة ثقافية أصابت كريستيان وهي تقارن بين مسلمات الباكستان وأولئك اللاتي عرفتهن في حياتها؛ نساء ثريات تثقلهن الحللي والضغوط، يقضين حياتهن في التردد على عيادات التجميل وإجراء عمليات الشد والنفخ والترميم والشفط والتكبير والتصغير؛ تقول: «كنت دائماً أعود بتفكيري للوراء إلى تلك المشاهد الهستيرية الجامحة التي عايشتها بانتظام، عندما كنتُ أقدم البرامج والعروض الموسيقية على الهواء، وكنتُ أشاهد الفتيات الصغيرات يفقدن وعيهن من الإثارة عند رؤية نجم البوب المفضل لديهن على مسرح العرض، هل كان هذا الافتتان أو الهيام يقارب العبادة؟ أمّا السؤال الأهم من ذلك فهو: هل كنتُ الأداة الميسرة والمحرضة على ذلك؟».

ثلاث سنوات تلت؛ قضتها كريستيان في التنقل بين عواصم الدول الإسلامية (إسلام أباد - اسطنبول - سراييفو - الرباط - الدوحة ..)، أعجبت خلالها - وهي المعنية بالفن - بما تسميه: (الموسيقى الصوفية) لشعر المدائح، وبهرها ما أنتجته الحضارة الإسلامية من روعة البناء في المساجد العتيقة، كمسجد ابن طولون في القاهرة، والأموي في دمشق، والأزرق في تركيا، وقصر الحمراء في غرناطة، وحديقة المنارة في مراكش، ودار في

خَلَدَهَا أَنْ هَذِهِ الْحَضَارَةُ - وَلَا بَد - نَتَاجُ دِينِ عَظِيمٍ .
 حَتَّى تَقِفَ كَرِيسْتِيَانِ عَلَى بَاعْثِ هَذِهِ النُّهْضَةِ وَيَنْبُوعِهَا ؛
 قَرَأْتَ تَرْجُمَةَ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَعْضَ الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،
 وَمِنْ أَهْمِهَا : «الطَّرِيقُ إِلَى مَكَّةَ» لِلدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ أَسَدٍ ،
 وَ«الْإِسْلَامُ وَمَصِيرُ الْإِنْسَانِ» لِلدَّبْلُومَاسِيِّ الْبَرِيطَانِيِّ الْمَهْتَدِيِّ
 غَايِ إِيْتُونِ ، وَ«النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ وَفَقْهُ لِمَصَادِرِ أَقْرَبَ» لِلْمَهْتَدِيِّ
 مَارْتِنِ لِينْغَسِ .

لَفَتَ نَظَرَ كَرِيسْتِيَانِ فِي الْإِسْلَامِ أُمُورَ مُهِمَّةٍ ، يَجْمَلُهَا أَنَّ
 اللَّهَ إِلَهَ وَاحِدٍ ، يُعْبَدُ مَبَاشَرَةً مِنْ غَيْرِ وَسَطَاءٍ ، وَأَنَّ الْعِبَادَ
 مَسْئُولُونَ عَنْ أَفْعَالِهِمْ ، وَغَيْرُ مُحَاسِبِينَ عَنْ خَطِيئَةِ آبِيهِمْ
 آدَمَ ، كَمَا أَدْهَشَهَا مَا فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ مِنْ إِعْجَازٍ عِلْمِيِّ
 يَدْفَعُ قَارِئَهُ إِلَى التَّسَاوُلِ الْمَمْزُوجِ بِالْدَّهْشِ عَنْ مَصْدَرِ هَذِهِ
 الْمَعْطِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي يَنْطِقُ بِهَا رَجُلٌ أُمِّيٌّ عَاشَ قَبْلَ تَفْجُرِ
 الثَّوْرَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِمَا يَرَبُو عَلَى عَشْرَةِ قُرُونٍ .

أَعْجَبَهَا فِي الْإِسْلَامِ مَفْهُومُهُ لِلْمَغْفَرَةِ ، وَحُثُّهُ عَلَى التَّوْبَةِ ،
 وَتَسَامِيهِ عَلَى فِكْرَةِ الْإِزَامِيَّةِ الْعَقُوبَةِ عَلَى السَّيِّئَةِ ، لِيَحْوِلَهَا
 وَيَبْدِلَهَا إِلَى حَسَنَةٍ يَنْعَمُ بِهَا الْمُؤْمِنُ فِي سَجَلَاتِهِ ؛ بَدَلَ أَنْ
 يَحْمَلَ وَزْرَهَا ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا
 يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ
 وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
 حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٠ ﴾ (الفرقان) .

ورأت كريستيان أن الإسلام يجيب عن أسئلة لطالما أرهقها التفكير فيها: من أنا؟ ولماذا وجدت؟ وما المطلوب مني؟ وإلى أين المصير؟ «من يبحث عن إجابات الأسئلة الجوهرية الكبيرة.. وعن ممارسات روحية يسيرة الفهم والتطبيق، الإسلام طريق رائع له».

أعجب كريستيان قول الشيخ عبد القادر الجيلاني: «إن الله ينظر إلى قلبك؛ لا إلى صورتك، ينظر إلى ما وراء الثياب والجلود والعظام، ينظر إلى خلوتك، لا إلى جلوتك»، وهذه «الفكرة- كما تقول كريستيان- تركت صدى عميقاً في حياتي، وجعلتني أدرك أنني أمضيت سنوات في الإفراط مشغولة بمظهري كما تُملي عليّ طبيعة عملي، ورأيت أنه ينبغي علي أن أكون جيدة، وليس فقط أن أبدو جيدة».

بدأت كريستيان تستجيب لهدي القرآن، وتغير من نمط حياتها وطريقة تفكيرها، فقد تعلمت من القرآن عدم الاستسلام للضغوط التي لا تقدر على مواجهتها: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وتعلمت من المسلمين أن يفعل المرء وُسْعَه، ثم يرضى إذا ما سارت الأمور على غير مراده ومشتهاه.

ووصل التغير إلى ملابس كريستيان، فطالت بعد قصر، واتسعت بعد ضيق، وظهرت عليها مظاهر هي أقرب للوقار والحشمة، و«استيقظ الضمير، وصرت أُمَيِّر بين الخير والشر»، ورأت في ذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿سَرِيهَمْ عَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)،

فالله يجعل في أنفسنا أدلة تدلنا عليه وعلى محبوباته.
كما بدأت كريستيان في تغيير نوعية البرامج التي تقدمها في (MTV)، فاتجهت من البرامج الترفيهية العبثية الهابطة إلى البرامج الهادفة التي تُعنى بقضايا البيئة والعلاقات المجتمعية والصحة وغيرها مما يبني في المجتمع ولا يهدم. هذا التغير في سلوك كريستيان وبرامجها ؛ قرأته وسائل الإعلام الغربية بطريقة سلبية، إذ بدأت تهمهم بإسلام كريستيان، وقد سئلت في أحد البرامج التلفزيونية: هل أنت مسلمة؟ فأجابت: لا، ولكن قلبي مسلم «وكانت تلك هي الحقيقة».

هذه الإجابة جعلت كريستيان - التي لم تسلم بعد - في مرمى نيران الصحافة الألمانية ووسائل الإعلام الأوربية التي أوسعت مساحة كبيرة للتهكم على كريستيان التي قد تصبح مسلمة إرهابية، وتقدم برامجها وهي محجبة، وكل ذلك لم يمنع كريستيان من التقدم إلى الإسلام رويداً رويداً. ضغط الإعلام عليها دفعها للجوء إلى الصلاة، فصلّت لله لأول مرة بصلاة المسلمين، وشعرت بأهميتها في جلاء الروح وتثبيت النفس، وتطهير داخل الإنسان: ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

أيام معدودات ثم أصبحت بعدها كريستيان مسلمة، وشهدت بالتوحيد في أحد مساجد لندن في أبريل ١٩٩٥م،

وسرعان ما طُردت من وظيفتها بعد سبع سنوات من التألق
والنجومية الزائفة.

وزاد الإعلام في وتيرة الإساءة إليها؛ بغية تشويه صورتها
عند جمهورها، واستعدائه عليها .. ثم فاجأها المهتدي غاي
إيتون بأن ما تتعرض له من هجمة إعلامية ليس مفاجئاً له،
فهو ضريبة الإيمان الذي اعتنقته، وهو اختبار من الله،
ودليل على محبته لها، «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن
رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»^(١)، فكانت
كريستيان بعدها تتعزى بقول النبي ﷺ لما رجع من
الطائف: «إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي»^(٢).

واصلت كريستيان إبحارها في بحور الإيمان، متخطية هذه
الصعاب «الإسلام كنزي الأثمن، وهو مصدر قوتي، وهو سيلي
إلى السماء، أنا سعيدة وراضية، أياً كانت الأمور السيئة التي
ستواجهني في حياتي».

وتقول: «لم أشعر أبداً بأي ندم على اعتناق الإسلام
رغم الهجوم الذي تعرضت له من الإعلام الألماني، ووقف
برنامجي في قناة (MTV) الموسيقية، وطردي من العمل فيما
بعد، إيماني ساعدني على تخطي الأوقات الصعبة ، ولم
أشعر بالندم على ضياع النجومية والمال»^(٣).

في سنة ٢٠٠٥م حجت كريستيان إلى بيت الله الحرام،

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٣٩٦)، وابن ماجه ح (٤٠٣١).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٢/٢٦٨).

(٣) في مقابلة قناة الجزيرة، برنامج بلا حدود، ٢٥ من أغسطس ١٩٩٥م.

ثم كتبت كتابين مهمين، أشهرهما كتابها «من MTV إلى مكة»، وهو ليس دعاية فارغة لمعتنق جديد للإسلام، بل دراسة نقدية وحوار صريح مع الذات ، تعزو فيه إسلامها إلى ما وجدته في الإسلام من قيم يجهلها الغربي القابع خلف أسوار سوء الفهم المتعمد للإسلام، كما تبحث في كتابها المشكلات التي تعترض المسلم الجديد في واقعه الأسري والمجتمعي، وقد كتبه بالألمانية، ونشر أيضاً بالإنجليزية والهولندية، وهو بصدد النشر قريباً بالعربية والأندونيسية والماليزية والتركية.

وأما كتابها الثاني فهو «الإسلام نهج الفؤاد» ، وتقرر فيه - مستدلة بآيات القرآن الكريم واجتهادات العلماء والمفكرين المسلمين - أن الإسلام دين متسامح منفتح في علاقاته مع الآخرين، وأنه الدين الذي بمقدوره إسعاد البشرية في دنياها وأخرها.

ما تزال كريستيان تستغل خبرتها الإعلامية في شرح الإسلام عبر المشاركة في البرامج الإعلامية في القنوات الأوروبية، كما تدير جمعية خيرية لمساعدة الفقراء، إضافة إلى اهتمامها بمسألة الحوار الديني والحضاري.

نسأل الله لنا ولها الثبات على دينه.

يوشع إفانس

يوشع إفانس^(١) شاب أمريكي مولود في عائلة نصرانية متدينة محافظة، تسكن ولاية كارولينا جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، وتولى جداه تربيته تربية محافظة، جعلته من المداومين على الذهاب إلى الكنيسة الميثودية، والمشاركين في أنشطة الجمعيات النصرانية الشبابة التي تنظم الرحلات والمخيمات والبرامج الرياضية والوعظية. توطدت العلاقة بين يوشع إفانس وواعظ كنيسته الشاب الذي يدرس اللاهوت في جامعة «بوب جونز»، حيث اعتاد يوشع معاونته في إنجاز واجباته الدراسية، وبخاصة في مواد النقد النصي الكتابي التي تبحث في مخطوطات الكتاب المقدس، مما مكّنه من الإلمام باللغات القديمة للكتاب: العبرية واليونانية.

اتفق يوشع إفانس مع صديقه الواعظ على قراءة الكتاب المقدس، إذ كانا يعتبرانه رسالة الله إلى البشرية، ومن اللائق بهما - وهما المتدينان - أن يقرأ هذه الرسالة من أولها إلى آخرها؛ لا أن يكتفيا بترديد أو سماع المقاطع التي يقولها الوعاظ في الكنائس.

في قراءته لأول سفر من أسفار الكتاب؛ تلقى يوشع صدمته الأولى وهو يقرأ في سفر التكوين التوراتي أن نبي

(١) اعتمدت في قصة يوشع على محاضراته عن قصة إسلامه المنشورة في موقعه الإلكتروني (www.yushaevans.com).

الله نوحاً - وحاشاه عليه السلام - كان مدمن خمر (انظر التكوين ٢٠/٩ - ٢٧)، وإفانس يرى أن مدمن الخمر لا يصلح للعمل في مطعم لبيع البرجر؛ فضلاً عن أن ينقذ البشرية من طوفانٍ عرمرم، وتساءل يوشع: كيف للرب أن يخلص بوحيه رجلاً سكيراً؟

توالت الصدمات تترى على يوشع كلما قلب صفحات كتابه المقدس، فلكل نبي من أنبياء الله الكرام في الكتاب المقدس سقطة، وأية سقطة!! فالأسفار التوراتية لا ترى حرجاً في نسبة القبائح إليهم.. قبائح يتنزه عنها سفهاء الناس، فضلاً عن أفاضلهم، كيف يصدق عاقل أن نبي الفضيلة لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه بعد أن أسكرتاه وهو لا يعلم؟ (انظر التكوين ٣٠/١٩ - ٣٧)، وكيف يصدق ما يقال عن إخوانه من الأنبياء في سفر التكوين التوراتي؟

لكن قصة داود عليه السلام في (صموئيل (٢) ٢/١١ - ٢٦) كانت القاصمة التي ألقت بثقلها على عقل وعاطفة يوشع أفانس، فقد كان معجباً بشخص داود عليه السلام وبطولاته، ففاجأه كتابه المقدس بتلك القصة المشينة التي تزعم - زوراً - أن داود عليه السلام - وحاشاه - زنى بزوجة قائده أوريا الحثي، ثم قتله خشية افتضاح أمره!! فكيف ينسجم أن يكون هذا المتآمر القاتل الزاني نبياً يوحى إليه الله معاني العدل والفضيلة ليعلمها الناس!؟

تأكد يوشع أن في قصص التوراة عن هؤلاء الأنبياء الكثير مما لا يمكن أن يكون صحيحاً، فلجأ إلى قس

كنيسته يستجدي منه ما يحفظ المتبقي من إيمانه، فسمع الجواب الصاعق: يا بُنَيَّ لا تدع أشياء بسيطة تحطم إيمانك، خلاصك بالإيمان، وليس بالمعرفة .. يا بُنَيَّ قصص العهد القديم تحكي عن بني إسرائيل وهم قساة القلوب، اتركها، وتحول إلى العهد الجديد، فستكون الحال أفضل.

إلّهم يوشع صفحات العهد القديم لينتقل إلى العهد الجديد، حيث ظن أن الحال سيكون مختلفاً، لكن صدمته كانت أكبر، وفاجعته كانت الأقسى، فالأنجيل الأربعة تُنسب إلى (متى ومرقس ولوقا ويوحنا)، ولا يستطيع أحد على وجه الأرض تقديم معلومة موثقة عن هؤلاء المؤلفين الذين يُزعم أنهم يكتبون وحي الله، وهم لم يدعوا ذلك.

لكن الأمر الإيجابي الذي لحظه يوشع هو أن الأنجيل تقرر - كما التوراة - عقيدة وحدانية الله تعالى وعبودية المسيح له، وتندد بالشرك، وتعتبره أحد أكبر الآثام والذنوب، وهو ما يتعارض تماماً مع المعتقدات التي ألف القسس تردادها في الكنيسة، فأَي توافق يرتجى بين عقيدة التثليث وقول المسيح بحسب إنجيل (يوحنا ١٧/٣): «الحياة الأبدية أن يعرفوك: أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته»، فالتثليث الكنسي يدعو إلى عبادة ثلاثة آلهة، بينما المسيح كان يدعو إلى عبادة الله وحده.

ولاحظ يوشع أن المسيح عليه الصلاة والسلام دعا مراراً - بحسب الأنجيل - إلى الالتزام بشرائع التوراة والعمل بها؛ منها قوله: «لا تظنوا أنني جئت لأنقض

الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض؛ لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات» (متى ١٧/٥ - ١٩).

وهذه الوصية تخالف ما جاء في رسائل بولس الإنجيلية التي تلغي الشريعة الإلهية، لأن المسيح غدا «مبطلاً بجسده ناموس الوصايا» (أفسس ١٥/٢)، وتعتبر الرسائل البولسية الشريعة الموسوية عديمة النفع «فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمل شيئاً، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به تقترب إلى الله» (عبرانيين ١٨/٧ - ١٩)، وغير قادرة على خلاص المؤمنين «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة.. ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله» (غلاطية ١٠/٣ - ١١).

أمام كل هذه المفاجآت، ترنح إيمان يوشع، ولم يجد معه نفعاً قول قس الكنيسة: «يوشع، أنت تغوص في مياه عميقة.. أنت الآن بدأت تشك في العهد الجديد، ربما أصابك مس من الشيطان».

تساءل يوشع: إذا كان القس لا يملك جواباً، فلم لا أجرب أستاذ اللاهوت؟ وتوجه مع صديقه الواعظ إلى

جامعة «بوب جونز» ليحظى هذه المرة بإجابة وافية، لكنها كانت كارثية، فقد أخبره البرفسور المتخصص في تعليم الكتاب المقدس أن هذا الكتاب من تأليف البشر، وأنه تعرض على مرّ العصور إلى التحريف والتبديل بسبب تدخلات النساخ وأخطائهم وخلفياتهم الدينية.

ولم ينس البرفسور - في خاتمة اللقاء - تقديم بعض المواعظ التي تشبه الشنشنة البالية التي كثيراً ما سمعها من القسس في الكنيسة: يا بُنَيَّ، استمسك بالإيمان، فما يقدر العقل على معالجة مثل هذه الأمور.

كلمات خرقاء بلهاء مجّها عقل يوشع الذي قرر ترك المسيحية وكتابها المليء بالأخطاء، وشرع في البحث عن الدين الحق، من خلال دراسة كتب الأديان المختلفة، وعرضها على عقله، إذ رأى أن الكتب المقدسة فقط هي المعيار الصحيح الذي ارتآه للحكم على الأديان، فدرس يوشع كتب الهندوسية والبوذية والكونفوشوسية والطاوية وغيرها من الأديان التي أقنعتة جميعاً ببطلانها، وأوصلته إلى الإلحاد والغضب من الإله الذي جهد في البحث عنه ولم يساعده، ليبدأ في حياة اللهو والطيش والحفلات الماجنة.

دين واحد لم يقرأ يوشع كتابه، إنه الإسلام الذي لم يجد أدنى دافع للقراءة عنه.. كان يظن أنه يعرف كل شيء عنه، فقد قرأ إبان دراسته كتاباً بعنوان: «لماذا لا أريد أن أصبح مسلماً؟»، وكما هو ظاهر من عنوانه، فالكتاب من تأليف شخص كاره للإسلام، وهو مليء بالأفكار المغلوطة

عن الإسلام والمسلمين؛ إذ يزعم مؤلفه أن الإسلام دين خاص بالعرب، يعبدون صندوقاً أسود في الصحراء، وأنهم يضطهدون المرأة، ويقتلون من خالف دينهم.. إلى غير ذلك من الترهات التي تضحك لها الثكلى؛ مما تمتلئ به كتب الغربيين عن الإسلام.

تعرف يوشع على صديق مسلم دعاه لزيارة المسجد في يوم الجمعة، فزاره متوجساً مرتاباً في كل ما يحدث حوله، فالخطيب يخطب بالعربية، فلعله يحدث هؤلاء المسلمين عن قتله .. فكر بالهرب من المسجد، وأخذ يُعُدُّ الأشخاص الذين يحوّلون بينه وبين الباب، ويرسم خطته للتغلب عليهم، وقبل أن يشرع بالتنفيذ؛ بدأ الخطيب يترجم خطبته إلى الإنجليزية، فيحدث مستمعيه عن الله الواحد عز وجل خالق السماوات والأرض، خطبة أشعرته بأنه كان - طوال سنين - ضحية مؤلف أرعن لم يرع أمانة القلم.

التف المصلون حول يوشع بعد صلاة الجمعة، فكل يطمع في الأجر.. يريد تعريفه بالإسلام، فاكتمى بسؤالهم: هل لديكم كتاب تؤمنون به؟ فأعطوه القرآن، وأرادوا أن يشرحوا له، فأجابهم: أرجوكم دعوا كتابكم يتحدث عن نفسه.

رجع يوشع إلى بيته ، وشرع في تلك الليلة يقرأ القرآن من أوله ، يصف يوشع تلك الليلة، فيقول: «أعطيت قلبي للقرآن في تلك الليلة، في غرفتي، بكيت وبكيت، لأنني كنت أبحث عن الحقيقة كل هذا الوقت»، إنه كتاب يتحدث عن الله عز وجل وعن أنبيائه الكرام (إبراهيم ولوط

وموسى وداود وعيسى)، أسماء يعرفها يوشع جيداً، إنها ذات الأسماء التي أساء إليها العهد القديم، لكن القرآن يضعها في محل القدوة والأسوة، فهنا شيء مختلف عما في التوراة ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٨٩) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فِهُدَاهُمْ أَقَدَرُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٩٠) (الأنعام).

أعجبت يوشع قصة المسيح عليه السلام في القرآن، وكانت «أجمل قصة سمعتها في حياتي»، ورأى في كلام المسيح في المهد برهان براءة مريم العذراء البتول من اتهام اليهود المشين لها، ذلك البرهان الذي غاب عن أسفار الكتاب المقدس، فلا يجد قارئه ما يبرئ البتول ويفند إفك اليهود عنها.

وخلال ثلاثة أيام، أنهى يوشع قراءة القرآن كاملاً، ورأى فيه مضامين الفضيلة وحقائق الهداية، وفي الجمعة التالية في شهر ديسمبر من عام ١٩٩٨م، أعلن يوشع إسلامه، وشهد لله وبالوحدانية، ولنبه الخاتم بالرسالة والنبوة، وانظم إلى قوافل المؤمنين.

منذ أسلم يوشع، لم يفتر عن التعريف بالإسلام من خلال موقعه المعلنون باسمه (www.yushaevans.com)، ومن خلال جولاته حول العالم، وهو لا يسأم فيها ولا يمل من حكاية تفاصيل قصة هدايته، لا بقصد التسلية، بل

«لأجعل الجميع يدركون أن هناك ملايين وملايين من الناس مثلي، يبحثون عن الحقيقة ولا يجدون طريقاً لذلك.. يبحثون عن الحقيقة، وقد سئموا تلك التفاهات التي تُلقى عليهم مراراً وتكراراً، سئموا من صندوق الشيطان يملي عليهم تلك الأكاذيب، سئموا من كون العالم وحياتهم في هذه الحالة المزرية .. نحن المسلمين نملك كل الحلول لكل مشكلة من مشاكلهم، لكننا نخفيها عنهم في المسجد».

ويضرب يوشع مثلاً بمشكلة الاقتصاد الأمريكي الذي يتآكل - وبخاصة في قطاعي المصارف والإسكان - بينما تشير الأرقام إلى ثبات وصعود بطيء ومستمر للسوق المصرفية الإسلامية وسوق الإسكان الإسلامية، مما دفع الاقتصاديين لدراستهما وأخذ العبرة منهما، وأخيراً بدأوا يعرفون أن الإسلام فقط هو القادر على حل مشكلاتهم.

ويؤكد يوشع على أهمية إسهام المسلمين في استنقاذ ما يمكن إنقاذه من الملايين التائهة الحائرة، ويرى أن تقصيرنا في أداء البلاغ والتعريف بالإسلام خيانة لكل الباحثين عن الحق، ولن تشفع لنا عند الله الأعذار التي نعتذر بها لأنفسنا، حين نتذرع تارة بضيق أوقاتنا، وأخرى بافتراضنا أن الناس لن يستفيدوا من قبس النور الذي نحمله .. إلى غير ذلك من التبريرات الباردة التي لن ترفع عنا أمانة البلاغ.

لم يتقاعس يوشع عن السعي في استنقاذ من يقدر على إنقاذه ، فأسس مشروعاً يوزع فيه أسطوانات (DVD)،

يُعرِّف فيها بتجربته مع الإسلام، ويجيب عن الأسئلة التي
تدور في أذهان الغربيين عن الإسلام، وهو جهد شخصي،
لكنه مؤثر ، إذ يسلم بسببه شخصان في كل شهر.
نسأل الله أن يبارك في جهوده، وأن ينفع به كل ظامئ
إلى الحق.



خاتمة وأبرز النتائج

في خاتمة تطوافنا مع هؤلاء الأماجد الذين أكرمهم الله بأنوار هدايته والولوج إلى دينه؛ نخلص إلى نتائج، أهمها:

• الإسلام دين الله، وخاتمة رسالاته، الذي ارتضاه الله للبشرية ديناً، وبه تمت النعمة، وكملت الشريعة، وضمن الله للمؤمنين به سعادة الدنيا والفلاح في الآخرة ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

• الإسلام وحده هو الذي يجيب عن أسئلة الإنسان ويزيح حيرته في فهم الحقائق الكبرى للكون، وهو الذي يوائم في معتقداته وشرائعه بين توأم العقل الصحيح والروح السامية، فيقدم برهانه ودليله بما تقوم به حجة الله على جميع خلقه؛ رغم تباين ثقافتهم وطرائق تفكيرهم، يقول البروفسور إدوارد مونتيه: «الإسلام في جوهره دين عقلي، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية. فإن تعريف الأسلوب العقلي Rotionalism بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق عليها تمام الانطباق.. ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا»^(١).

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص (٤٥٥)، نقلاً عن

" La propaganda chrétienne et ses adversaries musulmans"

• الإسلام فقط هو من يجمع لأتباعه بين خيري الدنيا والآخرة، وهو فقط من يوازن بين حاجات الروح ومتطلبات الجسد، وهو فقط من يجيب عن الأسئلة الفطرية التي تختلج بين جوانحنا.

• الأديان لا تدخل إلى القلوب بقوة السيف والحديد، وتاريخنا الإسلامي الناصع لم يسجل في واحد من أسفاره إجبار أحد على الدخول في الإسلام، وما من عاقل يقبل دعوى انتشار الإسلام بحد السيف التي يكذبها التاريخ في القديم والحديث، وبخاصة في عصرنا الذي يشهد تسابق الناس إلى الإسلام رغم ضعف المسلمين وعجزهم عن حماية المسلمين الجدد؛ فضلاً عن إجبارهم على الدخول في الإسلام.

• الإحصاءات العالمية في مختلف بلدان العالم تؤكد أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في العالم، والناس يدخلون فيه أفواجا، رغم التخلف التقني المريع للمسلمين في كثير من بقاع العالم، والمسلمون مدعوون اليوم إلى الأخذ بزمام التقنية الحديثة، وتسخيرها في بلاغ الدين إلى العالم الكبير الذي يغلب على سكانه «الأمية الدينية» لعدم سماعهم بالإسلام جملة وتفصيلاً.

• انتشار الإسلام وسؤدده في الأرض قدر الله الغالب، لا يتأثر بضعف المسلمين ولا تقصيرهم في الدعوة إلى دينهم، كما لا يقدر كيد الكافرين ومكرهم الليل والنهار على إيقاف أمواجه ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ (التوبة).

• ما يتعرض له الإسلام اليوم من استهداف لنبیه وكتابه وأصوله وفروعه عبر الهستيريا التي تجتاح الإعلام الموجه الذي يكرس «الإسلاموفوبيا»؛ هو محاولات في الوقت الضائع لإقامة السدود بين الإسلام والظالمين إليه، والشمس لا تحجب بالغربال، والواجب على المسلمين تصحيح الصورة النمطية عن دينهم والذّب عنه، والبعد عن المواقف الطائشة والتصرفات المتشنجة التي تجعلنا ممن قال فيهم ﷺ: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين»^(١)، وهؤلاء يأمرهم النبي ﷺ: بإراحة الآخرين من إفسادهم: «تكف شرك عن الناس؛ فإنها صدقة منك على نفسك»^(٢).

• المسلم الجديد غالباً ما يتعرض للاضطهاد من أهله ومجتمعه، والواجب على الهيئات الإسلامية رعايته مالياً واجتماعياً وصون حقوقه، والمحافظة عليه: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره»^(٣).

• الهجمة السافرة التي يتعرض لها الإسلام محنة، لكنها لا تخلو من منحة، فقد تساءل الكثيرون عن سر هذه

(١) أخرجه البخاري ح (٧٠٢)، ومسلم ح (٤٦٦).

(٢) أخرجه مسلم ح (٨٤).

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٥٦٤).

الهمة، فقادهم التساؤل إلى رحاب الإسلام العظيم.

- المسلمون الجدد يفتنون إلى الإسلام من كل صقع، يجمعهم جميعاً جذُّهم في البحث عن الحقيقة، وتشوفهم إليها، ورحمة الله الذي هداهم إلى الحق الذي اختلف فيه الناس، ثم أعانهم على اتخاذ قرارهم الشجاع باعتماد الإسلام ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ اللَّهُ هَدًىٰ لِّأُمَّةٍ فَلَا تُبَدِّلُهَا ۚ وَأَلْهَدَىٰ اللَّهُ ضَلٰلًۭةً لِّأُمَّةٍ فَلَا تُبَدِّلُهَا ۚ وَأَلْهَدَىٰ اللَّهُ هَدًىٰ لِّأُمَّةٍ فَلَا تُبَدِّلُهَا ۚ وَأَلْهَدَىٰ اللَّهُ ضَلٰلًۭةً لِّأُمَّةٍ فَلَا تُبَدِّلُهَا ۚ﴾ (آل عمران).

- المسلمون الجدد لم يكونوا في يوم ما ضيوفاً على المجتمع المسلم، بل كانوا أرباب البيت وحراسه، فقد جردوا معارفهم وخبراتهم القديمة للدعوة إلى الإسلام بحماسة من عرف الجاهلية ثم ذاق حلاوة الإسلام، فأبلوا بلاء حسناً، وكان منهم الدعاة المبرزون الذين اهتدى الألوف على أيديهم.

- الدعوة إلى الإسلام هي واجب الجميع، كل بقدر طاقته، وقد كانت حماسة عوام المسلمين لدينهم سبباً رئيساً في انتشار الإسلام، وكما قال توماس أرنولد: «سارت الدعوة الإسلامية قُدماً في حماسة بالغة، فقد كان كل مسلم ساذج أُمِّي، داعية إلى دينه، وعجزت القبائل الفقيرة الجاهلة الأمية من الوثنيين أو أشباه الوثنيين عن أن تقاوم هؤلاء الدعاة... يتحولون إلى الإسلام، ثم يعودون إلى قراهم حُمساً يجلبون معهم أفكاراً إسلامية يكون لها

أثرها في بيوتهم»^(١).
والله نسأل أن يستعملنا في الدعوة إلى دينه، وأن يرزقنا
القبول والأجر وخالص العمل، وصلى الله على نبينا
محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص (٢٨١).

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- كتب السنة النبوية
- الكتاب المقدس (نسخة الفانديك)
- أحمد فارس الشدياق، محمد الهادي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م.
- الإسلام كبديل، الدكتور مراد هوفمان، مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد المقرئ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- أوروبا والإسلام، د. عبدالحليم محمود، ط ٤، دار المعارف.
- تاريخ عمر، ابن الجوزي، تحقيق: علي محمد عمر، دار البيان العربي.
- تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.
- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- حوار مع الأستاذ رجاء جارودي، عدنان سعد الدين، ط ١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، نسخة إلكترونية.
- الدعوة إلى الإسلام، السير توماس أرنولد، تعريب: الدكتور حسن إبراهيم حسن، والدكتور إسماعيل النحراوي، والدكتور عبد المجيد عابدين، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م.
- رحلتي من الشك إلى الإيمان، د. مصطفى محمود، ط ٥، دار المعارف.
- رحلتي من الكنيسة إلى المسجد. لماذا؟، ماري ويلدز [بدون معلومات نشر].
- الساق على الساق في ما هو الفاريق، أحمد فارس الشدياق، طبعة باريس ١٨٥٥م/١٢٧٠هـ.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ١٤١١هـ.
- شمس العرب تسطع على الغرب، زيجرد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، ط ١٠، دار صادر، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- الصراع من أجل الإيمان، الدكتور جفري لانغ، تعريب: منذر العبسي، ط ٦، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م.
- الطريق إلى مكة (الإسلام)، محمد أسد، تعريب: محمد البعلبكي، ط ٩ دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.
- الطريق إلى مكة، الدكتور مراد هوفمان، ط ١، دار الشروق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- الغفران بين المسيحية والإسلام، إبراهيم خليل أحمد، ط ١، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

- فتوح البلدان ، البلاذري ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة.
- فتوح مصر، لابن عبد الحكم، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- قصة الحضارة، وول ديورانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي ، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- كنت نصرانياً، عبدالله سعد (واصف الراعي)، بدون معلومات نشر.
- لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، رجاء جارودي، إعداد: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة.
- لماذا قبلت الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد)، د. خالد حامدي فلاح، ط ٤، إدارة شهادة حق، دلهي، ٢٠٠٩م، الكتاب باللغة الهندية.
- الله واحد أم ثالث؟ د. محمد مجدي مرجان، ط ٢، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- لهذا أسلمت (رحلة البحث عن معنى)، نوح كلر، ط ١، دار السلام للطباعة والنشر، عمان، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- مالكوم إكس (سيرة ذاتية)، إليكس هالي، ترجمة: ليلي أبو زيد، ط ١، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ١٩٩٦م.

- محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، د. إبراهيم خليل أحمد، ط دار المنار، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- محمد رسول الله ﷺ، ناصر الدين دينيه، وسليمان بن إبراهيم باعامر، ترجمة: د. عبدالحليم محمود، وابنه محمد، مكتبة نهضة مصر.
- المسيح إنسان أم إله؟ د. محمد مجدي مرجان، ط ٢، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- محاحكات التأويل في مناقضة الإنجيل، أحمد فارس الشدياق، تحقيق: د. محمد أحمد عمايرة، ط ١، دار وائل، عمان، ٢٠٠٣م.
- المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة، محمد زكي الدين النجار، دراسة وتعليق: محمد بن عبدالله السحيم، بدون معلومات نشر.
- المناظرة بين الإسلامية والنصرانية، ط ٢، طبع بإشراف الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، مكتبة دار خزيمة، الرياض، ١٤١٢هـ.
- موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.
- هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام، محمد عثمان، دار الرشيد، ٢٠٠٤م.
- وعود الإسلام، د. روجيه جارودي، ترجمة: ذوقان قرقوط، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٥م.
- يوميات ألماني مسلم، الدكتور مراد هوفمان، ط ١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

المواقع الإلكترونية:

- www.leveltruth.com
- www.kristianebacker.com
- www.islamstory.com
- www.yushaevans.com

فهرست الموضوعات

الموضوع	ص
مقدمة	٣
لماذا أسلم السابقون إلى الإسلام؟	١١
لهذا أسلم أهل الشام ومصر وسمرقند وسائر البلدان	٢٠
(أحمد) فارس الشدياق	٣٢
البرفسور (عبد الأحد داود) بنجامين ديفيد	٤٢
المستشرق (ناصر الدين) ألفونس إيتين دينيه	٥٠
(محمد أسد) ليوبولد فايس	٥٩
المستشرق (عبدالكريم) جولا جرمانويس	٦٨
(محمد) زكي الدين النجار	٧٧
الدكتور القس إبراهيم خليل فيلبس (أحمد)	٨٥
الدكتور (محمد ضياء الرحمن الأعظمي) بانكي رام	٩٣
(مريم جميلة) مارجریت ماركس	١٠٢
الدكتور المستشار (محمد) مجدي مرجان	١١٠
(الحاج مالك شباز) مالكوم إكس	١١٨
واصف الراعي	١٢٧
(أحمد سامي عبدالله) تناغو سامي قصد الله	١٣٦
الدكتور مصطفى محمود	١٤٤
الشماس (محمد) فؤاد الهاشمي	١٥٣
نوح حاميم كلر	١٦١

١٦٩ الدكتور (عبدالواحد عمر) جاري ملر
١٧٧ الدكتور (مراد) فليفرد هوفمان
١٨٥ (شكران واحدة) ماري ويلدز
١٩٣ البرفسور (رجاء) روجيه جارودي
٢٠١ البرفسور جيفري لانغ
٢١٠ القس (يوسف) جوزيف إستس
٢١٨ المذبة كريستيان بيكر
٢٢٧ يوشع إفانس
٢٣٦ خاتمة وأبرز النتائج
٢٤١ أهم المصادر والمراجع
٢٤٦ فهرست الموضوعات

صدر من هذه السلسلة

- ١- تأملات في سورة الفاتحة د. حسن باجودة
- ٢- الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه أ. أحمد محمد جمال
- ٣- الرسول في كتابات المستشرقين أ. نذير حمدان
- ٤- الإسلام الفاتح د. حسين مؤنس
- ٥- وسائل مقاومة الغزو الفكري د. حسان محمد حسان
- ٦- السيرة النبوية في القرآن د. عبد الصبور مرزوق
- ٧- التخطيط للدعوة الإسلامية د. علي محمد جريشة
- ٨- صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية د. أحمد السيد دراج
- ٩- التوعية الشاملة في الحج أ. عبد الله بوقس
- ١٠- الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره د. عباس حسني محمد
- ١١- لمحات نفسية في القرآن الكريم د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢- السنة في مواجهة الأباطيل أ. محمد طاهر حكيم
- ١٣- مولود على الفطرة أ. حسين أحمد حسون
- ١٤- دور المسجد في الإسلام أ. علي محمد مختار
- ١٥- تاريخ القرآن الكريم د. محمد سالم محيسن
- ١٦- البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام أ. محمد محمود فرغلي
- ١٧- القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته (١) د. محمد الصادق عفيفي
- ١٨- المرأة وحقوقها في الإسلام أ. أحمد محمد جمال
- ١٩- القراءات : أحكامها ومصدرها د. شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠- المعاملات في الإسلام د. عبدالستار سعيد
- ٢١- الزكاة : فلسفتها وأحكامها د. علي محمد العماري
- ٢٢- حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم د. أبو اليزيد العجمي
- ٢٣- الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا أ. سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر د. عدنان محمد وزان
- ٢٥- الإسلام والحركات الهدامة معالي عبد الحميد حمودة
- ٢٦- تربية النشء في ظل الإسلام د. محمود محمد عمارة
- ط١ (١٤٠٤هـ)، ط٢ (١٤٢١هـ).
- ٢٧- مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي د. محمد شوقي الفنجرى
- ٢٨- وحي الله - حقائق وخصائص في الكتاب والسنة د. حسن ضياء الدين عتر
- ٢٩- حقوق الإنسان وواجباته في القرآن أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
- ٣٠- المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية أ. محمد عمر القصار
- ٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته (٢) أ. أحمد محمد جمال

٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الإعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبدالواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابلي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي (١)	د. رفعت العوضي
٤١-	أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبدالرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبدالله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة الحق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني	أ. ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسى
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابلي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٣)	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خليف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين ١ (١٤٠٦ هـ) ، ط ٢ (١٤٢١ هـ)	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن (١)	أ. محمد قطب عبدالعال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين (٢)	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت (١)	أ. أحمد سامي عبد الله

٦٦-	أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة	أ. أحمد عبد الغفور عطار
٦٧-	العدل والتسامح الإسلامي	أ. السيد أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٤)	أ. أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الإنسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	موقف الجمهوريين من السنة النبوية	د. شوقي بشير
٧٢-	الإسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	د. عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم	أ. أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والإسلام	أ. سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	د. علي محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن (٢)	أ. محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت (٢)	أ. أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدرّس القرآن لأبنائنا	د. سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	أ. عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة	أ. أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	أ. صالح محمد جمال
٨٤-	المبادئ الاجتماعية في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥-	التأمر الصهيوني الصليبي على الإسلام	د. عاصم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة بين الزوجين في الشريعة الإسلامية ..	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن عن الإنسان	د. علي محمد حسن العماري
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة	د. محمد الحسين أبوسم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الإسلام	أ. جهمان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الإسلام	أ. سليمان محمد الحميضي
٩١-	دولة الباطل في فلسطين	الشيخ محمد سويد
٩٢-	المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل	د. حلمي عبد المنعم صابر
٩٣-	التجهير الصيني في تركستان الشرقية	أ. رحمة الله رحمتي
٩٤-	الفطرة وقيمة العمل في الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥-	أوصيكم بالشباب خيراً	أ. أحمد محمد جمال
٩٦-	المسلمون في دوائر النسيان	أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧-	من خصائص الإعلام الإسلامي	أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨-	الحرية الاقتصادية في الإسلام	د. محمود محمد بابلي
٩٩-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠-	مواقف من سيرة الرسول ﷺ	أ. الأمين الحاج محمد أحمد

أ. عبد الرحمن خليف	اللسان العربي بين الانتشار والانحسار	١٠١-
السيد هاشم عقيل عزوز	أخطار حول الإسلام	١٠٢-
د. عبد الله محمد سعيد	صلاة الجماعة دراسة فقهية مقارنة	١٠٣-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن	١٠٤-
أ. أنسور الجندي	مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية	١٠٥-
د. شوقي أحمد دنيا	الاقتصاد الإسلامي هو البديل الصالح	١٠٦-
د. عبد المجيد أحمد منصور	توجيه وإرشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	١٠٧-
أ. السيد أحمد المخزنجي	في ظلال سيرة الرسول ﷺ	١٠٨-
د. ياسين الخطيب	المخدرات مضارها على الدين والدنيا	١٠٩-
أ. محمود محمد كمال عبد المطلب	أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١١٠-
د. حياة محمد علي خفاجي	زينة المرأة بين الإباحة والتحریم	١١١-
د. سراج محمد وزان	التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا	١١٢-
أ. عبد رب الرسول سيف	النموذج العصري للجهاد الإسلامي	١١٣-
أ. أحمد محمد جمال	المسلمون حديث ذو شجون	١١٤-
أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز	المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات	١١٥-
د. جابر المتولي قميحة	آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	١١٦-
أ. أحمد بن محمد المهدي	اللباس في الإسلام	١١٧-
أ. ناصر عبد الله العمار	الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	١١٨-
أ. محمد أبو الليث الخير آبادي	أسس النظام المالي والاقتصادي في القرآن	١١٩-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن (٢)	١٢٠-
د. محمد سويد	الإسلام هو الحل	١٢١-
أ. محمد قطب عبد العال	نظرات في قصص القرآن (٣)	١٢٢-
د. محمد بهي الدين سالم	من حصاد الفكر الإسلامي	١٢٣-
أ. ساري محمد الزهراني	خواطر إسلامية	١٢٤-
أ. اسماعيل عبد الفتاح عبدالكافي	الإسلام ومكافحة المخدرات	١٢٥-
أ. صالح أبو عراد الشهري	دروس تربوية نبوية	١٢٦-
د. عبد الحلیم عويس	الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	١٢٧-
د. مصطفى عبد الواحد	من سيات الأدب الإسلامي	١٢٨-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (١)	١٢٩-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (٢)	١٣٠-
أ. عبد الباسط عز الدين	المسجد البابري قضية لا تنسى	١٣١-
د. سراج محمد وزان	التدريس في مدرسة النبوة	١٣٢-
أ. ابراهيم اسماعيل	الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة	١٣٣-
د. حسن محمد باجودة	تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	١٣٤-
أ. أحمد أبو زيد	منهاج الداعية	١٣٥-

الشيخ. محمد بن ناصر العبودي	١٣٦-	في جنوب الصين
د. شوقي أحمد دينا	١٣٧-	التنمية والبيئة دراسة مقارنة
د. محمود محمد بابلي	١٣٨-	الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل
أ. أنور الجندي	١٣٩-	سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ
أ. محمود الشرقاوي	١٤٠-	الطفل في الإسلام
أ. فتحي بن عبدالفضيل بن علي	١٤١-	التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها
د. حياة محمد علي خفاجي	١٤٢-	لمحات من الطب الإسلامي
د. السيد محمد يونس	١٤٣-	الإسلام والمسلمون في ألبانيا
مجموعة من الأساتذة الكُتاب	١٤٤-	أحمد محمد جمال (رحمه الله)
أ. أحمد أبو زيد	١٤٥-	المهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية
د. حامد أحمد الرفاعي	١٤٦-	الإسلام والنظام العالمي الجديد
أ. محمد قطب عبدالعال	١٤٧-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم
أ. زيد بن محمد الرماني	١٤٨-	الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي
أ. جهمان بن عايض الزهراني	١٤٩-	الماسونية والمرأة
أ. اسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي	١٥٠-	جوانب من عظمة الإسلام
د. حسن محمد باجودة	١٥١-	الأسرة المسلمة في ضوء القرآن
د. أحمد موسى الشيشاني	١٥٢-	حرب القوقاز الأولى
أ. زيد بن محمد الرماني	١٥٣-	المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية
د. السيد محمد يونس	١٥٤-	المسلمون في جمهورية الشاشان
		وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٥-	القدس في ضمير العالم الإسلامي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٦-	الطريق إلى الوحدة الإسلامية
د. جعفر عبدالسلام	١٥٧-	المركز القانوني الدولي لمدينة القدس
د. عبد الرحمن الخوراني	١٥٨-	الحوار النافع بين أصحاب الشرائع
أ. علي راضي أبو زريق	١٥٩-	الإنسان والبيئة
أ. محمود الشرقاوي	١٦٠-	الإسلام وأثره في الثقافة العالمية
أ. عبد الله أحمد خشيم	١٦١-	الموت .. ماذا أعدنا له ؟
د. محمود محمد بابلي	١٦٢-	زواج المسلمة بغير المسلم وحكمة تحريمه
أ. أنور الجندي	١٦٣-	عطاء الإسلام الحضاري
أ. عاطف أبو زيد سليمان علي	١٦٤-	إحياء الأراضي الموات في الإسلام
أ. محمد بن سليمان الأهدل	١٦٥-	أهمية يوم الجمعة وخطب مختارة
أ. خالد الأصـور	١٦٦-	البوسنة والهرسك .. حقائق وأرقام
أ. محمد بن ناصر العبودي	١٦٧-	المسلمون في لاوس وكمبوديا
أ. إبراهيم الدرعاوي	١٦٨-	المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين
		في المجتمع الهولندي

- ١٦٩- مفاهيم يجب أن تُصحح أ. بغداد سيدي محمد أمين
- ١٧٠- السنة النبوية المطهرة الشيخ محمد علي الصابوني
- ١٧١- نحو مشروع حضاري للإسلام د. أحمد القديدي
- ١٧٢- الإعلام الإسلامي رسالة وهدف أ. سمير بن جميل راضي
- ١٧٣- الشريعة والتشريع أ. فاطمة السيد علي سباك
- ١٧٤- ترجمات معاني القرآن الكريم د. عبدالله عباس الندوي
- ١٧٥- خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام أ. زيد بن محمد الرماني
- ١٧٦- الرحمة المهداة محمد رسول الله ﷺ د. نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني
- ١٧٧- المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد الشيباني أ. عثمان بن جمعة ضميرية
- ١٧٨- التكامل وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية د. محمد إبراهيم منصور
- ١٧٩- شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي أ. حسني شيخ عثمان
- ١٨٠- في غرب الهند أ. محمد بن ناصر العبودي
- ١٨١- في بلاغة الدعاء النبوي د. عبد الرزاق محمد محمود فضل
- ١٨٢- الإعلام الغربي والمؤامرة على د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
- الإسلام في أفريقيا
- ١٨٣- منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام د. حلمي عبد المنعم صابر
- ١٨٤- معالم من الفكر التربوي عند علماء المسلمين أ. د/ أحمد محمد الخراط
- ١٨٥- أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي حامد
- ١٨٦- التربية في عهد الرسول [نشأتها وتطورها] سالم عايض الحري
- ١٨٧- الزكاة وتنمية المجتمع السيد أحمد المخزنجي
- ١٨٨- بلاد التتار والبلغار محمد بن ناصر العبودي
- ١٨٩- خطبة الجمعة د. نزار عبد الكريم سلطان الحمداني
- ١٩٠- عداوة الشيطان للإنسان كما جاء في القرآن د. عبد العزيز بن صالح العبيد
- ١٩١- السفارة والسفراء في الإسلام د. عثمان بن جمعة ضميرية
- ١٩٢- القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل أ. د. محمد علي حُلّة
- ١٩٣- أعمال الحاج بعد النفر من منى د. ياسين بن ناصر الخطيب
- ١٩٤- التصريح بإثبات الأنجيل الأربعة د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي
- الاعتقاد الصحيح في المسيح
- ١٩٥- تحليل مخاطر الاستثمار في المصارف محمد نور علي عبدالله
- الإسلامية بين النظرية والتطبيق
- ١٩٦- المسيح عيسى بن مريم مصدق د. عبدالله بن عبد العزيز الشيعي
- لما بين يديه في التوارة
- ١٩٧- من معوقات الدعوة على ضوء الكتاب د. عبد المهيمن عبد السلام طحان
- والسنة «ضعف الإيذان»
- ١٩٨- معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام د. أحمد عبد الرحيم السايح

- ١٩٩- لمحات في سورة الأحزاب أ. د. حسن بن محمد باجودة
- ٢٠٠- جوانب التعارض بين عنصر الأئمة في المرأة د. عدنان بن حسن باحارث
- ٢٠١- منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة د. منظور بن محمد رمضان
البعث بعد الموت «تفسير موضوعي».
- ٢٠٢- تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته د. عبدالله بن الزبير بن عبدالرحمن
- ٢٠٣- الإسلام وعولمة الرأسمالية. د. عبدالحفيظ بن عبدالرحيم محجوب
- ٢٠٤- قصة أصحاب الخنة وقيمة النية في الشريعة الإسلامية د. ياسين بن ناصر الخطيب
- ٢٠٥- دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٦- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء (في ضوء الكتاب والسنة) د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٠٧- المحو والإثبات في المقادير د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٨- الطريق إلى نجاة الأولاد د. عبدالله إبراهيم اللحيان
- ٢٠٩- الإسلام وتهمة الإرهاب د. حسن عزوزي
- ٢١٠- رؤى تربوية تطويرية لمنهج الدعوة الإسلامية د. حسن بن عايل أحمد يحيى
- د. مسعود بن محمد القحطاني
- ٢١١- البلد الحرام - فضائل وأحكام د. ضياء الدين محمد مطاوع
إعداد كلية الدعوة وأصول الدين -
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
- ٢١٢- الوجود الإسلامي في أمريكا- الواقع والأمل د. عثمان أبوزيد عثمان
- ٢١٣- مقاصد الشريعة تأصيلاً ونفعياً د. محمد بكر إسماعيل حبيب
- ٢١٤- الصحة والصحابة رضوان الله عليهم «رسالة أ. د. أحمد علي الإمام
تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم»
- ٢١٥- آثار العولمة على عقيدة الشباب د. عبدالقادر بن محمد عطا صوفي
- ٢١٦- المزاح في الإسلام د. حسن عبدالغني أبوغدة
- ٢١٧- أصول المخالفين لأهل السنة في الإيمان د. عبدالله بن محمد القرني
- دراسة تحليلية نقدية -
- ٢١٨- دلائل الإسلام أ. د. أحمد بن سعد الحمدان
- ٢١٩- الخواف الإسلامي بين الحقيقة والتضليل د. عطية فتحى الويشي
- ٢٢٠- دلالة المثلثات على التوحيد د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٢١- الفتنة، معناها، والحكمة منها، في ضوء الكتاب والسنة. د. إبراهيم بن عبدالله الدويش
- ٢٢٢- المنهج التربوي النبوي في معالجة مواقف من أخطاء أ. أحمد بن إسماعيل كتبي
أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب (السيرة
النبوية) لابن هشام المتوفى عام ٢١٨هـ.
- ٢٢٣- مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة د. السيد رزق الحجر
القرآنية والاستدلال الكلامي.

- ٢٢٤- الحضارة الإسلامية وسطيتهما أ. السيد أحمد المخزنجي وموقفها من الآخر.
- ٢٢٥- الشيخوخة وكيفية تعامل الإسلام مع متغيراتها د. عبدالله بن ناصر السدحان
- ٢٢٦- العلاقات الثقافية الفكرية بين العالمين الإسلامي د. مفرح بن سليمان بن عبدالله القوسي والعربي في العصر الحاضر - الحواجز والجسور - .
- ٢٢٧- التنصير في أفريقيا د. عبدالرزاق عبدالمجيد الأارو
- ٢٢٨- أثر الإيوان في بناء الحضارة الإنسانية د. أحمد معاذ علوان حقي
- ٢٢٩- التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية د. حسن عزوزي
- ٢٣٠- فلسفة الحرية الدينية - نظرة عقدية د. لطف الله خوجة
- ٢٣١- البناء التربوي للمجتمع المسلم الفعال د. هاشم بن السيد علي الأهدل
- ٢٣٢- ميثاق الإيمان د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٣٣- مقدمة في مصطلحات الفقهاء عن د. محمد ظاهر أسدالله المكي
- ٢٣٤- الأحكام الشرعية وأئمة مذاهبهم الأربعة، أصولهم الاجتهادية مدوناتهم الفقهية ومصطلحاتهم المذهبية. قضايا المسلمين في القصص الإسلامي المعاصر أ. يحيى حاج يحيى
- ٢٣٥- «نصر الله امرء اسمع مقالتي ...» د. عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالمحسن التركي «دراسة عقدية»
- ٢٣٦- السعادة والحياة «رؤية تربوية لمفهوم السعادة أ. عبدالكريم بن عوض اللبيني وأسبابها في حياة المسلم المعاصر» السلمي
- ٢٣٧- الرفق في السنة د. حسن محمد عبده جي
- ٢٣٨- الدين المعاملة د. منقذ بن محمود السقار
- ٢٣٩- التجديد في عرض السيرة النبوية، مقاصده وضوابطه د. محمد يسري
- ٢٤٠- ضوابط تشغيل النساء د. عدنان حسن باحارث
- ٢٤١- الأثر التعليمي لفن الرجز د. حسن محمد حسن محجوب
- ٢٤٢- أخلاقيات العمل (ضرورة تنمية ومصلحة شرعية) د. سعيد بن ناصر الغامدي
- ٢٤٣- النزاعات الأهلية في أفريقيا قراءة في الموروث د. آدم بـمـبـا السلمي الإسلامي.
- ٢٤٤- القراءة التجزئية للنصوص الشرعية د. سعد بن علي الشهراني وأثرها في افتراق المسلمين.
- ٢٤٥- المحكمات صام أمن الأمة وأساس الثبات د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٤٦- مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن د. عبدالله بن عمر الدميحي عبدالوهاب الإصلاحية.
- ٢٤٧- العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، المنهج د. عثمان جمعة ضميرية والأركان والخصائص.
- ٢٤٨- حادثة الإفك ودلالاتها الفقهية والأصولية د. هاني أحمد عبدالرحمن عبدالشكور

٢٤٩ -	عقوبة المرتد وشبهات المعاصرين	د. عبدالله الزبير عبدالرحمن صالح
٢٥٠ -	الدخول في أمان غير المسلمين وآثاره في.....	أ. عبدالحق بن حقي بن علي التركماني
	الفقه الإسلامي	
٢٥١ -	وسطية الإسلام والأمة المسلمة في عصر العولمة.....	د. عثمان جمعة ضميرية
٢٥٢ -	قراءات في التوجيه الإسلامي في العلوم التربوية.....	أ.د. صالح بن علي أبو عراد
٢٥٣ -	منهج الراسخين في تدبر وحي رب العالمين.....	د. أحمد معاذ علوان حقي
٢٥٤ -	التربية البيئية في الإسلام وأثرها في حماية البيئة	د. فيصل بن عبدالقادر بغدادي
	د. عبد الحميد بن عبد المجيد حكيم	
٢٥٥ -	الأساليب النبوية في تربية الشباب	د. محمود عبد الهادي دسوقي علي

هذا الكتاب

■ الهداية نعمة ربانية، لا يمنعها الله تعالى من طلبها بحق، فجعل الحق رائده، واستشرف إيماناً ملاً جوانبه من بعد ظلمة حالكة، و«من لم يعرف الجاهلية لم يعرف الإسلام»، ولم يدرك كبير نعمة الله عليه في الهداية إلى دينه القويم.

■ «لهذا أسلموا» نبحر فيه مع أماجد اختاروا الإسلام بعد ضلالة وعماية، وتخبط وغواية.. نتصفح بعين رشيدة رحلتهم إلى الإسلام العظيم، ونتخير منها ما ينير طريق الإيمان لكل ظامئ يرنو إلى الانعتاق من دياجير الكفر وكبول الضلال إلى رحاب الهدى ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]

■ الإسلام وحده أجاب المهتدين على أسئلتهم، وأزاح حيرتهم في فهم الحقائق الكبرى للكون، كيف لا وهو الدين الذي يوائم في معتقداته وشرائعه بين توأم العقل الصحيح والروح السامية، ويقدم برهانه ودليله بما تقوم به حجة الله على جميع خلقه؛ رغم تباين ثقافتهم وطرائق تفكيرهم.